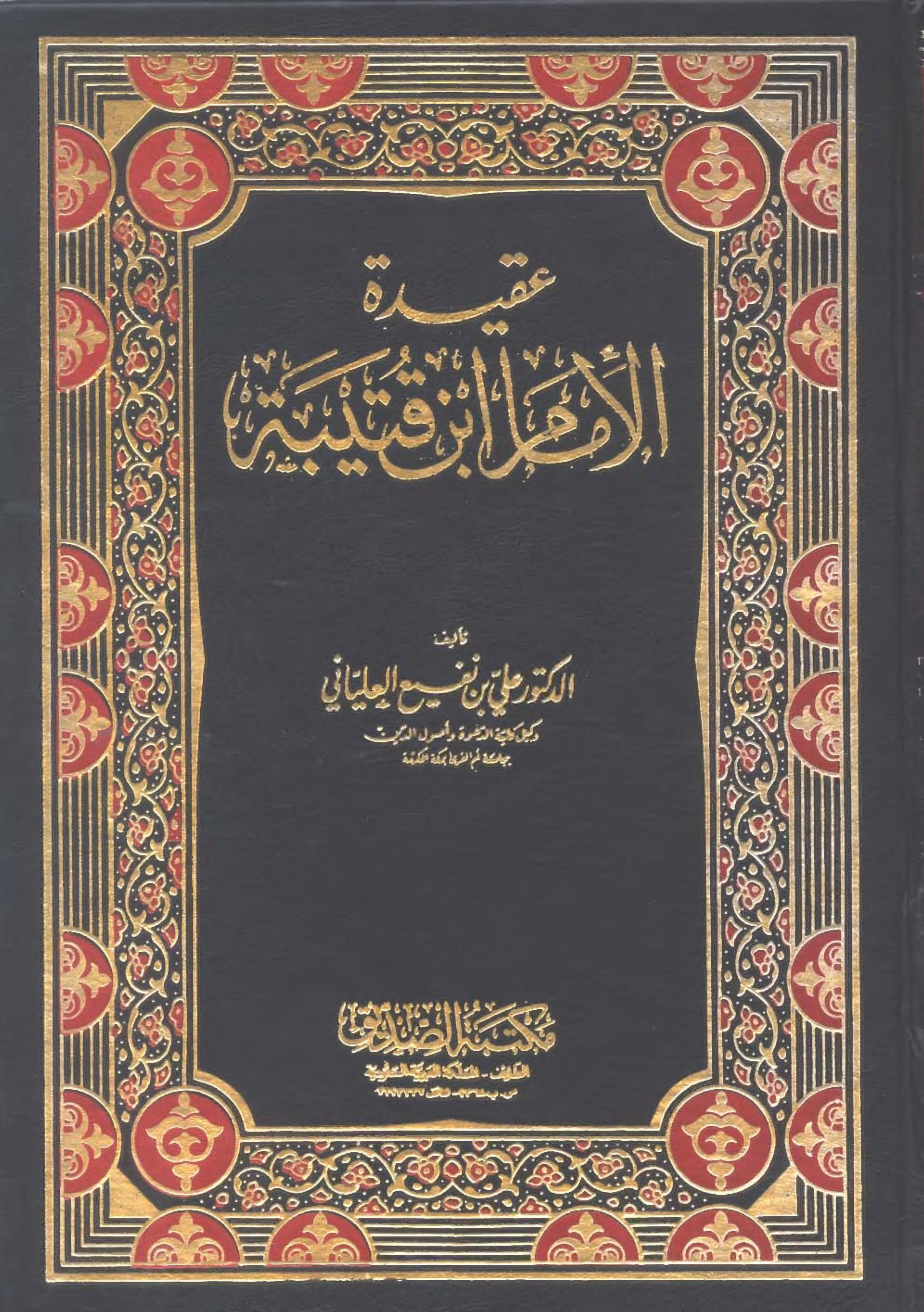
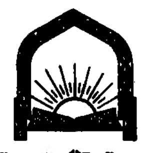


عقيدة
الإمام ابن قتيبة
تأليف
الدكتور علي بن نفيع العلياني
وكيل كلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
مكتبة الصديق
الطائف - المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م



مكتبة الصديق
للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٣٦٨ ـ هاتف: ٧٣٢٣٣٣٧
الطائف ـ المملكة العربية السعودية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وبعد : ـ يقول الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[١] . ويقول سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[٢] . ويقول عز وجل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين ﴾[٣] . وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله فقد كذب والله يقول : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية »[٤] . وفي الصحيح أيضاً عنها أنها قالت : « لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتماً من القرآن شيئاً لكتم هذه الآية : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ »[٥] .

---

(١) المائدة آية ٣ .

(٢) الأنعام آية ٣٨ .

(٣) النحل آية ٨٩ .

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير ٦/٦٦

(٥) صحيح البخاري كتاب التوحيد ١٥٢/٩ .

وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذٍ أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع أصبعه ويقلبها إليهم ويقول اللهم هل بلَّغت اللهم هل بلغت(1) ويقول أبو ذر رضي الله عنه : « ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر بجناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً »(2) .

كل هذه النصوص المتقدمة تدل دلالةً قطعية لا مجال للشك فيها بأن الرسول ﷺ قد كمّل الله به الدين وأنه قد بَلغه لأمته وبينه غاية البيان أصوله وفروعه ولم يكتم منه شيئاً وفي مقدمة ما بينه توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وما يجب لله من صفات الكمال وما يجب على المؤمنين اعتقاده من أمور الغيب كالإيمان باليوم الآخر والملائكة ونحو ذلك . فإنه من غير المعقول أن يبين الرسول ﷺ لأمته ما يقولون إذا دخلوا الخلاء وإذا خرجوا منه وما يقولون عند الجماع ولا يبين لهم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وما يجب له من التنزيه والتعظيم والعبادة والطاعة . لا يقول هذا إلا زنديق أو جاهل ملبوس عليه أمره . لأجل هذا لم يحصل بين الصحابة رضي الله عنهم خلاف في مسائل العقيدة إطلاقاً يقول ابن القيم : « تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً وأن العناية ببيانها أهم لأنها من تمام تحقيق الشهادتين وإثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بياناً شافياً »(3) . لم يختلف

---

(1) صحيح مسلم كتاب الحج ٤/٤١ .

(2) تفسير الطبري ١١/٣٤٨ بتحقيق احمد شاكر .

(3) مختصر الصواعق المرسلة ١/٢١ .

الصحابة رضوان الله عليهم في مسائل العقيدة لأنهم تلقوها من الكتاب العزيز والرسول الكريم ﷺ فسلموا بها وفهموا معانيها وعبدوا الله بمقتضاها وأثرت في سلوكهم الواقعي على الأرض وكانوا نموذجاً فريداً عالي المستوى يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله عن جيل الصحابة : « . . . كان القرآن وحده إذن هو النبع الذي يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم . . . وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم ونهج مقصود يدل على هذا القصد غضب رسول الله ﷺ وقد رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة وقوله : « انه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني »[1] . . . . أنّهم في الجيل الأول لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والإطّلاع ولا بقصد التذوق والمتاع . . . إنما كان أحدهم يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه »[2] . يقول أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[3] .

وليست طريقة الصحابة رضوان الله عليهم هو الإيمان بألفاظ جوفاء لا يدركون لها معاني كما يزعمه أهل التجهيل الذين يقولون أن الصحابة لم يكونوا يعلمون معنى صفة العلو والإستواء والرحمة ؛ والغضب ونحو ذلك ويقولون إنهم يؤمنون باللفظ فقط ويفوضون المعنى !! بل إن هذا القول الخبيث يستلزم إتهام الله سبحانه وتعالى بأنه خاطب عباده بما لا يفهمونه

---

(١) سنده حسن انظر إرواء الغليل للألباني ٣٤١٦ والسنة لابن أبي عاصم ١ /٢٧ .

(٢) انظر معالم في الطريق « جيل قرآني فريد » ، ص ١٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ /١٣ .

ويستلزم إتهام الرسول ﷺ بأنه لم يبيّن أكثر القرآن للناس . فإن نصوص الصفات والأسماء في القرآن كثيرة جداً بل أغلب آيات القرآن العزيز تختم بتقرير صفة لله أو إسم .

والحقيقة التي لا اشكال فيها إلا على من أعمى الله بصيرته إن الصحابة رضوان الله عليهم فهموا صفات الله سبحانه فهماً جيداً فعظم الله في نفوسهم وبلغ حبهم لصفات كماله غايته لأجل ذلك كانوا أكثر الناس خضوعاً وانقياداً ومحبةً له سبحانه . بل إن كل من يعرف اللغة العربية اذا قرىء عليه القرآن أدرك أن معنى الرحيم غير معنى المنتقم ومعنى الجبار غير معنى الرؤوف ومعنى الأول غير معنى الآخر وصفة الضحك غير صفة الغضب وصفة السمع غير صفة البصر . ولو لم يدرك المستمع للقرآن من نصوص الصفات معنى لكان عنده صفة الضحك مثل صفةالغضب ولكان عنده صفة انتقام الله من المجرمين مثل صفة رحمته بالمؤمنين ولا يقول هذا إلّا زنديق أو مكابر . فالصحابة رضوان الله عليهم لا يفوضون المعنى ويؤمنون باللفظ فقط بل يؤمنون باللفظ وما دلّ عليه من معنى ويفوضون الكيفية مع اعتقادهم بأن صفات الله لا تشبه صفات المخلوقين فإن كيفية صفات الله سبحانه لا يعلمها علماً حقيقياً إلا من رآها فهي كذاته فكما يثبت المؤمنون أن لله ذاتاً موجودة حقيقية ولا يدركون كيفيتها فكذلك يؤمنون بأنّ لله صفات حقيقية لا يدركون كيفيتها . وما حصلت البدع والإنحرافات في العقيدة الا لما تنكب أناس منهج السلف الصالح بحسن نية أو بسوء نية فالطريقة المنحرفة تُنْتج سلوكاً منحرفاً سواء حسنت نية صاحبه أو فسدت ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت ببعض الناس إلى الإنحراف عن طريقة الصحابة في تلقي العقيدة وفي فهمها فيما يلي :

(١) وجود بعض الناقمين على الإسلام بين المسلمين ، إذ دخلوا في الإسلام ظاهراً وأرادوا الكيد له ولأتباعِهِ باطناً فأخذوا يشيعون الأكاذيبَ والخرافات بحجة الغيرة على الإسلام أو الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكـر وعلى رأس هؤلاء اليهودي الخبيث عبـد الله بن سبأ الـذي تولى كبـر الفتنـة في عهـد عثمـان وعهـد علي رضي الله عنهمـا وأدخـل على المسلمين عقـائدَ فـاسدة كعقيـدة الرجعـة وأن علياً وصي النبي وعِصمـة الأئمة ونحو ذلك .

(٢) انتشار الفتوحـات الإسلاميـة في بقاع كثيـرة من العالم ودخـول أهلها في الإسـلام وهم يحملون رواسبَ كثيرة من رواسبِ الجـاهليـة التي كـانـوا عليها ولم ينالـوا من التربيـة الإسلاميـة على العقيدة الصحيحـة السليمة مثـل ما نـال الرعيـلُ الأول من الصحابـة على يدِ رسـول الله ﷺ وذلـك لكثرتهم وانشغالِ الفاتحين بالحروب والفتوحـات الجديـدة فأخـذ هؤلاء المسلمـون الجـدد في بث مـا لـديهم من ثقـافـةٍ ورواسبَ جـاهليتهم السـابقة ظنـاً منهم أنها لا تتعـارض مع الإسـلام مع العلم بـأن الثقـافـة المنبثقة من تصورات جاهلية خـطر على العقيدة الإسـلامية فهي تـزعزع أركانها وتشوِّه صفاءَها .

(٣) عدم اقتصار المسلمين على ما في القرآن الكريم والسنة النبـوية المـطهرة من العقـائدِ كمـا كان الصحـابـة رضـوان الله عليهم يفعلون بـل استقت الأجيـال التاليـة فلسفةَ الإغـريق ومنطقهم وأسـاطيرَ الفـرس وتصـوراتهم وإسـرائيليـات اليهـود ولاهـوت النصـارى وغيـر ذلـك من رواسبِ الحضـارات والثقافـات عنـدمـا تـرجمت كتب الأمم الأخـرى إلى اللغـة العربية وأقبـل أكثر النـاس على الكتب المترجمـة بدون تمييـز بين الغثّ والسمين والنـافع والضـار واختلطَ هذا كله بتفسيـر القرآن الكـريم وعلم العقيدة والفقه والأصول ونحو ذلك .

(٤) تحكيم العقل البشري القاصر في مسائل العقيدة مما نتج عنه ردّ روايات وأحاديث كثيرة زعم المبتـدعة أن العقـل يخالفهـا وهذا جهـل قبيح فمـا

فائدة الوحي إذا كانت العقول البشرية تستقل بمعرفة ما يجب لله وما ينزه عنه .

(٥) الغلو . كغلو الشيعة في أهل البيت وغلو الخوارج في نصوص الوعيد وغلو المرجئة في نصوص الوعد وغلو المعتزلة والأشاعرة في تقدير قيمة العقل وإدراكِهِ حتى حكموه في النصوص الشرعيّة .

(٦) الرد على البدعة ببدعة مثلها كما ردت المعتزلة بدعة الخوارج في مرتكب الكبيرة ببدعة مثلها وكما ردت المشبهة بدعة المعطلة في إنكار الصفات ببدعة مثلها وهي تشبيه صفات الله بصفات خلقهِ حتى قال بعضهم : إن يد الله كيدي ووجهه كوجهي .

(٧) انشغال بعض أُمراء المسلمين عن تربية الناس على العقيدة الصحيحة ورد غوائل البدع عنهم باللهو والملذات والتفاني في جمع حطام الدنيا وتثبيت عروشهم أكثر من تثبيت قواعد التوحيد .

وقد بادر صحابة رسول الله ﷺ بالإنكار على كل منحرف عن نهج الحق في العقيدة فأنكروا على الخوارج بدعتهم في تكفير مرتكب الكبيرة والخروج على خليفة المسلمين فأقام الحجة عليهم عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، وقاتل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ومعه جمع كثيف من الصحابة من استمر منهم على بدعته وأنكروا على القدرية بدعتهم وتبرأوا منهم فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال : « كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمٰن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لَو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت : أبا عبد الرحمٰن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤن القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنه لا قدر وأن الأمر أُنُف قال فإذا لقيت أولئك

فأخبرهم إني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر »[١] .

وأنكر الصحابة على الرافضة غلوهم وانحرافهم في العقيدة بل حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة منهم كما ثبت في صحيح البخاري عن عكرمة قال أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال : « لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه »[٢] .

أما بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم فقد توسعت البدع وانتشرت وكثر دعاتها وألفوا فيها التآليف الكثيرة فرأى السلف الصالح السالكين لنهج الصحابة محاربة البدع وأهلها على جبهات عدة منها :

١ ـ النهي عن مجالسة أهل البدعة ومحادثتهم .

قال أبو قلابة لا تجالسوا أهل البدع ولا تخالطوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون[٣] .

وعن أيوب قال لقيني سعيد بن جبير فقال : ألم أرك مع طلق قلت : بلى فما له قال : لا تجالسه فإنه مرجىء[٤] .

وقال الفضيل بن عياض : من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غشّ الإسلام احذروا الدخول على أصحاب البدع فإنهم يصدون عن الحق[٥] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٥٥ .
(٢) صحيح البخاري كتاب المرتدين ٨/٥٠ .
(٣) شرح السنة للالكائي ١/١٣٤ .
(٤) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص ٥٢ .
(٥) السنة للالكائي ١/١٣٥ .

وكان ابن طاوس جالساً فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيهِ وقال لابنهِ : أي بني أَدخل أصبعيك في أذنيك واشدد لا تسمع من كلامه شيئاً[1] .

وكلام السلف الصالح ومؤلفاتهم في هذا الجانب كثيرة جداً .

(٢) ترك رواية الحديث عن أهل البدع الداعين إلى بدعتهم كما في صحيح مسلم عن محمد بن سيرين قال إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم وعنه أيضاً إنه قال لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم . وفي صحيح مسلم أيضاً عن جرير قال : لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه كان يؤمن بالرجعة . وفيه أيضاً عن عبد الله بن المبارك أنه قال : دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف[2] .

(٣) تولى السلف الصالح الرد على أهل البدع بمؤلفات قيمة تقيم الحجة وتكشف الشبهة وتوضح الحق وتبطل التأويل الفاسد ومن أمثلة ذلك :

ـ الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ـ [٢٤١ هـ] .

ـ الرد على الجهمية لعبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي ـ [٢٢٩ هـ] .

ـ الرد على الجهمية لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ [٢٥٦ هـ] .

ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ [٢٧٦ هـ] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر هذه الأحاديث في مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١/٨٤ ـ ٨٩ .

ـ الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي ـ [٢٨٠ هـ] .

ـ الرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي المذكور أعلاه .

ـ الرد على الجهمية لعبد الرحمٰن بن أبي حاتم ـ [٣٢٧ هـ] .

وغير هذه كثير .

(٤) تولى السلف الصالح عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وبينوا أدلتها وشرحوها وهذا المنهج وحده من أكبر وسائل إزهاق الباطل فإن الحق إذا ظهر للناس وانتشر اضمحل الباطل وخنس ، فإن على الحق نوراً يدل عليه وعلى الباطل ظلمة وكآبة . ومن الأمثلة على مؤلفات السلف في هذا السبيل ما يلي : ـ

١ ـ السنة ـ رسالة لأحمد بن حنبل [٢٤١ هـ] .

٢ ـ السنة لأبي بكر بن الأَثْرم [٢٧٢ هـ] .

٣ ـ السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل [٢٩٠هـ] .

٤ ـ السنة لمحمد بن نصر المروزي [٢٩٤ هـ] . .

٥ ـ السنة لأحمد بن محمد بن هارون الخلال ـ [٣١١ هـ] .

٦ ـ كتاب التوحيد لابن خزيمة [٣١١ هـ] .

٧ ـ الإبانة لعبيد الله بن محمد بن بطة [٣٨٧ هـ] .

٨ ـ كتاب التوحيد لمحمد بن إسحاق بن منده [٣٩٥ هـ] .

٩ ـ شرح السنة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين [٣٩٩ هـ] .

١٠ ـ كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام [٢٢٤ هـ] .

١١ ـ كتاب الإيمان لأحمد بن حنبل [٢٤١ هـ] .

١٢ ـ شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي [٤١٨هـ] .

وغير هذا من المؤلفات التي تزيد على المئات .

هذا هو منهج السلف الصالح رضي الله عنهم في تلقي العقيدة والدفاع عنها :

١ ـ إقتصار على الوحي ـ الكتاب والسنة ـ في تلقي العقيدة .

٢ ـ تلقي نصوص الوحي للتحرك بها والعمل بموجبها وصبغ السلوك الظاهري والباطني بأوامرها .

٣ ـ إخضاع العقل لنصوص الوحي لا إخضاعها للعقل البشري الناقص .

٤ ـ الدعوة إلى العقيدة الصحيحة باللِّسان والسنان والدفاع عنها ضد هجمات الكُفَّار والزنادقة والمبتدعة بأسلوب الردّ وأسلوب العرض والتوضيح كما تقدم .

أمّا الفِرَق المبتدعة فهم مذاهب شتى في مصدر التلقي فبعضهم يتلقى العقيدة من كتب علم الكلام ومن شروح الفلسفة الوثنية اليونانية وبعضهم يتلقون العقيدة من عقولهم الناقصة الزائغة لذلك رأينا عقل المعتزلي ينكر ما يثبتهُ عقل الأشعري وعقل الأشعري ينكر ما يثبته عقل الكرَّامي وعقل القُرمطي ينكر ما يثبته عقل الماتوريدي وهذا شأن العقول إذا أعرضت عن الوحي واستقلت بالعمل في غير مجالها .

وبعضهم يتلقون العقيدة عن طريق الأحلام والرؤى كما هو شائع في المتصوفة فيقول بعضهم : رأيت في المنام رسول الله أو رأيت شيخي فأمرني بكذا ونهاني عن كذا فيعمل بموجب حلم أملاه عليه الشيطان وكأن رسول الله ﷺ توفي قبل أن يكمل الله به الدين وقبل أن يوضحه للناس تعالى الله عن قول المبتدعة علواً كبيراً .

وقد افترى بعض أتباع هذه الفِرق المبتدعة فرية عظيمة مضمونها أن النهج السلفي الذي يدعى إليه اليوم هو نهج ابن تيمية وابن القيم فقط وأن الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم لم يحرروا مذهب السلف ولم يتوسعوا في شرحه وتوضيحه بل كان أحدهم يقرأ الآية أو الحديث ويسكت ولا يفهم من النصوص معاني !! وهذه فرية بلْقاء لا نصيبَ لها من الصحة والغرض منها هو صرف أبناء المسلمين السائرين على نهج السلف عن مقارعة المبتدعة وفضحهم وهتك أقوالهم المدخولة المصادمة لنصوص الوحي وقد مر بك أيُّها القارىء الكريم إنكار الصحابة على البدع التي حدثت في عصرهم ومرّ بك أقوال أئمة العلماء في التحذير من مجالسة المبتدعة وأخذ الحديث منهم ومر بك طرف ليس بالقليل من تعداد مؤلفات علماء السلف التي فيها إيضاح الحق والرد على المبتدعة ونزيد الأمر إيضاحاً بنقل أقوال لطائفة من العلماء عاشوا قبل ابن تيمية وابن القيم بقرون أوضحوا فيها عقيدة السلف الصالح وإنها ليست تلاوة آيات وأحاديث لا يفهمون معناها كما يقوله المفترون .

يقول الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ ما يلي :

« أما الكلام في الصفات فإنه ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عزّ وجل إنّما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف . فإذا قلنا لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول أنّ معنى اليد القدرة ولا أن

معنى السمع والبصر العلم ولا نقول أنَّها جوارح ولا نشبِّهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . وقوله عزّ وجل : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هذه الأحاديث ولبسوا على من ضعف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ولا يصح في الدين ورموهم بكفر أهل التشبيه وغفلة أهل التعطيل أُجيبوا بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات يفهم منها المراد بظاهرها وآيات متشابهات لا يوقف على معناها إلا بردّها إلى المحكم ويجب تصديق الكل والإيمان بالجميع فكذلك أخبار الرسول ﷺ جارية هذا المجرى ومنزَّلة على هذا التنزيل برد المتشابه منها إلى المحكم ويقبل الجميع وتنقسم الأحاديث المروية في الصفات ثلاثة أقسام :

١ ـ منها أخبار ثابتة أجمع أئمة النقل على صحتها لاستفاضتها وعدالة ناقليها فيجب قبولها والإيمان بها مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيهاً لله بخلقه ووصفه بما لا يليق به من الجوارح والأدوات والتغير والحركات .

٢ ـ القسم الثاني : أخبار ساقطة بأسانيد واهية وألفاظ شنيعة أجمع أهل العلم بالنقل على بطلانها فهذه لا يجوز الإشتغال بها ولا التعريج عليها .

٣ ـ القسم الثالث : أخبار إختلف أهل العلم في أحوال نقلتها فقبلهم البعض دون الكل فهذه يجب الإجتهاد والنظر فيها لتلحق بأهل القبول أو تجعل في حيز الفساد والبطول[١] » .

---

(١) نقل هذا النص الالباني في مختصر العلو ص ٤٨ من مخطوطة في الصفات . للخطيب توجد =

ويقـول الإمام الخـطابي المتوفى عـام ٣٨٨ هـ : « مـذهب السلف في الصفات إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفيـة والتشبيه عنهـا » . ويقول الإمـام نعيم بن حماد الحـافظ المتوفى عـام ٢٢٨ هـ : « من شبـه الله بخلقـه فقـد كفر ومن أنكـر مـا وصف بـه نفسـه فقـد كفـر وليس مـا وصف بـه نفسـه ولا رسوله تشبيهاً » . ويقول الإمام إسحاق بن راهويه المتـوفى عام ٢٣٧ هـ : « إنما يكون التشبيه إذا قال : يد مثل يـدي أو سمع كسمعي فهـذا تشبيه وأمـا إذا قـال كما قـال الله : يد وسمـع وبصر فـلا يقول كيف ولا يقـول مثل فهـذا لا يكـون تشبيهـاً قـال تـعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ ويقول الإمام ابن عبـد البر حـافظ المغرب المتـوفى عام ٤٦٣ : « أهـل السنة مجمعـون على الإقرار بـالصفـات الـواردة في الكتـاب والسنـة وحملهـا على الحقيقـة لا على المجـاز إلا أنهم لم يكيفـوا شيئـاً من ذلـك وأمـا الجهميـة والمعتـزلـة والخـوارج فكلهم ينكـرهـا ولا يحمـل منهـا شيئـاً على الحقيقـة ويزعمون أن من أقربها مشبـه وهم عند من أقـربها نـافون للمعبـود »[1] . هذا غيض من فيض وقـد نقل مـذهب السلف أكثر من مـائة إمـام ذكرهم الـذهبي في كتـابِهِ القيِّم « العلو للعلي الغفـار » وكلهم قبـل عصـر ابن تيميـة وتلميـذه ابن القيم . وإن من المساهمة في دحض فرية المبتـدعة السـابقة نشـر عقائـد علمـاء السلف السـابقين لابن تيميـة وابن القيم ليتضـح لكـل منصف أن ابن تيمية وابن القيم ليسا مبتدعين بل متبعين وأنهما لم يأتيا بجديد في عقيدة السلف لأجل هذا وغيره كان اختياري لهذا المـوضوع لكي أتقـدم به لـرسالـة ماجستير إلى فرع العقيدة بجـامعة أم القـرى بمكة المكـرمة والإمـام ابن قتيبة عـاش في القـرن الثـالث الهجـري فهـو متـوفى عـام ٢٧٦ هـ وقـد رد على المبتـدعة بنحـو رد ابن تيمية وابن القيم كمـا يتضح للقـارىء من ثنايـا البحث

= بالمكتبة الظاهريـة بدمشق ونقـل طرفـاً منها الـذهبي في تذكـرة الحفاظ في تـرجمة الخـطيب البغدادي .

(١) انظر هذه الأقوال في مقدمة مختصر العـلو للالباني ٣٩ ـ ٦٩ .

فكيف يقال بعد هذا أن مذهب السلف لم يوضحه توضيحاً كاملاً إلا ابن تيمية المتوفى في القرن الثامن الهجري وتلميذه ابن القيم . بل كيف يقال أن السلف لم يكونوا يفهمون معاني نصوص الصفات وأنّهم يؤمنون بألفاظ جوفاء !!! لو لم يفهموا معانيها لِما ردوا على المبتدعة فهمهم المدخول وهذا ما لا يعقل !!

إن توضيح عقيدة السلف الصالح من الكتاب والسنة ومن كتبهم وأقوالهم من ضروريات الدعوة إلى الله تعالى لا سيَّما في هذا العصر الذي تقوم فيه معظم جامعات العالم الإسلامي بتدريس العقيدة على منهج الفرق المبتدعة القائم على علم الكلام والفلسفة وتحكيم العقل البشري القاصر في نصوص الوحي المعصوم . وحتى الجامعات التي تتبنى تدريس العقيدة على مذهب السلف نظرياً فإن أغلب أساتذتها قد تلقوا علومهم على منهج الفِرق المبتدعة . إنه بإلقاء نظرة على ما تقذفه المطابع في الأسواق في هذا العصر من المؤلفات التي تسيء إلى عقيدة السلف يتضح بجلاء ضرورية الاجتهاد في توضيح الحق للناس كاملاً وضرورية نشر مؤلفات علماء السلف قديماً وحديثاً وما أحوج شباب الصحوة الإسلامية اليوم إلى تصحيح عقائدهم وتطهير صفوفهم مِنَ البدع لكي ينصرهم الله على عدوِّهم فإن البدعة من أكبر أسباب الفشل والتفرق . لذا فإنه من الواجب على كل مسلم أن يساهم بجهده في توضيح العقيدة ونشرها والذفاع عنها بكل ما يستطيع لكي تقوم حجة الله على عباده ولكي ينقذ الله من النار أقواماً لبس عليهم أهل البدعة طريق الحق . وليس منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم مقتصراً على التوضيح النظري للعقيدة بل من صميم منهجهم حمل السيوف إلى مشارق الأرض ومغاربها داعين إلى عقيدتهم ومزيلين الطواغيت وأئمة الكفر من طريقها ناشرين لعدلها وحكمها على الناس فعلى دعاة السلف اليوم ألا يقتصروا على شرح العقائد النظرية فقط بدون الإستعداد للجهاد فإن هذا انحراف عن منهج السلف فالحق الأعزل لا تقبله كثير من النفوس قال الله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض

لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إنّ الله لقوي عزيز ﴾[1] . ويقول ﷺ : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم »[2] .

ويقول ابن القيم رحمه الله :

فما هو إلّا الوحي أوحدُّ مرهف يقيم صباه أخدعي كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهل[3]

ويقول آخر :

دعى المصطفى دهراً بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعى والسيف صلتاً بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا

نسأل الله سبحانه أن يعلي كلمته وينصر حزبه وأن يبصر المسلمين بدينهم ويرزقهم حسن فهمه والعمل بمقتضاه واتباع السلف الصالح في فهمه وجهاده إنه على كل شيء قدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ونستغفر الله عن الزلل والتقصير .

علي بن نفيع بن نافع العلياني

---

(١) الحج آية ٤٠ .
(٢) مسند أحمد بن جنبل ٢/ ٩٢ .
(٣) هداية الحيارى ص ١٠ .

بعض أقوال مشاهير العلماء في الامام ابن قتيبة

● الخطيب البغدادي قال عنه : [وكان ثقة ديناً فاضلاً] .
● أبو محمد بن حزم قال عنه : [ثقةٌ في دينِهِ وعلمه] .
● الحافظ أبو طاهر السِّلفي قال عنه : [ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة] .
● الحافظ الذهبي قال عنه : [الإمام العالم وهو وعاء من أوعية العلم] .
● شيخ الإسلام ابن تيمية قال عنه : [من أهل السنة وهو خطيب أهل السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة] .

الباب الأول

عصر ابن قتيبة

المبحث الأول : الناحية السياسية .

المبحث الثاني : الناحية العلمية .

المبحث الثالث : الناحية الاجتماعية .



المبحث الأول

الناحية السياسية

إن كل إنسان يتأثر بالعصر الذي يعيش فيه وبالبيئة التي يسكن فيها غالباً فكان لزاماً عليّ دراسة عصر ابن قتيبة وهي الفترة من ٢١٣ هـ تاريخ مولده إلى ٢٧٦ هـ تاريخ وفاته . أي من عهد الخليفة العباسي المأمون إلى عهد المعتمد . وهذه الفترة تشتمل على جزء من العصر العباسي الثاني الذي وسم بعصر الفوضى العسكرية في الخلافة العباسية[١] .

وعند دراستي للمصادر التاريخية لتلك الفترة تجمع عندي كثير من النصوص التي تصور خلفاء بني العباس بأنهم وحوش ضارية لا هم لهم إلاّ جمع المال واقتناء الجواري والفتك بالمعارضين ومجالسة الندماء وإغداق الأموال على سفلة الناس من المغنين والملهين ومعاقرة الخمر والتخبط في السياسة بمجرد الهوى والشهوة لا بالرجوع الى الشرع الحنيف . وكثير من النصوص التي تبين أنهم يعظمون أمر الله ويعظمون العلماء ويصلون بالناس أئمة ويخطبون بهم في الجمع والأعياد ويقودون الجيوش لمحاربة الكفار ونشر الإسلام وإنّهم يكثرون من البكاء من خشية الله تعالى وإنهم يقيمون حدود الله بدون مجاملة إلى غير ذلك فوقعت في حيرة من الأمر . وبتمحيص

---

(١) كتب الدكتور فاروق عمر مؤلفاً بعنوان « الفوضى العسكرية في الخلافة العباسية » فراجعه ان شئت .

النصوص وموازنتها واستنطاق الحوادث ظهر لي ما يلي :

(١) أنّ تصوير خلفاء بني العباس بتلك الصورة المزرية الهزيلة أغلبه من وضع الشيعة والشعوبيين الذين يحملون ضغينة على بني العباس . يقول الشيخ محب الدين الخطيب : « تاريخ بني أمية وبني العباس كتبه وأذاع الروايات عن أخباره مؤلفون أكثرهم من الشيعة والشعوبية فأفسدوا على هذه الأمة تاريخها وشوهوا محاسن ماضيها »[١] . كما أنّ تصويرهم بأنهم بررة أتقياء من صنع حواشيهم وصنائعهم الذين يمدون أيديهم إلى الخلفاء بالاستجداء وألسنتهم بالمدح الكاذب .

(٢) لو كان حال خلفاء بني العباس كحال الخلفاء الراشدين لما امتلأت كتب التاريخ والأدب بذكر طرف من فسقهم وفجورهم ولم يذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان في عصره شيعة وكذابون غير أن عدله طبق الآفاق فلا تقبل عليه الأكاذيب فلو كانت حال خلفاء بني العباس كحاله أو قريباً منها لما راجت عليهم هذه الروايات ـ وإن كان مبالغاً فيها ـ فإن كثرة الأخبار وورودها من طرق مختلفة دليل على أنّ لبعضها نصيباً من الصحة وإنْ كان الناس في بعض الأحيان يصغرون الكبير ويكبرون الصغير نتيجة لأهواء ومؤثرات معينة والذي أرجحه أن خلفاء بني العباس عندهم إنحراف في الحكم والإدارة والسلوك الشخصي باستثناء الرشيد[٢]

---

(١) هامش (ص ١٨٢) من مختصر منهاج السنة للذهبي بتحقيق محب الدين الخطيب .

(٢) الرشيد : هو هارون ابو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . استخلف بعهد ابيه بعد موت اخيه الهادي ليلة السبت الأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة ١٧٠هـ وقد حدث عن ابيه وجده ومبارك بن فضالة وكان من اميز الخلفاء واجل ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحج . وكان يحب العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام ويبغض اعداء الدين والكلام في معارضة النص وبلغه عن بشر المرّيسي القول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه سيما اذا وعظ . قال عنه الذهبي رحمه الله اخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه جمة وله أخبار في اللهو =

والمهتدي[1] فقد عرفا بتقواهما وحبهما الشديد للخير ـ وإن كان بعض الخلفاء أقل انحرافاً من غيره لا سيما أوائل الخلفاء العباسيين وهذه الإنحرافات هي التي جعلت بعض علماء السلف في ذلك الوقت يظهرون النكير عليهم ويعتزلون ولاياتهم ومع هذا فقد كانت الصبغة العامة للدولة صبغة إسلامية فالجهاد قائم وشرع الله مطبق بين الناس وولاء المسلمين لبعضهم والفضيلة منتشرة والرذيلة مقموعة غالباً والحكم للغالب والله أعلم بالصواب .

ولا يفوتني وأنا أكتب في الناحية السياسية في العصر العباسي أن أبين بعض الأخطاء التي وقع فيها الخلفاء العباسيون . فإن الثمرة التاريخية هي معرفة الخطأ ليجتنب والصواب ليعمل به . ومن هذه الأخطاء على سبيل المثال :

(١) توارث الحكم كما تتوارث التركة المالية بدون الرجوع إلى رأي أهل الحل والعقد من المسلمين مما نتج عنه ولاية من لا يصلح للولاية من الفسقة وأصحاب المجون وهذا الطريق ليس هو الطريق الصحيح للخلافة ولم ينتهجه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وأرضاهم .

(٢) ولاية العهد لأكثر من شخص وهذا الخطأ كان له التأثير البالغ على الأمويين حيث سبب التنافر والخلافات وعدَّه المؤرخون من أسباب سقوط الخلافة الأموية[2] . ووقع فيه العباسيون من بداية عهدهم حيث

واللذات المحظورة والغناء سامحه الله . توفي الرشيد في ثالث جمادي الآخرة سنة ١٩٣هـ وله ٤٥ سنة . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٨٢) .

(١) المهتدي هو محمد ابو اسحاق وقيل ابو عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد بويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ وكان ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في امر الله قال الخطيب لم يزل صائماً منذ ولي الى ان قتل . قتله الجنود الاتراك سنة ٢٥٦هـ رحمه الله رحمة واسعة . انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٦١) .

(٢) محاضرات تاريخ الامم الاسلامية لمحمد الخضري (ص ٥٢) .

عهد السفاح في سنة ١٣٦ هـ بولاية العهد لأخيه أبي جعفر ثم من بعده لعيسى بن موسى[١] فلما ولي الخلافة أبو جعفر المنصور حمل عيسى بن موسى على التنازل عن الخلافة لابنهِ المهدي بالتهديد والإكراه[٢] ثم عهد المهدي بعد توليه الخلافة بولاية العهد لإبنيه الهادي والرشيد فلما ولي الخلافة الهادي حاول عزل الرشيد فامتنع الرشيد فتوفي الهادي قبل أن يتم له ذلك ويقال أنه سمَّ لأجل ذلك[٣] ولكن هارون الرشيد لم يأخذ العبرة من محاولة قتل أخيه له لأجل ولاية العهد فبايع بولاية العهد لابنه محمد ولقبه الأمين وعمره خمس سنوات ثم بايع لابنه عبد الله ولقبه بالمأمون وولاه ممالك خراسان ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي[٤] .

(٣) إنفاق الأموال من بيت مال المسلمين في غير وجه شرعي ولغير التأليف على الإسلام فكان الخلفاء العباسيون لا يتحرجون أن يعطوا شاعراً من الشعراء مائة ألف دينار فخالفوا بذلك الهدي النبوي الذي يأمر بأن يحثي في وجوه المداحين التراب واستبدلوا التراب بالذهب والأمثلة على هذا لا تكاد تحصى وهي مشهورة في كتب التاريخ والأدب . منها على سبيل المثال ما روي من أن الشاعر علي بن الجهم قال في مدح المتوكّل :

بسر من رأى أمام عدل	تغرف من بحره البحار
الملك فيه وفي بنيه	ما اختلف الليل والنهار
يرجى ويخشى لكل أمر	كأنه جنة ونار

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية لمحمد الخضري (ص ٥٢) .

(٢) المصدر السابق (ص ٨٩) وقارن بما في (ص ٣٠٩) من دولة بني العباس لشاكر مصطفى .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٨٠) .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٩٠) .

فأعطاه على هذا المديح درتين نفيستين قيمة كل درة مائة ألف درهم[1] والبيت الأخير من هذه القصيدة إن لم يكن لقائله تأويل فهو كفر بالله العلي العظيم فإنه سبحانه هو الذي يرجى ويخشى لكل أمر وبدلاً من أن يستتاب هذا الشاعر الخبيث لأجل هذا الكلام الفاحش يُعطى الأموال الطائلة . . نعوذ بالله من الخذلان وغلبة الهوى .

(٤) إعتمد أغلب خلفاء بني العباس في ولاياتهم على الأعاجم الذين لم تكن لهم سابقة في الإسلام ولا عرف عنهم من حسن التقوى والعمل الصالح ما يحمل على توليتهم وكان الأجدر بهم أن يجعلوا الولايات في أهل الصلاح والتقوى لأن الولاية أمانة ومن تضييع الأمانة إسنادها إلى غير أهلها ويفسر أغلب المؤرخين سبب تقديم العباسيين لعلوج الأعاجم على المشاهير من العرب المسلمين بأن الدعوة العباسية كانت في بلاد الفرس وهم الذين وطدوا سلطان خلفاء بني العباس ثم لما حصل النزاع بين الأمين والمأمون استعان المأمون بالفرس على الأمين فكان انتصاره سبباً لتقريب الفرس وإعطائهم المناصب العالية في الدولة[2] . يقول ابن كثير : « لما بويع للمأمون بالخلافة ولّي الحسن ابن سهل (وهو من الأعاجم) نيابة العراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن وبعث نوّابه إلى هذه الأقاليم »[3] .

فانظر إلى كثرة الأقطار التي تولى عليها شخص واحد لكونه صاحب حظوة عند الخليفة . . وقد كان لتحكم الأعاجم في أمر الدولة العباسية ضرره البالغ إذ نشأت حركات معادية للإسلام والمسلمين تنال التأييد والحماية من أولئك الأعاجم الذين تبوأوا المراكز العالية في

---

(١) العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ٢٥٧) .

(٢) انظر الشعوبية وأثرها (ص ٧٩) وما بعدها والعصر العباسي الأول لشوقي ضيف (ص ٢٣) وما بعدها .

(٣) البداية والنهاية (١٠ : ٢٤٤) .

الدولة ومن تلك الحركات حركة الزنادقة وحركة الشعوبيين وهما الحركتان اللتان كان لهما التأثير البالغ في إفساد المعتقدات والآداب الإسلامية مما جعل ابن قتيبة رحمه الله تعالى يقضي شطراً من عمره في فضح معتقداتهم وتحذير المسلمين من شرهم كما سيأتي إن شاءَ الله تعالى .

ويمكنني الآن تصنيف العصر العباسي إلى ثلاث مراحل :

(١) مرحلة تكوين الدولة العباسية ونشر مذهب أهل السنة والجماعة من عهد السفاح إلى آخر عهد هارون الرشيد على ما في هذه المرحلة من أخطاء في الحكم والإدارة .

(٢) مرحلة نشر مذهب الإعتزال وطغيان ترجمة كتب الأمم الأخرى مع الإحتفاظ بقوة الدولة الإستبدادية وذلك في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

(٣) مرحلة تغلب القواد الأتراك على الخلفاء وانكماش مذهب الإعتزال وذلك من عهد المتوكل إلى عهد المعتمد .

أما ما بعد هذه المراحل فلا يعنينا هنا لأن ابن قتيبة رحمه الله توفي سنة ٢٧٦ هـ في عهد المعتمد . وكان السبب في سيطرة الأتراك هو المعتصم حيث أن أمه تركية والأتراك فيهم شدة وبأس في القتال وكان المعتصم يعرف فيهم هذه الصفات فاصطفى أكابر قواده منهم كأشناس وإيتاخ ووصيف[١] فلما تولى الخلافة المتوكل قمع أهل الإعتزال وحاول التخلص من القواد الأتراك فكانت منيته على أيديهم بالتآمر مع إبنه المنتصر الذي لم يدم في الخلافة طويلاً وبعض المؤرخين يقول أن الأتراك دسوا له ما يقتله[١] . وفي خلافة المعتز بن المتوكل هجم

---

(١) الطبري (٩ : ١٢٢) .

(٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية ليوسف العشي (ص ٩٢) وما بعدها .

الأتـراك على القصر وأخـذوا الخليفة ووضعـوه في الشمس فوق الـرمال الحارة يرفع رجلاً ويضع أخرى وأخذوا يضربـونه بـالدبـابيس ثم أرغموه على أن يتنـازل عن الخلافـة لابن الواثق الـذي لقبوه بـالمهتدي[1] وقـد أظهر المهتدي بعـد توليـه الخلافـة من الورع والصـلاح ما جعـل الناس يشبهـونه بعمـر بن عبـد العـزيـز إلا أنّ الأتـراك لم يعجبهم هـذا العـدل لأنهم لم يـألفوه فقتلوه وأحضـروا أحمد بن المتـوكل فبـايعوه بـالخـلافـة ولقبوه بالمعتمد[2] .

وقـد أثار هـذا التصـرف من الأتـراك سخط النـاس وغضبهم حتى قـال أحد الشعراء في وصف تلك الحال :

خـليفـة فـي قـفص بـيـن وصـيـف وبـغـا
يقـول مـا قـالا لـه كمـا تقـول الببـغـا[3]

على أن الخـلافة العبـاسية أخـذت تستعيـد نفـوذهـا قبـل نهـايـة عهـد الخليفـة المعتمـد (٢٥٦ ـ ٢٧٩) بسبب تـولي أخيـه المـوفق قيـادة الجيش فـاستطاع أن يحـد من نفوذ الأتـراك كما تمكن من إخمـاد ثورة الـزنـج وقتـل زعيمهم فأعاد إلى الخلافة العبـاسية شيئـاً غير قليـل من هيبتها[4] . وقـد كان هــذا الضعف في بعض خلفــاء بني العبــاس وسـيــطرة الأعــاجم عـليهـم وانغماسهم في الترف واللهـو والمجون ومـا سبقه ورافقـه من عوامـل سببا في كثرة الإنفصالات عن الدولة العبـاسية واستقـلال بعض الأسر المشهـورة بكثير من الأقـاليم ولم يعد للعبـاسيين من الأمر في تلك الأقـاليم سوى الـدعاء لهم يـوم الجمعة والعيـدين في الخطبـة ونزراً يسيـراً من الهـدايـا ومن تلك الأسـر التي استقلت :

---

(١) المصدر السابق (ص ١٠٧) .

(٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية ليوسف العشي (ص ١٠٨) .

(٣) ابن قتيبة للدكتور محمد زغلول (ص ٩) .

(٤) انظر الطبري (٧ : ٥٧٥) ، كتاب قرامطة العراق لمحمد عبد الفتاح (ص ١٢٩) .

(١) الأدارسة في مراكش من عام ١٧٢ هـ إلى ٣٧٥ هـ .
(٢) الأغالبة في تونس وما حولها من عام ١٨٤ هـ إلى ٢٩٦ هـ .

(٣) الطولونيون في مصر من عام ٢٥٤ هـ إلى ٢٩٢ هـ .

(٤) الإمارة اليمنية في اليمن من عام ٢٤٧ هـ إلى ٣٤٥ هـ .

(٥) العلويون في طبرستان من ٢٥٠ هـ إلى ٣١٦ هـ .

(٦) الطاهريون في خراسان من ٢٠٥ هـ إلى ٢٥٩ هـ .

(٧) الصفاريون في فارس من ٢٥٤ هـ إلى ٢٩٠ هـ .

(٨) السامانيون في بلاد ما وراء النهر من ٢٦١ هـ إلى ٣٨٩ هـ[١] .

وقد عاش ابن قتيبة رحمه الله هذه الفوضى وهذه الإضطرابات إبان ضعف الخلافة العباسية وقد تولى لهم بعض الولايات كولاية القضاء وكان يكتب لهم وينصحهم في بعض الأمور كما سيأتي إن شاء الله تعالى . والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية لفاروق عمر (ص ٢٤٤ ، ٢٤٥) .

المبحث الثاني

الناحية العلمية

إن العصر الذي عاش فيه ابن قتيبة يعتبر من أزهر عصور الإسلام في الناحية العلمية وذلك لأننا إذا ألقينا نظرة على علماء ذلك العصر نجدهم الدعامات الأساسية للعلوم المختلفة وأغلب المؤلفين عالة على ما كتب في ذلك العصر إلى اليوم . فإن عمدة المفسرين ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ألّف تفسيره العظيم في ذلك العصر وألّف تأريخه الشهير الذي لا يستغني عنه باحث في التاريخ وأشهر الكتب في الحديث أُلّفت في ذلك العصر وهي صحيح البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ وسنن أبي داود المتوفى سنة ٢٧٥هـ والجامع للترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ وسنن النسائي المتوفي سنة ٣٠٣هـ ومصنف ابن ابي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ ، ومسند أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ وانتشرت في عصر ابن قتيبة مذاهب الأئمة الأربعة ومذهب علي بن داود الظاهري المتوفي سنة ٢٧٠هـ[1] .

ومن علماء اللغة العربية ابن السكيت المتوفي سنة ٢٤٣هـ وابن الأعرابي سنة ٢٣١هـ وثعلب سنة ٢٩١هـ وأبو عثمان المازني المتوفي سنة ٢٤٩هـ وأبو حاتم السجستاني المتوفي سنة ٢٥٠هـ ، وأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٣هـ ، والمبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ .

---

(١) انظر العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ١٦٤) وما بعدها .

ومن علماء التاريخ والجغرافيا البلخي المتوفي سنة ٣٢٢هـ ، واليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤هـ .

ومن علماء الطب ابن ماسويه المتوفي سنة ٢٤٣هـ وأبو بكر الرازي المتوفي سنة ٣١١هـ[١] . وغير هؤلاء من فطاحل العلماء من لا يحصون كثرة ولا شك أن عصراً أنجب هؤلاء لهو من أرقى عصور المعرفة وقد بلغت الترجمة أوج قوتها في هذا العصر فقد ترجمت معظم علوم الأمم السابقة من نافع وضار الى العربية وتبنى هذه الترجمة الخلفاء والوزراء ومشاهير الدولة في ذلك العصر فقد روي أن المأمون كان يعطي المترجم حنين ابن إسحاق من الذهب زنة ما ينقله الى العربية مثلاً بمثل[٢] . وقد كان من هذه الكتب المترجمة سماً زعافاً أضر بالمسلمين في دينهم وأخلاقهم أيّما أضرار كما كان منها ما هو نافع ومفيد في علوم الطب والصناعات .

والناظر في مؤلفات ابن قتيبة يعلم أنه ذو اطلاع واسع على ثقافات عدة فهو ينقل في كتبه من أخبار الأمم السابقة وطرائفها وآدابها ما يدل على أنه اطلع على الكتب المترجمة واستفاد منها وعرف غثها وسمينها حيث انتقد من تأثروا بها في باب الاعتقادات والآداب كما يظهر من كتابه تأويل مختلف الحديث ومن مقدمة كتابه أدب الكاتب .

ومما ساعد على دفع الحركة العلمية في عصر ابن قتيبة الى الأمام تفرغ العلماء فإن حركة الفتوح قد خفت في هذا العصر ولم يعدو الأمر تأديب الروم إذا اعتدوا ثم عقد المصالحة والمهادنة معهم . . أما ما ينشب من ثورات في أكثر الأقاليم في ذلك العصر فلم يكن للعلماء غالباً فيها اشتراك فإن أغلب أصحابها مسلمون يثورون على الدولة العباسية لظلم يقع عليهم أو لطلب منصب أو ولايةٍ يدل على هذا أن الإمام مالك لما سأله الناس عندما خرج محمد بن عبد الله النفس الزكية بالمدينة وخرّج أخوه إبراهيم بالعراق على

---

(١) انظر كتاب ابن قتيبة الناقد الاديب للجندي (ص ٨٢) وما بعدها .

(٢) ابن قتيبة الناقد الاديب للجندي (ص ١٣) .

الدولة العباسية قال : « إن كان الخروج على مثل عمر بن عبد العزيز لا يجوز وان لم يكن على مثله فدعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم الله من كليهما »[1] .

وكان لتفرغ العلماء هذا أثره الطيب في إثراء المكتبة الإسلامية بشتى المصنفات المفيدة . وقد استغل هذه الحركة العلمية الهائلة وما صاحبها من حرية فكرية طائفةٌ من الناس سخروا لحرب الإسلام والتشكيك فيه والنيل من الرعيلِ الأولِ ومن بعدهم من العلماء الصالحين فكان لزاماً على العلماء المخلصين في هذا العصر أن يبطلوا كيد أولئك ويحموا عوام المسلمين من شرورهم فكان هذا دافعاً للحركة العلمية إلى الأمام فإن جانباً عظيماً من المكتبة الإسلامية في ذلك العصر قد خصصت لرد الإفتراءات وبيان بطلانها وانتقاد أصحابها . وقد ساهم ابن قتيبة في هذا المضمار مساهمةً فعَّالة ودافع عن الإسلام ضد هجوم الزنادقة والشعوبية والجهمية والرافضة وغيرهم ممن خالف الطريق المستقيم سواء كان عن إجتهاد وحسن نية أو عن مكر وخبث طوية ومما ساعد على إنتشار الحركة العلمية أيضاً صناعة الورق التي تمت على يد هارون الرشيد وانتشار الورّاقين في الأسواق وأصحاب المكتبات الذين يؤجرون مكاتبهم للإطلاع على محتوياتها بأجرة قليلة فصار من لا يستطيع إقتناء الكتب لفقره يستطيع أن يطلع عليها في المكاتب ودور الورّاقين . ولا ننسى ما للمسجد من دورٍ عظيمٍ في نشر العلم والمعرفة في ذلك العصر فقد كانت المساجد على كثرتها مفتحة الأبواب وفيها حلق العلم والدروس في شتى الفنون والتخصصات فالمسجد في ذلك الوقت أشبه بجامعةٍ . اذ تجد حلقة في طرف المسجد يدرس فيها الحديث وعلومه وقريباً منها حلقة فيها عالم يدرس التفسير وفي أخرى الفقه وفي أخرى الأصول والعقائد وهكذا لذا نجد أكثر علماء العصر موسوعات علمية في فنون شتى

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لابي زهرة (١ : ٥١) .

ومن هؤلاء ابن قتيبة رحمه الله تعالى ، فإنه أتقن فنوناً جمة فألّف في تفسير القرآن وألّف في الحديث وفي العقائد وفي الشعر وفي اللغة وفي النقد والأدب وفي التاريخ وفي الفلك الى غير ذلك . وإضافةً الى ما سبق فإن مما ساعد على تقدم الحركة العلمّية تشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والعلماء فهم يعطونهم العطاء السخي ويبالغون في إكرامهم غالباً وكثيراً ما تكون مجالس الخلفاء والوزراء كندوات عامة تجري فيها المناظرة والمناقشة واستظهار الأدلة . لذا اتجه الناس اتجاهاً حقيقياً للعلم لأنه لا مكان لجاهل بين أمّةٍ متعلمة[1] .

ويقول العقاد في وصف عصر ابن قتيبة: « . . . ان كان لكل دولة أوان للبذور وأوان للنماء وأوان للحصاد فالقرن الثالث للهجرة كان أوان النماء للدولة العباسية جاء بعيد التمهيد وقبيل النضج والذبول ففيه نما وأزهر كل ما بذره مؤسسوا الدولة من جراثيم الخير والشر وعناصر الصلاح والفساد وكانت الدولة في إبانه أشبه شيء بالمرج الأخضر الذي ينمو فيه الحب والفاكهة والشوك والعشب المسموم . خضرة زاهية نضرة ولكنها وسيمة شائهة ومصلحة مهلكة ومرجوة مخشية ومختلط فيها السم والغذاء فهو العصر الذي بلغ كل شيء فيه أقصاه وأثمر كل عمل فيه نتاجه المحتوم أثمر فيه الخطأ كما أثمر فيه التوفيق وظهر فيه ما قدموا صالحاً او طالحاً على السواء فبدأ بالتمام وبدأ بالنقص في حينٍ واحد واجتمع الخليط من حضارات العرب والفرس والروم»[2] .

وما ذكره العقاد هو عين الصواب فإنه في هذا العصر بلغت علوم الشريعة من دراسات قرآنية وحديثية أو عزّها كما أسلفت وكذلك علوم

---

(١) انظر العصر العباسي الأول لشوقي ضيف (ص ٩٨ ـ ١٣٨) ، وقارن بما في العصر العباسي الثاني له ايضاً (ص ١١٥ ـ ١٦٠) وقارن ايضاً بما كتبه يوسف العشي في تاريخ عصر الخلافة العباسية (ص ٢٢٣ ـ ٢٤٧) .

(٢) ابن الرومي للعقاد (ص ١٠) .

الإجتماع والفلك والطب والآداب كما ظهرت شتلات الشر أمام أعين الناس من زنادقة وشعوبية وقرامطة وفلاسفة لبسوا على الناس أمر دينهم باسم العلم والبحث وجنى المسلمون ثمار الترجمة لكل ما هب ودب مراً علقماً في شتى مجالات الحياة .

أما الناحية الإعتقادية فإنه منذ أواخر عهد الخلفاء الراشدين بدأت تظهر بعض الآراء الإعتقادية المخالفة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ذلك آراء عبد الله بن سبأ وآراء الخوارج وبعد ذلك آراء القدرية وقد أنكر الصحابة هذه الآراء وبيّنوا مخالفتها لعقيدة الإسلام الصافية[1] . وهذه الآراء المخالفة لما عليه الصحابة هي النواة الأولى للفرق المتعددة التي عرفت فيما بعد كالشيعة والخوارج والقدرية والمعتزلة والجهمية والمرجئة والتي أصبحت قبل عهد ابن قتيبة وفي عهده لها آراء منظمة تعرف بها وتدافع عنها وتدعو لها .

والناظر في الآراء الإعتقادية التي حدثت في آخر عهد الصحابة وبعد انتهاء عهدهم وتطورت في عصر ابن قتيبة تطوراً ظاهراً يستطيع أن يلخّص الأسباب التي أدت الى ظهورها فيما يلي :

(١) وجود بعض الناقمين على الإسلام داخل الصف الإسلامي إذ دخلوا في الإسلام ظاهراً وأرادوا الكَيْدَ له باطناً فأخذوا يشيعون الأكاذيب والخرافات بحجة الغيرة على الإسلام أو بحجة الأمر بالمعروف وطاغوت هؤلاء هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تولى كبر الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه وأتى بعقائد فاسدة غريبة عن الإسلام كعقيدة الرجعة وأن علياً وصي النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

(٢) عدم اقتصار المسلمين على ما في الكتاب والسنة من العقائد كما كان

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٠ : ٣٥٨) .

(٢) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ٣١) .

الصحابة يفعلون بل استقت الأجيال التالية فلسفة الإغريق ومنطقهم وأساطير الفرس وتصوراتهم وإسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات عندما ترجمت كتب الأمم الأخرى الى اللغة العربية وأقبل أكثر الناس على الكتب المترجمة بدون التمييز بين الغث والسمين واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم وعلم العقائد والفقه والأصول مما نتج عنه اختلاف الناس في باب العقائد ونشوء الفرق الاعتقادية[1] .

(٣) انتشار الفتح الإسلامي في بقاع كثيرة ودخول أهلها في الإسلام وهم يحملون كثيراً من رواسب الجاهلية ولم ينالوا من التربية الإسلامية على العقيدة الصحيحة مثل ما نال الرعيلُ الأول من الصحابة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لكثرتهم وانشغال الفاتحين بالحروب والفتوح الجديدة فأخذ هؤلاء المسلمون الجدد في بث ما لديهم من ثقافات ورواسب من الجاهلية ظناً منهم أنّها لا تتعارض مع الإسلام مع العلم أن الثقافة المنبثقة من تصورات جاهلية لا تصلح أن تكون مرتكزاً للعقيدة الإسلامية[2] .

وقد أتى ابن قتيبة الى الحياة والفِرق الإسلامية كالخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والقدرية والجهمية قد انتشرت أفكارها بين الناس وقد عرف الناس دعاتها وما يتعلقون به من أدلة وقد كان للمعتزلة في عهده صولة وجولة اذ تبنى الإعتزال ثلاثة من خلفاء بني العباس هم المأمون والمعتصم والواثق وحملوا الناس على اعتناقه بقوة السلطان وكذلك الزنادقة فقد كان لهم في عصر ابن قتيبة نشاط ظاهر وكانوا يلونونه في اشكال مختلفة فتارة في شكل ثورات سياسية كثورات الزنج والإفشين وتارة في نشر المجون المفسدة

---

(١) معالم في الطريق لسيد قطب (ص ١٤) .

(١) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ١٣) وقارن بما كتبه سيد قطب في معالم في الطريق وخصائص التصور الإسلامي عن تقرير هذه الحقيقة .

للاخلاق وتارة في نشر الآراء المتطرفة المفسدة للعقائد وتارة في وضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أقرّ زنديق أمام المهدي بأنه وضع مائة حديث تجول في أيدي الناس ولما قدم عبد الكريم بن أبي العوجاء للقتل إعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث[1] . وقد رأى علماء السلف هذا الخطر الداهم على معتقدات الأمة الإسلامية فأشهروا ألسنتهم وأقلامهم لتعرية الباطل وكشف زيف شبه الأعداء وقد كان في عصر ابن قتيبة ثلة من علماء السلف كان لهم اليد الطولى في بيان الحق والذب عنه وقمع الباطل منهم ابو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة المتوفي سنة ٢٣٥هـ[2] والف في ذلك كتاب السنة ويحيى بن يحيى بكير بن عبد الرحمن بن يحيى الحنظلي الحافظ المتوفى سنة ٢٢٦هـ[3] وأبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي المتوفي سنة ٢٢٨هـ[4] . وعبد الله بن محمد بن

---

(١) انظر السنة ومكانتها في التشريع للسباعي (ص ٨٢) .

(٢) هو الإمام الحافظ الشهير بأبي بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ هو صاحب المسند والمصنف وغير ذلك سمع من شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وابو الأحوص وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم وروى عنه ابو زرعة والبخاري ومسلم وابو داود وغيرهم قال احمد ابو بكر صاحب المصنف صدوق هو احب إلي من اخيه عثمان وقال العجلي ثقة حافظ قال البخاري مات ابو بكر بن ابي شيبة سنة ٢٣٥هـ . انظر مقدمة كتاب المصنف لابن ابي شيبة (ص ٥).

(٢) هو يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي الحنظلي او زكريا النيسابوري روى عن مالك وسليمان بن بلال وخلق كثير وعنه البخاري ومسلم وخلق كثير قال ابن حنبل ما اخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثله وكان يسمى ريحانة اهل خراسان مات في آخر صفر سنة ٢٢٦هـ .

انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٢٩٧) .

(٤) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي ابو عبد الله المروزي روي عن خلق كثير منهم ابن عيينة وابن المبارك وفضيل بن عياض وروي عنه البخاري مقروناً ومحمد بن يحيى الذهلي ويحيى بن معين وخلق غيرهم قال ابن حنبل كان نعيم كاتباً لأبي عصمة وهو شديد الرد على الجهمية واهل الأهواء ومنه تعلم نعيم بن حماد وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما اخطأ ووهم مات في السجن في بغداد زمن المحنة بخلق القرآن سنة ٢٢٨هـ . انظر تهذيب التهذيب (١٠ : ٤٦٢) .

عبد الله الجعفي شيخ البخاري المتوفي سنة ٢٢٩هـ[١] . والإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن راهويه المتوفي سنة ٢٣٨هـ[٢] والإمام أحمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١هـ الذي صنّف كتاب الرّد على الجهمية والزنادقة والإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفي سنة ٢٥٦هـ الذي صنّف كتاب خلق أفعال العباد والردّ على الجهمية وأبو بكر أحمد بن محمد بن هانيء الأثرم المتوفي سنة ٢٧٣هـ[٣] . الذي ألّف كتاب السنّة وعثمان بن سعيد الدارمي تلميذ يحيى بن معين المتوفي سنة ٢٨٠[٤] الذي ألّف كتاب الرد على الجهمية وكتاب الرد على بشر المريسي وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفي سنة ٣١١هـ[٥] الذي ألّف كتاب التوحيد وغير هؤلاء كثير وكلهم قد

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الجعفي البخاري المعروف بالمسندي روى عن ابن عيينة وعبد الرزاق وخلق كثير وروى عنه البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهم ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان متقناً وقال احمد بن سيار من المعروفين بالعدالة والصدق صاحب سنة عرف بالاتقان والضبط مات سنة ٢٢٩هـ .

انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٩) .

(٢) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن قتيبة .

(٣) هو احمد بن محمد بن هانيء الطائي ابو بكر الاثرم البغدادي روى عن احمد بن حنبل وتفقه عليه وسأله عن المسائل والعلل وغيره وروى عنه النسائي وموسى بن هارون والبغوي . قال ابراهيم بن اورمة الأثرم احفظ من ابي زرعة واتقن وقال الخلال كان معه تيقظ عجيب جداً . مات سنة ٢٧٣هـ .

انظر تهذيب التهذيب : (١ : ٧٩) .

(٤) هو الإمام ابو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجزي الحافظ صاحب التصانيف . روى عن سليمان بن حرب وطبقته وكان جذعاً وقذى في اعين المبتدعة قيماً بالسنة ثقة حجة ثبتاً قال يعقوب بن اسحاق الفروي ما رأينا اجمع منه اخذ الفقه عنالبويطي والعربية عن ابن الأعرابي والحديث عن ابن المديني توفي في ذي الحجة سنة ٢٨٠هـ . قال الأسنوي هو احد الحفاظ الاعلام طاف البلاد في طلب الحديث وصنف المسند الكبير .

انظر شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ١٧٦) .

(٥) هو امام الأئمة ابو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الحافظ صاحب التصانيف شيخ الإسلام ولد سنة ٢٢٢هـ وروى عن علي بن حجر وابن راهويه ومحمود بن غيلان وخلق وعنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين وغيرهما رحل الى الشام والحجاز

شرحوا العقيدة السلفية وبيّنـوها للنـاس وردوا على المخالفين فكـان عصر ابن قتيبـة بحق من أزهر عصـور العلم في شتى المجـالات وإن كـان فيـه خـطوط سـوداء إلا أنّ البياض غـالب على السواد بفضـل الله تعالى ثم بفضـل جهـود هؤلاء العلماء الذين عايشهم ابن قتيبة وتتلمذ عليهم وتتلمذ بعضهم عليه والله تعالى أعلم .

والعراق ومصر وتفقه على المزني وغيره قال الحافظ ابو علي النيسابوري لم أرَ مثـل محمد بن إسحاق وقال ابن حبان لم يرَ مثل ابن خزيمـة في حفظ الاسناد والمتن وقـال الدارقـطني كان إماماً معدوم النظير وقال الأسنوي في طبقاته صار ابن خزيمة إمام زمانه بخراسـان رحلت اليه الطلبة من الآفاق وقال شيخه الربيع إستفدنا من ابنَ خزيمة اكثر مما استفاد منا . توفي رحمـه الله سنة ٣١١هـ .

انظر شذرات الذهب (٢ : ٢٦٢) .

المبحث الثالث

الناحية الاجتماعية

المجتمع الذي عاش فيه ابن قتيبة يتألف من أجناس مختلفة من عرب وفرس وأتراك وهنود وزنوج وغيرهم جمع بينهم الإسلام ـ باستثناء أهل الذمة ـ فخضعوا لرب واحد ولشريعة واحدة ثم لخليفة واحد ومن المعلوم أنّ اختلاط بشر بهذه الكثافة يكون له من النتائج السلبية والإيجابية الشيء الكثير وقد كان . فمن النتائج الطيبة لهذا التمازج والإجتماع على عقيدة واحدة انتشار الإسلام واشتداد ساعده والتوسع في الفتوح وفي النهضة العلمية والعمرانية وفي شتى مجالات الحياة . ومن النتائج السلبية أنّ بعض من دخلوا في الإسلام لم يتخلصوا كلياً من بعض الأشكال السلوكية والعادات الإجتماعية التي كانوا يمارسونها قبل الدخول في الاسلام فأثروا بها في المجتمع الإسلامي فسرت فيه عادات غريبة في الملبس والمطعم والمشرب بل وفي التعامل والآداب على أنه اندس من بين هؤلاء قوم أظهروا الإسلام وأبطنوا البغض له والكيد وأخذوا على أنفسهم تقويض صرحه الشامخ ونخر أسسه من الداخل وهم لا يتحرجون من إبداء بغضهم هذا عند خاصتهم وإذا تمكن أحدهم لدى الخلفاء وكان له عندهم منزلة واطمأن بأنه لا يناله منهم عقاب أعلن ما يحيك في صدره كما أعلنها صراحة شاعر المتوكل المعروف المتوكلي حيث يقول :

أنـا ابـن الأكـارم من نـسـل جم	وحـائـز إرث مـلوك الـعـجـم
وطـالـب أوتـارهـم جـهـرة	فـمن نـام عـن حقـهـم لـم أنـم
فـقـل لبـني هـاشـم أجـمعـين	هـلمـوا الى الخلع قبـل النـدم
وعـودوا الى أرضكم بـالحـجـاز	لأكـل الـضبـاب ورعي الـغـنـم
فـأنـي سـأعلوا سـريـر الـمـلوك	بحـد الحسـام وحـرف القلم[1]

وفي هذه القصيدة يتضح بغض الشاعر لبني هاشم ومطالبته بأن يعود ملك الوثنيين الذي أزاله الله على أيدي المسلمين وما أكثر أمثال هذا الشاعر الذين اندسوا في المسلمين أيام قوة الإسلام وأثروا فيه تأثيراً بالغاً وما موجة الإعتزال والتجهم والرفض والشعوبية إلا نتيجة لدسائس هؤلاء الأعداء الخفيين وقد أدرك المسلمون هذه الحقيقة من قبل عصر ابن قتيبة فأخذوا على عواتقهم حماية الإسلام والمسلمين من شرورهم فقد عين الخليفة العباسي المهدي رجلاً وكَّل اليه أمر الزنادقة سمي صاحب الزنادقة . يقول الطبري في حوادث سنة ١٦٧ هـ وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلواذي[2] . ويروي أيضاً في حوادث سنة ١٦٩ هـ بأن الهادي بن المهدي اشتد في طلب الزنادقة فقتل منهم جماعة فكان ممن قتل يزدان بن باذان كاتب يقطين وابنه علي بن يقطين من أهل النهروان وذكر عنه أنه حج فنظر الى الناس يهرولون في الطواف فقال ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البيدر[3] .

ويقول في حوادث سنة ١٧١ هـ أن الرشيد في هذه السنة أمّن من كان هارباً أو مستخفياً غير نفر من الزنادقة فيهم يونس بن فروة ويزيد بن الفيض[4] .

---

(١) انظر العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ١٠٠) وما بعدها .
(٢) الطبري (١٠ : ٩) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الطبري (١٠ : ٥٠) .

وقد شارك العلماء في حرب الزنادقة والشعوبية وأهل الأهـواء وموجـات المجون التي كان يذكي أوارها الـزنادقـة وفي مقدمـة هؤلاء العلماء ابن قتيبـة عليـه رحمة الله . وسنعـرض دور ابن قتيبـة في هـذا المضمـار في المبـاحث اللاحقة إن شاء الله تعالى .

أما أحوال المعيشية في عصر ابن قتيبة فالناس فيها على ثلاث طبقات كما فصله الدكتور شوقي ضيف[1] . طبقة عليا وهم الخلفاء والوزراء والقـواد والـولاة ومن يلحق بهم من الأمراء وكبـار رجال الـدولة ورؤوس التجـار وطبقة وسطى وهم رجال الجيش ومـوظفي الدواوين والتجـار والصناع الممتـازين ثم طبقة دنيا وهم العامة من الزراع وأصحاب الحـرف الصغيرة والخـدم . وكانت الـطبقة العليـا تغرق في النعيم الـذي لم يسبق له مثيـل إلا عند أبـاطرة الـروم والفرس ، يدل على هذا ما أنفقه وزير المأمون الحسن بن سهـل عندمـا زوج ابنتـه بوران للمـأمون من الأمـوال الطائلة يقـول ابن كثير : « . . . ونثـر عليها أبوها يومئذ وعلى الناس بنادق المسك مكتوب في ورقـة وسط كل بنـدقة إسم قرية أو ملك جارية أو غلام أو فرس فمن وصـل اليه شيء ملكـه . ونثر ذلـك على عامة الناس ونثر الدنانير ونوافج المسك، وبيض العنبر وأنفق على المأمون وعسكره مدة إقامته تلك الأيـام الخمس ألف ألف درهم فلما تـرحل المـأمون عنه أطلق له عشرة آلاف درهم وأقطعه فم الصلح وبنى بها في سنة عشر فلمـا جلس المأمون فرشوا لـه حصراً من ذهب ونثـروا على قدميـه ألف حبة جـوهر وهناك ثور من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين منا من عنبر . . . »[2] .

فإذا كانت هذه الأموال يملكها وزير بل يملك أضعافهـا أضعافـاً كثيرة ـ لأنـه من غير المعقـول أنه أنفق أمـواله كلهـا أو حتى نصفهـا في زواج إحـدى بناته ـ فكم تكون ثروة الخليفة . . إن ثروة الخليفة لا تكاد توصف ولنلق نظرة على قصور المتوكل .

---

(١) انظر العصر العباسي الثاني (ص ٥٣) وما بعدها .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٤٩) .

يقول شوقي ضيف عن المتوكل : « . . . وكان كلما بنى قصراً أتبعه بآخر حتى بلغت قصوره نحو العشرين وهي بركوار (دار الهناءة) والشاه والعروس والبركة والجوسق والمختار والجعفري والغريب والبديع والصبيح والمليح والشبداز والقصور والجامع والقلاية والبرج والمتوكلية والبهو واللؤلؤة وبلغ ما أنفقه على تلك القصور مائتين وأربعة وسبعين مليوناً من الدراهم وكان البرج من أجملها زينة إذ جعل فيه صوراً عظيمة من الذهب والفضة وبركة جعل فرشها ظاهراً وباطناً صفائح الفضة . وألبست حيطان القصر من الداخل والخارج بالفسيفساء والرُّخام المذهّب ويقال أن نفقة هذا القصر وحده بلغت مليوناً وسبعمائة ألف دينار »[1] .

وإذا كانت هذه قصور الخليفة فكم تكون الضياع والكنوز . . ان هذا يدل على مبلغ الترف الذي وصلت إليه الطبقة العليا في عصر ابن قتيبة كما يدل على سوء تصرف الحكام وأعوانهم في ذلك العصر وأنهم يستغلون أموال المسلمين لمصالحهم الشخصية وإلاّ فلماذا الثراء وكثرة الأموال لا تكاد تفارق خليفة أو وزيراً ولا تجد من بينهم متوسط الحال أو فقيرها بعكس حال الرعيلُ الأول من الخلفاء الراشدين وولاتهم . وقد كان من مظاهر الترف في عصر ابن قتيبة كثرة الجواري في بيوت أكابر الناس من الحكام وأعوانهم كثرة مفرطة وهن من جنسيات مختلفة وقد كن من أكبر عوامل الإفساد في ذلك العصر لعدم احتشامهن ولاحترافهن الغناء ومغالاتهن في التزين وفتنة الناس . . يقول شوقي ضيف : « . . وممن كن يحسن الغناء فريدة زوجة المتوكل وجاريته محبوبة وقلم الصالحية وشاجي جارية عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد نسب إليها كل ما صنعه من الغناء والأصوات وكانت هناك جماعة كبيرة إشتهرت بالغناء على الطنبور في مقدمتها أبو حشيشة الطنبوري الذي عاش الى عصر المعتمد وسليمان بن القصار الطنبوري وكان المعتز أنيساً به ويقال

(١) العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف (ص ٥٥) .

أنه غناه يوماً صوتاً فأعطاه مائة دينار »[1] . وكما أسرفت الطبقة المترفة في الغناء أسرفت في شرب النبيذ بل تعدته الى أم الخبائث وكثر الحديث عن شرب الخمر في بيوت الخلفاء والوزراء حتى تغنى بذلك الشعراء محبذين شرب الخمر بدون خوف من جبار السموات والأرض . من ذلك قول البحتري قبحه الله إن صح عنه :

أشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء

من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشوق الذي قد ضل في الأحشاء[2]

ومع هذا فإن الطابع العام للمجتمع في عصر ابن قتيبة هو الطابع الإسلامي فسواد الناس متمسكون بالفضيلة لأن الفساد كان مقصوراً غالباً في بيوت السلاطين وأعوانهم ومن تشبه بهم أما عامة المجتمع ففيهم العلماء الأفاضل وفيهم العباد الذين طبقت شهرتهم الآفاق وكان الجهاد قائماً وعدد غير يسير من جيوش المسلمين مرابطة بالثغور تجاهد أعداء الله وترفع راية الله عالية ولم يكن لتلك الطبقة المترفة الفاسدة شأن يذكر في توجيه إقتصاد المجتمع أو تعليمه أو قيمه بل كان ينظر إليهم نظرة إحتقار وازدراء لا نظرة إكبار وإعجاب كما ينظر للعلماء والفضلاء من أهل التقوى والصلاح والله تعالى أعلم .

---

(١) العصر العباسي الثاني (ص ٨٩) .

(٢) العصر العباسي الثاني (ص ٩٣) .

الباب الثاني

حياة ابن قتيبة

المبحث الأول : اسمه ومولده .

المبحث الثاني : شيوخه .

المبحث الثالث : مكانته العلمية ومؤلفاته .

المبحث الرابع : صلته بحكام عصره .

المبحث الخامس : تلاميذه .

المبحث السادس : وفاته .

المبحث السابع : أقوال العلماء فيه .



المبحث الأول

اسمه ومولده

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي الدينوري[1] .

وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أنّ كنيته أبو عبد الله وهذا خطأ لا يعرج عليه لأن ابن قتيبة ذكر نفسه بكنيته كثيراً في كتبه فيقول قال أبو محمد .

---

(١) انظر ترجمة ابن قتيبة في (ص ٢) من تأويل مشكل القرآن ، (ص ١١) غريب الحديث ، المعارف (ص ٣٣) ، الميسر والقداح (ص ٨) ، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ (ص ٥) ، مراتب النحويين لأبي الطيب (ص ١٣٦) ، تهذيب اللغة للأزهري (ص ١٣١) ، طبقات النحويين للزبيدي (١ : ١٨٣) ، فهرست ابن النديم (ص ١١٥) ، الأنساب للسمعاني (١٠ : ٣٤٠) ، تاريخ بغداد للخطيب (١٠ : ١٧٠) ، المنتظم لابن الجوزي (٥ : ١٠٢) ،نزهة الالباء لابن الانباري (ص ٢٠٩) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (١ : ٣١٤) ، الكامل في التاريخ (٧ : ٤٣٨) ، اللباب لابن الأثير (٣ : ١٥) ، دائرة المعارف للبستاني (١ : ٦٤٥) ، الاعلام للزركلي (٤ : ٢٨٠) ، (١ : ٢٤٦) ، من طبقات المفسرين للداوودي ، هداية العارفين للبغدادي (١ : ٤٤١) ، بغية الوعاة للسيوطي (٢ : ٦٣) ، انباه الرواة للقفطي (٢ : ١٤٣) ، ميزان الاعتدال للذهبي (٢ : ٥٠٣) ، مرآة الجنان لليافعي (٢ : ١٩١) ، البداية لابن كثير (١١ : ٤٨) ، لسان الميزان لابن حجر (٣ : ٣٥٨) ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردى (٣ : ٧٥) ، شذرات الذهب لابن العماد (٢ : ١٦٩) ، ضحى الإسلام لأحمد امين (١ : ٤٢٥) ، دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين (١ : ٣٧٠) ، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢ : ١٨٧) ، مرآة الزمان لسبط بن الجوزي مخطوطة ، تهذيب الاسماء للنووي (٢ : ٢٨١) ، وسير اعلام النبلاء للذهبي (٩ : ١٣٨) ، تاريخ دول الإسلام للذهبي مخطوطة : فتح الباقي شرح الفية العراقي (٢ : ٢٧٩) ، كتاب ابن قتيبة للدكتور محمد سعد زغلول وابن قتيبة للدكتور عبد الحميد سند الجندي وابن قتيبة ونقد الشعر لمريس الحارثي (رسالة ماجستير) .

وهو أعلم بنفسه من غيره ولم يذكر أحد من المترجمين له أن كنيته أبو عبد الله غير أصحاب دائرة المعارف فلعله خطأ وقع في الطباعة .

وابن قتيبة ينسب الى جده قتيبة فيقال القتيبي أو القتبي . قال السمعاني (والقتبي بضم القاف وفتح التاء وكسر الباء . هذه النسبة الى الجد والى بطن من بأهله . فأما النسبة الى الجد ـ هو قتيبة ـ فالمشهور بهذه النسبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب)[1] .

وقتيبة تصغير قتبة وهي واحدة الأقتاب . والأقتاب الأمعاء[2] وقيل القتبة معناها الآكاف التي توضع على ظهر الراحلة[3] .

والمروزي نسبة الى مرو العظمي لأن أصله منها[4] .

أما الدينوري فنسبة الى الدينور من مدن الجبل قرب قرميسين نسب إليها وهو ليس من أهلها لأنه ولي القضاء فيها فترة من الزمن[5] .

ولد ابن قتيبة في سنة ٢١٣ هـ في أواخر خلافة المأمون باتفاق المؤرخين . وقد اختلف المؤرخون له في تعيين الموضع الذي ولد فيه فقال ابن الأنباري وابن النديم وابن الأثير أنه ولد بالكوفة . وقال الخطيب والسمعاني والقفطي أنه ولد في بغداد . وقال سبط بن الجوزي أنه ولد بمرو والله أعلم بالصواب فلم أقف على ما يرجح أحد الأقوال .

وابن قتيبة من أُسرة فارسية كانت تقطن مدينة مرو ، وقد أخطأ المستشرق سالم الكرنكوي محقق كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة حيث يقول (ولا ذكروا أعربي النسب هو أم مولى غير أن الذي يشعر به اسم أبيه وجده أنه عربي)[6] .

وهذا المستشرق أطلق الكلام جزافاً ولم يتثبت كعادة أغلب

---

(١) الانساب للسمعاني (١٠ : ٣٤٠) .

(٢) مقدمة الميسر والقداح (ص ٨) .

(٣) مقدمة غريب الحديث لابن قتيبة (ص ١٣) .

(٤) المصدر السابق (ص ١١) .

(٥) انظر مواضع نرجمته المتقدمة .

(٦) مقدمة كتاب المعاني الكبير (١ : د) .

المستشرقين الذين يبنون أحكامهم على أوهام واستنتاجات باطلة . فقد بين ابن قتيبة أصله فقال : (وسأقول في الشرف بأعدل القول وأبين أسبابه ولا أبخس أحداً حقه ولا أتجاوز به حده . فلا يمنعني نسبي في العجم أن أدفعها عما تدعيه لها جهلتها وأثنى أعنتها عما تقدم إليها سفلتها)[1] .

ومرو العظمى التي منها أسرة ابن قتيبة هي أشهر مدن خراسان وبينها وببن نيسابور سبعون فرسخاً وبينها وبين مدينة مرو الصغرى مسيرة خمسة أيام[2] . وقد فتح هذه البلاد وما جاورها القائد المسلم قتيبة ابن مسلم الباهلي فطبقت شهرته الآفاق وأحبه أهل تلك المناطق مما جعل بعضهم يتسمون باسمه .

يقول الدكتور عبد السلام عبد الحفيظ (فلعل الجد الثاني لابن قتيبة كان معجباً بهذا البطل العظيم فسمى ولده باسمه على عادة الناس أن يطلقوا أسماء من يعجبون بهم أو يحبونهم على أولادهم أو أحفادهم)[3] . وهذه قاعدة صحيحة فإننا في هذه الأزمان التي استضعف فيها المسلمون وانبهروا بما عند الكفار من تقدم وحضارة زائفة نجدهم يحاكونهم في الأسماء والألقاب وأنماط السلوك ونجد بعضهم يسمون أولادهم بأسماء المطربين والمطربات والزعماء والزعيمات . فكل محب مشغوف باسم محبوبه وهذه سنة الله في خلقه .

وقد انتقلت أسرة ابن قتيبة إلى الكوفة ثم إلى بغداد أو الى بغداد فقط ـ على الخلاف المتقدم في ذلك ـ وشب ابن قتيبة وترعرع في مدينة بغداد وبقي والده حياً حتى أدركه وروى عنه شيئاً من الأحاديث والأخبار كما هو مثبوت في كتبه ولكن يبدو أن والد ابن قتيبة ليس من العلماء المشهورين حيث لم أجد ابنه روى عنه إلا النزر اليسير ولم أجد من ترجم له . حتى ابنه لم

---

(١) رسائل البلغاء . محمد كرد علي (ص ٣٥٦) .

(٢) انظر مراصد الاطلاع لصفي الدين البغدادي (٣ : ١٦٢) .

(٣) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا (ص ٧) .

يترجم له في كتاب المعارف الذي ترجم فيه لكثير من العلماء . يقول ناصر الدين الألباني ـ وهو من أشهر علماء الرجال في هذا العصر : « . . . مسلم بن قتيبة لم أجد له ترجمة ويبدو أنه مجهول ولا يعرف فقد ترجم الخطيب وغيره لابنه عبد الله بن مسلم بن قتيبة فلم يذكروا في شيوخه والده هذا »[1] .

وقد خرج ابن قتيبة من بغداد الى الدينور ومكث فيها مدة من الزمن قاضياً فيها وخرج الى مكة المكرمة وقد ذكر هو ذلك فقال : « كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكتم بمكة »[2] .

ورحل الى نيسابور وما جاورها وأخذ عن علمائها وممن أخذ عنه بنيسابور أحمد بن خالد الضرير[3] .

ومما لا شك فيه أنه اتصل بعلماء البصرة وأخذ عنهم كثيراً فإن أغلب شيوخه بصريون كما سيأتي .

ولم تذكر المراجع التاريخية شيئاً عن أُسرة ابن قتيبة ولا عن عدد أولاده ما عدا ابنه أحمد وحفيده عبد الواحد . فقد ولد ابنه أحمد ببغداد وسمع من أبيه وحفظ تصانيفه كلها وروى عنه أبو الفتح المراغي النحوي وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي وأحمد بن محمد بن الحسن ابن الغريب وأبو الحسين المهلبي وآخرون . وولي قضاء مصر خليفة لمحمد بن الحسن بن أبي الشوارب[4] وكان دخوله الى مصر في جماد الآخرة سنة ٣٢١ هـ وركب الى

---

(١) الأحاديث الصحيحة للالباني (١ : ٢١٢) .

(٢) أمالي المرتضى للشريف المرتضى (٢ : ٦) .

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري (١ : ٢٤) .

(٤) هو محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب ابو الحسن القرشي ثم الأموي ولي القضاء بمدينة السلام والحرمين واليمن ومصر وسر من رأى ثم صرف عن ذلك في رجب سنة ٣٣٥هـ وقيل انه كان قبيح الذكر فيما يتولاه من الاعمال منسوباً الى الاسترشاء في الأحكام والعمل فيها بما لا يجوز . مات سنة ٣٤٧هـ . تاريخ بغداد (٢ : ٢٠٠) .

الجامع في السواد فثار عليه العامة فرجموه ومزقوا سواده ثم ركب بعد ذلك في جماعة من أهل العلم فحكم بين الناس واستكتب ابنه عبد الواحد وتولى محمد بن بدر القيام بأمره فاكترى له داراً سكنها ودخل عليه أصحاب الحديث يسألونه أن يحدِّثهم فقال ما معي إلاّ كتب أبي وأنا أحفظها فإن شئتم سردتها عليكم وكان يحفظها كما يحفظ السورة من القرآن ويُقال أن والده حفظها له في اللوح .

فلما عرف الناس ذلك قصدوه وصار مجلسه غاصاً بفنون الناس ممن يطلب العلم والأدب وقصده أبو جعفر بن النحاس وأحمد بن محمد بن ولاد وأبو عاصم المظفر بن أحمد ووجوه البلد فباشر أحمد بن قتيبة القضاء ثلاثة أشهر وقيل أربعة وسبعين يوماً ثم صرف بعزل ابن أبي الشوارب وعاش بعد ذلك حتى توفي بمصر في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢ في ٧ منه وقال أبو سعيد بن يونس مات وهو على القضاء سنة ٣٢٢ هـ[١] .

وقال القاضي عياض : أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري البغدادي النسابة كان مالكي المذهب من أهل العلم والحفظ . . . ولي قضاء مصر وحكم في جامعها واستخلف الفقيه أبا الذكر المالكي على فرض النساء وكانت في خلقه حدة[٢] .

أما حفيده عبد الواحد فإنه ولد في بغداد سنة ٢٧٠ هـ وانتقل الى مصر مع والده أحمد وروى فيها عن أبيه عن جدّه كتبه . سمع منه أبو الفتح بن مسرور البلخي وأبو عبد الله الوشاء المصري وقال الخطيب عنه أنه ثقة[٣] .

---

(١) بتصرف من كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر (١ : ٧٢ ـ ٧٥) ، وقارن (١ : ٤٥) أنباه الرواة .

(٢) ترتيب المدارك (٣ : ٢٩٢) .

(٣) تاريخ بغداد (١١ : ٨) ، وقارن بترتيب المدارك (٣ : ٢٩٢) .

المبحث الثاني

شيوخه

لازم ابن قتيبة عدة من علماء عصره وأخذ ما عندهم من فنون العلم والمعرفة بطريق الرواية والسند وهي الطريقة التي كانت شائعة عند علماء الرعيل الأول من سلفنا الصالح . وهي أثبت الطرق وأصحها لكسب العلم . وقد كان ابن قتيبة محافظاً على هذه الطريقة في مصنفاته فهو لا يورد حادثة أو خبراً أو حديثاً بل ولا حتى بيت شعر او نكتة إلا بسندها غالباً . والمطلع على كتبه الأدبية فضلاً عن الحديثية يجد مِصداق ذلك ولم يقتصر ابن قتيبة رحمه الله على أخذ العلم عن مشائخه المشهورين الذين تتلمذ عليهم فترة طويلة من عمره كابن راهويه والسجستاني والزيادي والرياشي بل روى عن خلق غيرهم كثير وإن خالفوه في الإعتقاد كالجاحظ المعتزلي والشاعر دعبل الخزاعي المتهم بالزندقة ولكنه غالباً لا يروي عنهم إلا الحكايات الأدبية والأشعار وما شابهها ـ وإن كان ابن قتيبة لم يتثبت في مروياته شأنه شأن غيره من الإخباريين ـ لذا فإني سوف أترجم لمشائخه الذين أكثر الرواية عنهم في كتبه واكتفى بذكر أسماء من لم يرو عنهم إلا يسيراً . فمن مشائخه :

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر ابو يعقوب الحنظلي المعروف بابن راهويه المروزي .

رحل الى العراق والحجاز واليمن والشام وورد بغداد غير مرة وجالس حفاظها وذاكرهم ثم عاد الى خراسان فاستوطن نيسابور الى ان توفي بها .

روى عن ابن عيينة وابن عليّة وجرير وبشر بن المفضل وابن المبارك وعبد الرزاق وخلق . وروى عنه جماعة منهم البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي واحمد بن حنبل وغيرهم كثير .

قال نعيم بن حماد إذا رأيت الخراساني يتكلم في اسحاق فاتهمه في دينه وقال أحمد بن حنبل لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله وقال أيضاً لا أعرف له بالعراق نظيراً وقال مرة لما سُئل عنه إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين وقال النسائي إسحاق أحد الأئمة وقال ابن خزيمة والله لو كان في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه .

ولد سنة ١٦١هـ وقيل سنة ١٦٦هـ ومات سنة ٢٣٧هـ وقيل سنة ٢٣٨هـ ليلة النصف من شعبان . قال البخاري : مات وهو ابن ٧٧ سنة[١] .

(٢) سهل بن محمد بن عثمان ابو حاتم السجستاني النحوي المقرىء البصري .

روى عن الأصمعي وابي عبيدة معمر بن المثني وابي زيد الأنصاري وعبد الله رجاء الغلاني ومحمد بن عبيد الله العتبي ويعقوب بن إسحاق الحضرمي ووهب بن جرير بن حازم وغيرهم . وعنه ابو داود قوله في تفسير أسنان الإبل والنسائي وابو العباس المبرد وابو بكر بن دريد وابو بكر بن عوف ابن المزروع وابن خزيمة وابو بكر البزار وابو بشر الدولابي ومحمد بن هارون الروياني وابراهيم بن أبي طالب . قال ابو داود كان أعلم الناس بالأصمعي ابو حاتم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : وهو الذي صنّف القراءات وكانت فيه دعابة غير اني اعتبرت حديثه فرأيته مستقيم الحديث وإن كان فيه ما لا يتعرى عنه أهل الأدب .

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١ : ٢١٦) ، تاريخ بغداد (٦ : ٣٤٥) شذرات الذهب (٢ : ٨٩) ، مقدمة تحفة الأحوذي (١ : ٤٣١) .

مات سنة ٢٥٠هـ وقيل ٢٥٥هـ[١] . وقد قوِّمت كتبه يوم مات بأربعة عشر ألف دينار واشتراها ابن السكيت[٢] .

(٣) العباس بن الفرج الرياشي ابو الفضل البصري النحوي مولى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس .

روى عن الأصمعي وابي داود الطيالسي وابي عاصم وعبيد الله بن محمد العيشي وعمرو بن مرزوق والعلاء بن الفضل بن أبي ماسويه المنقري وابي عثمان المازني النحوي وغيرهم . وروى عنه ابو داود وابنه محمد بن العباس وابو العباس المبرد وابو بكر بن دريد وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ومحمد بن اسحاق بن خزيمة وابراهيم بن اسحاق الحربي قدم بغداد وحدث بها وكان من الأدب وعلم النحو بمحلٍ عالٍ وكان يحفظ كتب ابي زيد وكتب الأصمعي كلها وقرأ على أبي عثمان المازني كتاب سيبويه فكان المازني يقول : قرأ على الرياشي الكتاب وهو أعلم به مني . قال الخطيب البغدادي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن دريد مات سنة ٢٥٧هـ بالبصرة قتله الزنج[٣] .

(٤) ابو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي ـ وقيل له الزيادي لأنه من أولاد زياد بن أبيه .

أخذ عن الأصمعي وغيره واخذ عنه ابو العباس محمد بن يزيد المبرد وغيره وكان عالماً بالنحو قرأ كتاب سيبويه وله فيه نكت وخلاف في بعض المواضع ذكرها ابو سعيد السيرافي في شرح الكتاب وله من الكتب كتاب

---

(١) انظر التهذيب (٤ : ٢٥٨) ، نزهة الألباء (ص ١٨٩) ، الأنساب (٧ : ٨٦) ، الفهرست لابن النديم (ص ٨٧) .

(٢) شذرات الذهب (٢ : ١٢١) .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٥ : ١٢٤) ، تاريخ بغداد (١٢ : ١٣٨) ، شذرات الذهب (٢ : ١٣٦) ، نزهة الالباء (ص ١٩٩) ، البداية والنهاية (١١ : ٢٩) ، فهرست ابن النديم (ص ٨٦) .

شرح كتاب سيبويه ، كتاب الأمثال ، كتاب النقط والشكل كتاب الأخبار ، كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار .

توفي سنة ٢٤٩هـ[١] .

(٥) اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهير الشهيري ابو يعقوب البصري .

روى عن ابيه ومعتمر بن سليمان وابي معاوية وغيرهم . وروى عنه ابو داود في المراسيل والترمذي والنسائي وابن ماجة وابنه ابراهيم بن إسحاق وجماعة . قال احمد صدوق . وقال النسائي ثقة . وقال الدارقطني ثقة مأمون .

قال ابراهيم بن محمد الكندي توفي في جماد الآخرة سنة ٢٥٧هـ[٢] .

(٦) اسحاق بن ابراهيم بن محمد الصواف الباهلي ابو يعقوب البصري .

روي عن عبد الله بن بكر السهمي ويزيد بن هارون وعبد الله بن حميدان وغيرهم . وروى عنه البخاري وأبو داود وغيرهم . قال ابن ابي عاصم مات سنة ٢٥٣هـ وذكره ابن حبان في الثقات[٣] .

(٧) حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي ابو حفص المصري .

روي عن ابن وهب فأكثر وعن الشافعي ولازمه وعنه مسلم وابن ماجة وقد عده ابن حبان في الثقات . توفي سنة ٢٤٤هـ . وقال ابن يونس ولد سنة ١٦٦هـ وتوفي لتسع بقين من شوال سنة ٢٤٣هـ[٤] .

(٨) زيد بن أخزم ابو طالب الطائي البصري .

قدم بغداد وحدث بها عن عبد الرحمن بن مهدي ومسلم بن قتيبة

---

(١) انظر ترجمته في نزهة الالباء (ص ٢٠٥) ، فهرست ابن النديم (ص ٨٦) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٢١٣) .

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ٢١٦) .

(٤) تهذيب التهذيب (٢ : ٢٣٠) .

وعبـد الصمد بن عبـد الوارث ووهب بن جـرير وأبي داود الـطيالسي وروح بن عبادة وغيرهم وروى عنـه محمد بن إسحـاق الصاغـاتي وعبد الله ابن محمـد البغوي والجماعة سوى مسلم وروى له النسائي أيضاً بواسطة زكريـا السجزي وأبـو حاتم وابن خـزيمة وغيـرهم . ذكره ابن حبـان في الثقـات وقـال مستقيم الحديث . وقال الدارقطني ثقـة وقال صـالح بن محمـد صدوق في الـرواية . قـال أبو اسحـاق إبراهيم بن محمـد الكندي ومـات زيد بن أخـزم بعد دخـول الزنج البصرة وذبح ذبحاً . ذبحه الزنج سنة ٢٥٧هـ[1] .

(٩) زياد بن يحيـى بن زياد بن حسان الحساني ابو الخطاب النكـدي العدني البصري .

روى عن معتمـر بن سليمان وحـاتم بن وردان وبشر بن المفضـل وابي داود الطيالسي وغيـرهم . ذكره ابن حبـان في الثقات وقـال النسائي ثقـة مات سنة ٢٥٤هـ[2] .

(١٠) الحسين بن الحسن بن حرب السلمي بن عبد الله المروزي .

نـزيل مكـة . روي عن ابن المبـارك وابن عليـة وابن عيينـة ومعتمر بن سليمـان وغيرهم . وروى عنـه الترمـذي وابن ماجـة وبقي بن مخلد وابن ابي عاصم وغيرهم . قال مسلمة ثقة وذكره ابن حبـان في الثقات وقـال مات سنـة ٢٤٦هـ[3] .

(١١) عبده بن عبد الله بن عبده الخزاعي الصفار ابو سهل البصري .

روى عن عبد الصمد بن عبـد الوارث وحسين الجعفي ويحيـى بن آدم وأبي داود الـطيالسي وغيـرهم . وروى عنه الجمـاعة سـوى مسلم . قـال أبـو حاتم صدوق . وقال النسائي ثقة . وقال الدارقطني ثقة . وذكره ابن حبان في

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٨ : ٤٤٦) ، وقارن بتهذيب التهذيب (٣ : ٣٩٣) .

(٢) انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٣٨٩) .

(٣) انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٣٣٤) .

الثقات وقال مستقيم الحديث . مات سنة ٢٥٨هـ بالأهواز وقيل مات بالبصرة سنة ٢٥٧هـ[١] .

(١٢) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي ابو محمد النيسابوري .

روي عن سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام ويحيى بن سعيد القطان والنضر بن شميل وغيرهم . وروى عنه البخاري وابو داود بن محمد الأسدي وإبراهيم الحربي وغيرهم . قال صالح بن محمد صدوق وقال أبو بكر الجارود كان يحيى بن سعيد يحله محل الوالد وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٦٠هـ وقيل ٢٦٢هـ[٢] .

(١٣) محمد بن عبيد بن عبد الملك الأسدي أبو عبد الله الهمداني .

روي عن ابي معاوية وربعي وإسماعيل ابني علية وسفيان بن عيينة وغيرهم . وروى عنه الترمذي وابن ماجة وغيرهم . قال ابو زرعة محمد بن عبيد عندنا إمام وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٤٤هـ وقيل ٢٤٩هـ[٣] .

(١٤) محمد بن داود الكاتب ابو عبد الله الأخباري العلامة صاحب المصنفات .

كان أوحد أهل زمانه في معرفة ايام الناس ووزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافته وظهر بعد فتنة ابن المعتز الى مؤنس الخادم وكان له قدم في أمره وخافه ابو الحسن بن الفرات فأشار بقتله فقتل وله من الكتب كتاب الورقة في أخبار الشعراء وكتاب من سمي من الشعراء عمرو في الجاهلية والإسلام . وكتاب الوزراء وكانت وفاته سنة ٢٩٦هـ[٤] .

---

(١) انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٤٦١) .

(٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٦ : ١٤٤) .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩ : ٣٣١) .

(٤) انظر شذرات الذهب (٢ : ٢٢٥) ، فهرست ابن النديم (ص ١٨٥) ، تاريخ بغداد (٥ : ٢٢٥) .

(١٥) محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مظعون الجمحي وهو أخو عبد الرحمن بن سلام .

كان من أهل الأدب وصنف كتاباً في طبقات الشعراء وحدث عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وقدم بغداد فأقام بها الى حين وفاته روى عنه ابو بكر بن ابي خيثمة وعبد الله بن احمد بن حنبل وابو العباس ثعلب وغيرهم ورماه بعض العلماء بالقدر . توفي عام ٢٣٢هـ وقيل ٢٣١هـ[١] .

(١٦) محمد بن يحيى بن ابي حزم القطعي ابو عبد الله البصري .

روى عن عمه حزم بن مهران وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وعبد العزيز ابن ربيعة البناني وغيرهم . روى عنه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وحرب الكرماني وابن أبي عاصم وأبو حاتم والبخاري في غير الصحيح ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وغيرهم . قال أبو حاتم صالح الحديث صدوق . وقال مسلمة ثقة وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن أبي عاصم مات سنة ٢٥٣هـ[٢] .

(١٧) محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادي ابو عبد الله البصري . لقبه يؤيؤ .

روي عن حماد بن زيد وعبد الوارث بن سعيد وابن عيينة وعبد الأعلى ابن عبد الأعلى وحسان بن إبراهيم الكرماني وبشر بن المفضل وعلي بن عاصم وغيرهم . وروى عنه البخاري كالمقرون بغيره وابن ماجة ومحمد بن هارون الرؤياني ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما اخطأ وقال ابن مندة ضعيف . مات سنة ٢٥٢هـ وقيل سنة ٢٥٠هـ[٣] .

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٥ : ٣٢٨) ، نزهة الالباء (ص ١٥٨) شذرات الذهب (٢ : ٧١) .

(٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩ : ٥٠٨) .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٩ : ١٦٨) .

(١٨) محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي ابو عبد الله البصري ابن بنت مهدي بن ميمون وقد ينسب الى جده .

روي عن ابي عامر العقدي وسالم بن نوح وروح بن عبادة وابي معاوية عبد الرحمن بن قيس الزعفراني ومحمد بن بكير البرساني وحاتم بن ميمون وبشر بن عمر الزهراني وحسين بن حسين الأشقر ومحمد بن عبد الله الأنصاري وغيرهم .

روى عنه مسلم والترمذي وابن ماجة وحرب بن إسماعيل الكرماني وابو بكر بن أبي عاصم وابو حاتم ومحمد بن جرير الطبري وابن خزيمة وغيرهم . قال ابو حاتم صدوق وقال الخطيب ثقة وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ٢٤٨هـ[١] .

(١٩) محمد بن خالد بن خداش بن عجلان المهلبي . مولاهم ابو بكر الضرير البصري .

سكن بغداد روى عن ابيه واسماعيل بن علية وابن مهدي وعبيد بن واقد ومحمد بن عبد الله الأنصاري والمنهال بن بحر ويحيى بن ابي الحجاج المنقري وجماعة . روى عنه ابن ماجة وإبراهيم الحربي وابن خزيمة وابن بجير وإسحاق بن داود الصواف ومحمد بن نوح بن حرب العسكري وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أغرب عن أبيه[٢] .

(٢٠) عمرو بن بحر بن محبوب ابو عثمان الجاحظ عالماً بالأدب فصيحاً بليغاً مصنفاً في فنون العلم كان من أهل البصرة وأحد شيوخ المعتزلة وقدم بغداد فأقام بها مدة .

روى الخطيب البغدادي بسنده الى ابن أبي الذيال المحدث يسر من رأي قال : حضرت وليمة حضرها الجاحظ وحضرت صلاة الظهر فصلينا وما

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣ : ١٩٩) ، تهذيب التهذيب (٩ : ٤٣٢) .

(٢) انظر تهذيب التهذيب (٩ : ١٤٠) .

صلى الجاحظ وحضرت صلاة العصر فصلينا وما صلى الجاحظ فلما عزمنا على الإنصراف قال الجاحظ لربِ المنزل اني ما صليت لمذهب او لسبب اخبرك به فقال له او فقيل له ما أظن أن لك مذهباً في الصلاة إلا تركها والى الجاحظ تنسب الفرقة الجاحظية[1] . وكان شنيع المنظر سيء المخبر رديء الإعتقاد ينسب الى البِدع والضلالات وربما جاز به بعضهم الى الإنحلال ومن كتبه كتاب الحيوان والبيان والتبيين . توفي عام ٢٥٥هـ [2] .

(٢١) ابو سعيد البغدادي الضرير أحمد بن خالد .

استقدمه طاهر بن عبد الله من بغداد فأقام بنيسابور وأملى بها كتباً في معاني الشعر والنوادر ورد على ابي عبيد حروفاً كثيرة من كتاب غريب الحديث وكان لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني وقدم عليه القتيبي فأخذ عنه وكان شمر وابو الهيثم يوثقانه ويثنيان عليه[3] .

(٢٢) دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء ابو علي الخزاعي الشاعر .

أقام ببغداد مدة ثم خرج منها هارباً من المعتصم لما هجاه وكان خبيث اللسان قبيح الهجاء وقد روي عنه أحاديث مسندة عن مالك بن أنس وغيره وكلها باطلة وهي من وضع ابن اخيه إسماعيل بن علي الدعبلي فإنها لا تعرف إلا من جهته وكان رافضياً ولد عام ١٤٨هـ ومات سنة ٢٣٦هـ وكان يقول لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدوّر على من يصلبني عليها فما أحد من يفعل ذلك[4] .

---

(١) يقول البغدادي عنها (وهؤلاء اتباع عمرو بن بحر الجاحظ وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ في كتبه التي لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم اياه انساناً فضلاً عن ان ينسبوا اليه احساناً) .
الفرق بين الفرق (ص ١٧٥) .

(٢) انظر تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٢) ، قارن بالبداية والنهاية (١١ : ١٩) ، نزهة الالباء (ص ١٩٢) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١ : ٢٤) .

(٤) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٨ : ٣٨٢) ، شذرات الذهب (٢ : ١١١) .

(٢٣) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج من ولد أكثم ابن صيفي التميمي يكنى أبا محمد وهو مروزي .

سمع عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى السيناني وعبد الله بن ادريس وعيسى بن يونس وعبد العزيز بن أبي حازم وجرير وابن أبي عيينة والقطان ووكيع وغيرهم . روى عنه الترمذي والبخاري في غير الجامع وغيرهم قال أبو مزاحم الخاقاني عن عمه سألت أحمد عن يحيى بن أكثم فقال ما عرفناه ببدعة . وقال جعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن ابن معين يحيى بن أكثم كان يكذب وقال الساجي عن عبد الله بن إسحاق الجوهري سمعت أبا عاصم يقول يحيى بن أكثم كذّاب وقال محمد بن مخلد عن مسلم بن الحجاج سمعت إسحاق بن راهويه يقول ذلك الدجال يعني يحيى بن أكثم. وقال القاضي أبو عمرو محمد بن يوسف سمعت إسماعيل بن إسحاق يقول كان يحيى بن أكثم ابرأ الى الله تعالى من أن يكون فيه شيء مما رمى به من أمر الغلمان ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديد الخوف من الله تعالى ولكن كانت فيه دعابة . وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكي عنه لأن أكثرها لا يصح عنده . وقال ابن الأهدل كان سني العقيدة غلب على المأمون فقلده القضاء وتدبير مملكته ثم عزله المعتصم بابن أبي دؤاد ثم رده المتوكل وعزل بن أبي دؤاد حتى طابت عقائد السنة . وله الأثر المحمود والمقام التام يوم نادى المأمون بتحليل المتعة فرده بصريح النقل حتى رجع واستغفر . وقال الخطيب البغدادي كان يحيى سليماً من البدعة ينتحلُ مذهب أهل السنّة مات منصرفاً من الحج بالربذة سنة ٢٤٢ هـ[١] .

(٢٤) عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ويكنى أبا محمد وقيل يكنى أبا الحسن .

---

(١) انظر ترجمته مطولة في تاريخ بغداد (١٤ : ١٩١) ، تهذيب التهذيب (١١ : ١٧٩) ، شذرات الذهب (٢ : ١٠١) .

وكـان من الثقلاء إلاّ أنـه كان ثقـة عما يـرويه عن عمـه وعن غيـره من العلماء وقد صنف كتاباً بعنـوان معاني الشعـر وقد عـده الزبيـدي في الطبقـة الخامسة من اللغويين البصريين[1] .

(٢٥) الحسن بن الحسين بن عبـد الله بن عبـد الـرحمن بن العـلاء بن أبي صفرة ابن المهلب أبو سعيد السكري النحوي .

سمع يحيى بن معين وأبا حاتم السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي ومحمد بن حبيب وعمر بن شبة وغيرهم . وكان ثقة ديّناً صادقـاً يقرىء القـرآن وانتشـر عنـه من كتب الأدب شيء كثيـر . وحـدث عنـه محمـد بن أحمـد بن إبراهيم الحكيمي وأبو سهل بن زياد القطان وغيرهم . توفي عام ٢٧٥هـ[2] .

(٢٦) الحسن بن علي أبـو محمـد ويقـال أبـو علي الخـلال المعـروف بالحلواني .

سمع يزيد بن هارون وعبد الرزاق بن همام وعبد اللّه بن نمير وأبا أسامة وزيـد بن الحبـاب وأبـا عـاصم النبيـل وعفـان بن مسلم وغيـرهم وروي عنـه محمد بن أبي عِتاب الأعين ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجـاج وإبراهيم الحربي وأبو داود السجستاني وكان حافظاً ثقة توفي عام ٢٤٢هـ[3].

(٢٧) محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة واسمه غزوان اليشكري المروزي .

روى عن أبيـه وأبي معاويـة وابن أدريس وابن عيينـة وحفص بن غيـاث وابن المبارك والفضل بن موسى والوليد بن مسلم وغيرهم . وروى عنه الأربعة والبخاري والنسائي وأبو حاتم وإبراهيم بن إسحاق الحـربي وابن خزيمـة وابن

---

(١) انـظر انباه الـرواة (٢ : ١٦١) ، قارن بمـا في طبقات النحـويين للزبيـدي (ص ١٨٠) ، بغيـة الوعاة (٢ : ٨٢) .

للزبيدي (ص ١٨٠) ، بغية الوعاة (٢ : ٨٢) .

(٢) تاريخ بغداد (٧ : ٢٩٦) .

(٣) تاريخ بغداد (٧ : ٣٦٥) ، شذرات الذهب (٢ : ١٠٠) .

المنادي وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات ومات سنة ٢٤١هـ[١] .

(٢٨) أحمد بن الخليل بن حرب بن عبد اللّٰه بن سوار بن سابق القرشي أبو عبد اللّٰه القومسي .

روي عن عبد اللّٰه بن يزيد المقبري والأصمعي وعلي بن الحسن بن شفيق وأبي النضر وغيرهم . روى عنه محمد بن الحسن بن الفرج وأبو زكريا يحيى بن يحيى بن حيوية الحافظ ويحيى بن عبد الأعظم وغيرهم . ضعفه أبو زرعة ونسبه أبو حاتم إلى الكذب[٢] .

(٢٩) أحمد بن نصر بن عبد الوهاب النيسابوري أبو الفضل .

روي عن هدبة بن خالد وأبي مصعب وابن أبي عمرو عبيد اللّٰه بن معاذ العنبري وغيرهم . وروى عنه البخاري وغيره . قال الحاكم هو أحد أركان الحديث[٣] .

(٣٠) محمد بن أحمد بن يونس الفسوي أبو عبد اللّٰه يعرف بخاطف .

صاحب أبي بكر بن السراج وروي عن ابن دريد وغيره[٤] .

(٣١) شبابة بن سوار الفزاري مولاهم أبو عمرو المدائني روي عن حريز بن عثمان الرحبي وإسرائيل وشعبة وشيبان وخلق كثير وعنه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه . كان متهماً بالإرجاء وقال أبو زرعة رجع عنه مات سنة ٢٥٤ وقيل ٢٥٥ وقيل ٢٥٦هـ[٥] .

(٣٢) أحمد بن سعيد اللحياني أبو العباس روى عن الإمام أحمد بعض

---

(١) انظر تهذيب التهذيب (٩ : ٣١٣) ، وقارن بتاريخ بغداد (٢ : ٣٥٠) .

(٢) تهذيب التهذيب (١ : ٢٨) .

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ٨٧) .

(٤) انظر معجم الأدباء لياقوت (١٧ : ١٨٠) .

(٥) انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٣٠١) ، ميزان الاعتدال (٢ : ٢٦٠) .

فتاويه وهو صاحب الإمام أبو عبيد بن سلام وقد أخذ ابن قتيبة منه كتاب الأموال لأبي عبيد وكتابِ غريب الحديث لأبي عبيد وذلك سنة ٢٣١هـ وعمر بن قتيبة إذ ذاك ثمانية عشر عاماً[١] .

وقد روى ابن قتيبة رحمه اللّه عن خلق كثير غير من سبق نكتفي بإيراد أسماء بعضهم نظراً لقلة روايته عنهم إيثاراً للإختصار منهم :

(٣٣) أبو مسعود الدارمي من ولد خراش روى عنه في تأويل مختلف الحديث صفحة ١٧٢ .

(٣٤) يزيد بن عمرو بن البراء الغنوي روى عنه في تأويل مختلف الحديث صفحة ٣٤٩ .

(٣٥) الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١٩٨) .

(٣٦) عبد اللّه بن إسحاق روى عنه إجازة في غريب الحديث (١ : ٤٣٤) .

(٣٧) المعلي بن أيوب روى عنه في عيون الأخبار (١ : ١٨) .

(٣٨) أبو سفيان الغنوي روى عنه في عيون الأخبار (١ : ١٤٨) .

(٣٩) محمد بن عائشة روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ٦٥) .

(٤٠) عبد اللّه بن حيان روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١٥٦) .

(٤١) مهيار الرازي روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١٥١) .

(٤٢) عبد اللّه بن أبي سعيد روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١١٢) .

(٤٣) القاسم بن الحسن روى عنه في عيون الأخبار (١ : ١٠٧) .

---

(١) انظر طبقات الحنابلة (١ : ٤٥) ، تأويل مشكل القرآن (ص ٣) .

(٤٤) هارون بن موسى روى عنه في غريب الحديث (١ : ٥٩٠) .

وقـد ذكر الشيـخ محمد أبـو زهرة أن ابن قتيبـة تلميذ لعبـد الرحمن بن مهدي[١] وما أدري كيف وقع في هذا فإن ابن مهدي متـوفٍ عام ١٩٨هـ[٢] ، وابن قتيبة مولود عام ٢١٣هـ باتفاق والله أعلم .

---

(١) ابن حنبل حياته وعصره لأبي زهرة (ص ١٥٢) .

(٢) انظر ترجمة عبد الرحمن بن مهدي في تهذيب التهذيب (٦ : ٢٨٠) .

المبحث الثالث

مكانته العلمية ومؤلفاته

ابن قتيبة جبل من جبال العلم والمعرفة وأخص وصف يصدق عليه هو ما ذكره الذهبي ـ وحسبك قول الذهبي ثقة ـ (ابن قتيبة وعاء من أوعية العلم)[1] .

ولم يكن ابن قتيبة متخصصاً في فن من الفنون فقط كالحديث والتاريخ والأدب مثلاً بل أخذ من كل علم بطرف وألف في فنون شتى في اللغة والشعر والنقد والتاريخ والفقه والعقائد وعلم النجوم . وعرف العلماء له هذه الميزة لذا نجد من يترجم له يذكر عنه أنه صاحب التصانيف المفيدة والمؤلفات المشهورة وانه متفنن في العلوم[2] . ولا أدل على مكانته العلمية من شهادة ابن تيمية له بأنه من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل كتاب اللّه[3] ـ وسيأتي مزيد إيضاح في مبحث أقوال العلماء فيه ـ .

وابن قتيبة من أكابر اللغويين وكثيراً ما يرجح ابن تيمية آراء ابن قتيبة اللغوية على آراء ابن الأنباري وغيره من اللغويين . ويقول الذهبي واصفاً له

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢ : ١٨٧) .

(٢) انظر نزهة الالباء (ص ٢٠٩) .

(٣) فتاوى ابن تيمية (١٧ : ٤١١) .

(ان ابن قتيبة رأساً في علم اللسان العربي)[1] . وقد عده الزبيدي في الطبقة السادسة من اللغويين البصريين[2] فهـو عالم لغـة بالـدرجة الأولى وملم ببقيـة العلوم إلماماً طيباً . فمكانة في النقد لا ينكـر وآراؤه النقديـة مادة للدراسـة من قبل الأدباء قديماً وحديثاً[3] وشهـرة ابن قتيبة الأدبيـة لا تخفى ومكانـة مؤلفاتـه الأدبية عند المتـأدبين لا تجارى قـال ابن خلدون : (وسمعنا من شيـوخنا في مجـالس التعلم أن أصول هـذا الفن وأركانـه أربعة دواوين وهي أدب الكـاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيـان والتبيين للجاحظ وكتـاب النوادر لأبي علي القالي وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها وفروع عنها)[4] . وقـد ذكر الدكتور عبد الحميد الجندي خصائص كتب ابن قتيبـة الأدبية نلخص منهـا ما يلي :

الخصيصة الأولى : ابن قتيبة ذو عقليـة منظمـة مصقولـة ولذلـك جاءت كتبه وليدة هذا الفكر المنسق . فقد كان التأليف ساذجـاً لا يعني فيه بـالإختيار فمسألة من هنا ومسألة من هناك واستطراد لا ضابط لـه ولكن الأمر يختلف في كتاب عيون الأخبار ففيه تشعر بأن كتب المختارات الأدبية قـد انتقلت خطوات نحو الكمال على يـد ابن قتيبة وذلـك لأنه رتب المختـارات وبوبهـا وجمع مـا تشابه تحت عنوان واحد .

الخصيصـة الثانيـة : في كتب ابن قتيبة ظـاهـرة بـارزة تلك هي تقصيـه الإيجاز لتسهل روايتها وليمكن الانتفاع بها على أوسع نطاق[5] .

---

(١) سير اعلام النبلاء (٩ : ١٣٩) .

(٢) طبقات النحويين (ص ٨٤) .

(٣) للاطلاع على آراء ابن قتيبة النقديـة انظر كتـابه الشعـر والشعراء وكتـابه المعـاني الكبير وانـظر كذلك كتاب نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ وانظر رسالة الطالب مريس الحارثي التي قدمها للماجستير بجامعة الملك عبد العزيز بمكة بعنوان ابن قتيبة والنقد . ورسالة الطالب عبد الله الخلف التي قدمها الى جامعة الامام محمد بن سعود بعنوان « الفكر السني في ادب ابن قتيبة » .

(٤) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٥٣) .

(٥) انظر كتاب ابن قتيبة العالم الاديب للجندي (ص ٢٦٥ ـ ٢٧٢) .

أما مكانته الفقهية فهو من أوسط الناس في ذلك وإن كان بعض العلماء يرى أن آراءه الفقهية ليست في قوة آرائه اللغوية . فقد ذكر قاسم بن إصبغ أنه سأل الطبري وابن شريح عن كتاب ابن قتيبة في الفقه[1] فقالا ليس بشيء ولا كتاب أبي عبيد في الفقه أما ترى كتابه في الأموال وهو أحسن كتبه كيف بني على غير أصل واحتج بغير صحيح ، ثم قالا ليس هؤلاء لهذا إنما هم أصحاب لغة فإذا أردت الفقه فكتب الشافعي[2] أقول هذا القول منهما فيه شيء من المبالغة فأبو عبيد وابن قتيبة كلاهما قد وليا القضاء ولا يولى القضاء غالباً في ذلك العصر المليء بفطاحل العلماء إلَّا من كان لديه فهم للشريعة وحسن استنباط للأحكام وقد قال الخطيب عن كتاب الأموال الذي انتقداه :

« . . . وكتابه في الأموال من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده »[3] .

ويظهر من كلام ابن قتيبة أنه لا يعتد بالقياس فهو يقول : « ثم نصير إلى أصحاب الرأي فنجدهم أيضاً يختلفون ويقيسون ثم يدعون القياس ويستحسنون ويقولون بالشيء ويحكمون به ثم يرجعون . . . فأما الرأي في الفروع فأخف أمراً وإن كان مخارج أصول الأحكام ومخارج الفرائض والسنن على خلاف القياس وتقدير العقول . . وكيف يطرد القياس في فروع لا تتفق أصولها والفرع تابع للأصل ؟ وكيف يقع في القياس أن يقطع سارق عشر دراهم ويمسك عن غاصب مائة ألف درهم ؟ ويجلد قاذف الحر الفاجر ويعفي عن قاذف العبد العفيف ؟ وتستبرأ أرحام الإماء بحيضة ورحم الحرة بثلاث حيض. ويحصن الرجل بالعجوز الشوهاء السوداء ولا يحصن بمائة أمة حسناء ؟ ويوجب على الحائض قضاء الصوم ولا يوجب عليها قضاء الصلاة . ويجلد في القذف بالزِّنا أكثر من الجلد في القذف بالكفر ويقطع في القتل

---

(١) ابن قتيبة له كتاب الأشربة وكتاب جامع الفقه فالله اعلم عن ايهما سأل ؟

(٢) سير اعلام النبلاء (٩ : ١٤٠) .

(٣) تاريخ بغداد (١٢ : ٤٠٥) .

بشاهدين ولا يقطع في الزنا بأقل من أربعة »[1] .

وموقف ابن قتيبة هذا من القياس لا يخرجه من دائرة السلفية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن كثيراً من أهل السنة العامة والخاصة لا تقول بالقياس »[2] . ويقول شيخ الطبقة الثانية من طبقات الحنابلة أبو محمد البربهاري[3] : « واعلم رحمك اللّه أنه ليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تتبع فيها الأهواء »[4] ويقول أحمد بن حنبل يجتنب المتكلم في الفقه المجمل والقياس[5] .

ويقول ابن القيم رحمه اللّه : « وكذلك القياس إنما يصار إليه عند الضرورة . قال الإمام أحمد : سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورة »[6] . واللّه تعالى أعلم .

أما مكانة ابن قتيبة رحمه اللّه في الحديث فليست بذاك وإن كان له اهتمام بالحديث وأهله وله فيه رواية ولكنها قليلة وقد قال عنه الذهبي والرجل ليس بصاحب حديث وإنما هو من كبار العلماء المشهورين عنده فنون جمة وعلوم مهمة[7] . وقال عنه في موضع آخر أنه قليل البضاعة في الحديث[8] .

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٥١ ، ٥٦ ، ٥٨) .

(٢) منهاج السنة النبوية (١ : ٢٣١) .

(٣) هو ابو محمد الحسن بن علي الفقيه البربهاري شيخ الطبقة الثانية من طبقات الحنابلة كان له صيت عظيم وحرمة تامة . اخذ عن المروزي وصحب سهل بن عبد الله التستري وصنف التصانيف قال ابن ابي يعلى في طبقاته . وكان احد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقنين والثقات المأمونين . مات في رجب سنة ٣٢٩هـ .

انظر شذرات الذهب (٢ : ٣٦٩) ، طبقات الحنابلة (٢ : ١٨) .

(٤) طبقات الحنابلة (٢ : ١٩) .

(٥) اصول مذهب احمد للتركي (ص ٥٥٩) .

(٦) اعلام الموقعين (٢ : ٢٨٤) .

(٧) سير اعلام النبلاء (٩ : ١٤٠) .

(٨) تذكرة الحفاظ (٢ : ١٨٧) .

أما مكانة ابن قتيبة في تفسير القرآن العظيم فهي مكانة طيبة فقد ألف ابن قتيبة في ذلك كتاب تأويل مشكل القرآن وكتاب تفسير غريب القرآن والقاريء لهذين الكتابين يجد ابن قتيبة أكثر ما يفسر القرآن من جهة اللغة ويستشهد على ذلك بأشعارِ العرب وإن كان يورد أحياناً بعض الآثار النبوية وأقوال السلف مما يدل على أنه تعلم تفسير كتاب اللّه حتى استطاع أن يؤلف فيه .

أما علمه بالعقيدة وأدلتها فمما لا شك فيه أنه على جانب كبير من ذلك فإن عوام المسلمين في ذلك العصر يعرفون العقيدة الصحيحة فضلاً عن علماء الأمة فإن جانب الاعتقاد مما لا يسوغ الجهل به وفي توضيح ابن قتيبة لعقيدة السلف ودفاعه عنها بالحجج الشرعية دلالة على حسن فهمه للكتاب والسنة اللذين هما أساس العقيدة وسيأتي بيان ذلك في المباحث اللاحقة .

وفوق هذا كله فقد كان ابن قتيبة مثقفاً ثقافة واسعة عارفاً بكتب الأعاجم واليهود والنصارى . والقاريء لكتب ابن قتيبة يجده يقول عن نفسه وقد قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه ، وقرأت في التاج ، وقرأت في كتب العجم ، ووجدت في كتاب من كتب الروم ، وقرأت في أدب المقفع وقرأت في كتاب للهند قديم ، وقرأت في التوراة والإنجيل وهذا واضح وكثير في مصنفاته وبالأخص في عيون الأخبار وفي المعارف مما يدل على أنه اطلع على أغلب المؤلفات في عصره العربية وغير العربية ، المترجمة وغير المترجمة فهو من أبناء العجم ومما لا شك فيه أنه يحسن لغة العجم وكل هذا يدل على أنه لم يقصر نفسه على الإطلاع على كتب اللغة أو كتب الحديث مثلاً بل اطلع على ما يزخر به عصره من ثقافات حتى صار من أكابر المثقفين وكثرة تصانيفه دالة على سعة علمه فقد ذكر أن مصنفاته بلغت ثلاثمائة مصنف وقيل خمسة وستون مصنفاً وقيل ستون[1] . وقد حاولنا استقصاء ما

---

(١) انظر مقدمة الميسر والقداح (ص ٣) ، مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ١٠٧) .

ذكر العلماء منها وما كان منها مطبوع أو مخطوط فكانت كالآتي :

(١) تأويل مشكل القرآن :

ذكره ابن خلكان والخطيب والسيوطي والسمعاني وابن كثير وابن الأنباري والداودي والقفطي وابن العماد وغيرهم[١] . وذكره المؤلف في أدب الكاتب وتأويل مختلف الحديث وفي كتاب الأنواء[٢] .

وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة كوبريلي بالقسطنطينية وأخرى في مكتبة ليدن ونسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية ونسخة بمكتبة مراد ملا بدمشق[٣] . وقد حققه السيد أحمد صقر وقدم له مقدمة ضافية وطبعت الطبعة الثانية منه عام ١٣٩٣هـ نشر دار التراث . وقد تكلم ابن قتيبة فيه عن العرب وما خصهم اللّٰه به من العارضة والبيان واتساع المجاز ورد فيه على من طعنوا في القرآن وزعموا أن فيه لحناً وتناقضاً واختلافاً وتكلم عن المتشابه وعن تفسير كثير من الآيات القرآنية ولأبي القاسم العكبري عبد اللّٰه بن محمد المتوفي عام ٥١٦هـ كتاب حول كتاب مشكل القرآن أسماه الإنتصار لحمزة فيما نسبه إليه ابن قتيبة في مشكل القرآن[٤] . وعمل محمد بن القاسم الأنباري المتوفي سنة ٣٢٨هـ رسالة في الرد عليه[٥] .

(٢) غريب القرآن :

ذكره إبن خلكان والخطيب والداودي والسيوطي وابن كثير وابن الأنباري

---

(١) انظر مواضع ترجمة ابن قتيبة من هذه الكتب فقد ذكرنا أرقام صفحاتها وأجزائها بصفحة ٤٩ ، من هذا البحث .

(٢) انظر ادب الكاتب (ص ١٩) ، تأويل مختلف الحديث (ص ٨٣ ، ٣١٤) ، كتاب الأنواء (ص ٩) .

(٣) انظر مقدمة الميسر والقداح (ص ١٤) ، مقدمة تأويل مشكل القرآن (٨٦) .

(٤) انظر مقدمة المعارف (ص ٤٢) .

(٥) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢ : ٧١) .

والقفطي وابن العماد الحنبلي وحاجي خليفة . ومنه نسخة خطية في الخزانة الظاهرية بدمشق رقمها ٣٣ لغة ونسخة فيها بعض الزيادات في مكتبة الشيخ عثمان قاريء بالطائف[١] .

وقد حققه السيد أحمد صقر ونشرته دار الباز للنشر بمكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ وهو في حقيقته تتمة لكتاب تأويل مشكل القرآن وقد شرع إبن قتيبة في تأليف الكتابين في زمن واحد حيث يقول في مقدمة تأويل مشكل القرآن (وأفردت للغريب كتاباً كيلا يطول هذا الكتاب)[٢] . ويقول في مقدمة غريب القرآن : (ثم نبتديء في تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكلة إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً بحمد اللّه)[٣] . وقد جمع بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن لإبن قتيبة العلاّمة محمد بن أحمد بن مطرف الكناني المتوفى سنة ٤٥٤هـ في كتاب أسماه القرطين منه نسخة قديمة في الخزانة التيمورية برقم ٥٩ لغة وقد نشرته دار الباز للنشر بمكة المكرمة في مجلد ضخم بدون تحقيق .

(٣) غريب الحديث :

ذكره معظم من ترجم لإبن قتيبة وذكره المؤلف في كتاب الشعر والشعراء[٤] . وقد حققه الدكتور عبد الله الجبوري وقدم عليه دراسة وافية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة بغداد بإشراف الأستاذ أحمد ناجي القيسي وتمت مناقشته في ١٩٧٦/١١/٢٤ م وطبعته وزارة الأوقاف العراقية في ثلاثة مجلدات .

يقول إبن قتيبة في مقدمته : « . . وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي

---

(١) مقدمة الميسر والقداح (ص ١٣) .

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص ٣٢) .

(٣) غريب القرآن (ص ٣) .

(٤) انظر الشعر والشعراء (ص ٤٤٣) .

عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث وإن الناظر فيه مستغنٍ به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما تركه نجواً مما ذكر أو أكثر منه فتتبعت ما أغفل وفسرته على نحو مما فسر »[١] . وقد ذكر المحقق الدكتور عبد الله الجبوري أنه حقق غريب الحديث على عدة نسخ توجد نسختان منها في المكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة في مكتبة جستر بيتي في مدينة دبلن في ايرلندا ونسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ونسخة مغربية صورتها بعثة المخطوطات العربية من إحدى مكتبات المغرب ونسخة في مكتبة فيض الله بالآستانة[٢] .

(٤) تأويل مختلف الحديث :

ذكره عامة من يترجم لإبن قتيبة وإن حصل في إسمه بعض الإختلاف فبعضهم يسميه مشكل الحديث كإبن خِلّكان والخطيب و السمعاني وإبن الأنباري والقفطي-وبعضهم يسميه مختلف الحديث كالداودي والسيوطي وبعضهم يسميه إختلاف تأويل الحديث كحاجي خليفة ، وبدار الكتب المصرية نسخة منه برقم ع ٢٠٠ م مجاميع باسم الرد على من قال بتناقض الحديث[٣] . وقد طبعه السيد محمود شابندر البغدادي بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ على ثلاث نسخ الأولى في دار الكتب المصرية كتبت سنة ١٢٥٣ هـ . والثانية في خزانة العلامة السيد محمود شكري الألوسي منقولة عن نسخة المكتبة المرجانية ببغداد . والثالثة للعلامة السيد جمال الدين القاسمي منقولة عن نسخة إختلاف الحديث الموجودة بالخزانة الظاهرية بدمشق برقم ٣٠٣ كتبت سنة ٤٠١ هـ وعليها خطوط العلماء وهي أجود أصل للنسخة التي طبعت بالقاهرة[٤] . وقد طبعته أيضاً دار الجيل

---

(١) غريب الحديث (ص ١٥٠) .

(٢) انظر مقدمة المحقق لغريب الحديث (ص ٩٠ ، ١٠٩) .

(٣) انظر كتاب المعارف (ص ٤٥) .

(٤) مقدمة الميسر والقداح (ص ١٦) .

بلبنان بتصحيح محمد زهدي النجار عام ١٣٩٣ هـ . وهو كتاب فريد من نوعه رد فيه على مثالب أهل الكلام لأهل الحديث وانتصر فيه لمذهب السلف على مخالفيهم ودافع عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد من تنقصهم من الرافضة وأهل الكلام وجمع بين الأحاديث التي يوهم ظاهرها التعارض وقد كشف عن عقيدته في هذا الكتاب كما سيأتي إن شاء الله .

(٥) إصلاح غلط أبي عبيد في الحديث :

ذكره معظم من ترجم لإبن قتيبة . وقد استدرك فيه إبن قتيبة على أبي عبيد في نيف وخمسين موضعاً[١] وذكر فيه الأحاديث التي وقع فيها زلل عند أبي عبيد وبيَّن في مقدمته منهجه في النقد وأن ذلك لا يغض من منزلة أبي عبيد[٢] رحمه الله فقال : « ولا نعلم أن الله عزَّ وجلّ أعطى أحداً من البشر موثقاً من الغلط وأماناً من الخطأ فنستنكف له منها بل وصل عباده بالعجز وقرنهم بالحاجة ووصفهم بالضعف والعجلة فقال : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ . . النساء : ٢٨ ، ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ الأنبياء : ٣٧ ، ﴿ وفوق كل ذي علم عليم . . ﴾ يوسف : ١٦ ، ولا نعلمه خص بالعلم قوماً دون قوم ولا وقفه على زمن دون زمن بل جعله مشتركاً مقسوماً بين عباده يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول وينبه المقل منه على ما أغفل عنه المكثر ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم وتال يعتبر على ماض وأوجب على كل من

---

(١) انظر المعارف (ص ٤٤) ، الميسر والقداح (ص ١٥) .

(٢) هو القاسم بن سلام البغدادي ابو عبيد الفقيه القاضي صاحب التصانيف روى عن هشيم وإسماعيل بن عياش والأصمعي ويحيى القطان وابن المبارك وابن عيينة وخلق كثير وروى عنه سعيد بن أبي مريم المصري وعبد الله الدارمي وغيرهم . ولي قضاء طرسوس وصنف كتباً كثيرة توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ . قال إسحاق بن راهويه الحق يحبه الله أبو عبيد أفقه مني وأعلم مني وقال ابن معين ثقة وقال الدارقطني ثقة وقال الحاكم هو الإمام المقبول عند الكل وقال ابن حبان في الثقات كان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام النّاس .
أنظر تهذيب التهذيب (٨ : ٣١٨) ، شذرات الذهب (٢ : ٥٤) .

علم شيئاً من الحق أن يظهـره وينشره وجعـل ذلك زكـاة العلم . . . ونـذكـر الأحاديث التي خالفنا الشيخ أبا عبيـد رحمه الله في تفسيـرها على قلتهـا في جنب صوابه وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه »[١] .

وقد شرحه أبو المظفر محمد بن آدم الهروي المتوفى سنة ٤١٤هـ ونقده عبـد المجيد بن عبـدون الفهري المتـوفى سنة ٥٢٧ هـ ويـوسف بن عبد الله التميمي المتـوفى سنـة ٣٣٦ هـ . ومحمـد بن نصـر المـروزي المتـوفى سنـة ٢٩٤ هـ وانتصروا لأبي عبيد على ابن قتيبة[٢] .

(٦) أدب الكاتب :

ذكره إبن النديم وإبن خلكان والسمعاني وإبن كثير والقفطي بهذا الإسم وذكره الخطيب وابن الأنباري باسم أدب الكتاب ويرجح هذه التسمية الشرح الذي وضعه ابن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٤٢١هـ عليه وسماه الإقتضاب في شرح أدب الكتاب وقد تعرض له بالشرح غير إبن السيـد كثيرون منهم أبـو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وأحمد بن داود الجذامي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وإسحـاق بن إبراهيم الفـارابي المتـوفى سنـة ٣٥٠ هـ . كمـا شـرح بعضهم خطبته مثل أبو القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ومبارك بن فاخر النحـوي المتوفى سنـة ٣٣٨ هـ وشرح أبيـاتـه أحمـد بن محمـد الخـازرنجي المتـوفى سنة ٣٤٨ هـ[٣] ويقـول محب الدين الخـطيب : « وأخبرني الأستـاذ الفاضل الشيخ خليل الخالدي المقدسي أن في خزانة نورعثمانية بالقسطنطينية شرحاً على أدب الكاتب لإبن الخشّاب بخطه ولشيخنا العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله تلخيص أدب الكاتب طبعناه سنة ١٣٣٧ هـ »[٤] .

---

(١) إصلاح الغلط ، مخطوط منه صورة على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي رقم (٥٢) .
(٢) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (١ : ٧٦) .
(٣) انظر المعارف (ص ٤٨) ، الميسر والقداح (ص ١٨) .
(٤) الميسر والقداح (ص ١٩) .

وقد طبع أدب الكاتب سيرول في ليبسيك سنة ١٨٧٧ م مع خلاصة انجليزية وأعاد طبعه ماكس غرونرت في ليدن سنة ١٩٠٠ م وطبع في مصر مراراً وقد حقق الطبعة الثالثة منه السيد محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٣٧٧ هـ وهو يشتمل على أربعة كتب :

(١) كتاب المعرفة .

(٢) كتاب تقويم اليد .

(٣) كتاب تقويم اللسان .

(٤) كتاب الأبنية .

وقد قال عنه الشاعر أبو منصور العبدوني :

أدب الكاتب عندي ... ما له في الكتب ند

ليس للكاتب عنه ... إن أراد العلم بد[1]

وقد ألف أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان كتاباً في نقده أسماه « غلط أدب الكاتب »[2] .

(٧) كتاب معاني الشعر الكبير :

ويحتوي على اثني عشر كتاباً وهي كتاب الفرس ستة وأربعون باباً وكتاب الإبل ستة عشر باباً وكتاب الحرب عشرة أبواب وكتاب القدور عشرون باباً وكتاب الديار عشرة أبواب وكتاب الرياح واحد وثلاثون باباً وكتاب السباع والوحوش سبعة عشر باباً وكتاب الهوام أربعة عشر باباً وكتاب الإيمان والدواهي سبعة أبواب وكتاب النساء والغزل باب واحد وكتاب الشيب والكبر ثمانية أبواب وكتاب تصحيف العلماء باب واحد ويوجد في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية الجزء الأول من كتاب المعاني برقم ٤٠٥٠ وهو في الخيل وفي خزانة المكتب الهندي بلندن الجزء الثاني منه وأوله باب الذباب[3] وقد طبع

---

(١) انظر مقدمة أدب الكاتب (ص ٢) .

(٢) انظر مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٢٣) .

(٣) أنظر مقدمة الميسر والقداح (ص ١٩) ، فهرست إبن النديم (ص ١١٥) .

الموجود منه في الهند سنة ١٣٦٨ هـ في ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها ١٢٧٠ صفحة من القطع الكبير غير فهارسها والكتاب الثاني عشر منه وهو تصحيف العلماء من الأقسام الضائعة من الكتاب . وقد ألف ابن المرزبان عبد الله بن جعفر بن درستويه في نقده كتاباً جعل عنوانه « الرد على ابن قتيبة في تصحيف العلماء »[١] .

(٨) عيون الأخبار :

ذكره معظم من ترجم لإبن قتيبة وقد طبعته دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٣ هـ ثم طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣ م في أربعة أجزاء طباعة حسنة وهو يحتوي على عشرة كتب وهي :

كتاب السلطان وكتاب الحرب وكتاب السؤدد وكتاب الطبائع والأخلاق وكتاب العلم وكتاب الزهد وكتاب الإخوان وكتاب الحوائج وكتاب الطعام وكتاب النساء .

ولكتاب عيون الأخبار أهمية كبيرة عند جلة الأدباء فقد قال أبو بكر بن دريد[٢] وقد تذاكر مع جماعة من جلِسائه متنزهات الدنيا وسمى كل منهم أنزه مكان رآه ـ هذه متنزهات العيون فأين أنتم عن متنزهات القلوب ؟ فقالوا له وما هي ؟ فقال عيون الأخبار للقتبي والزهرة لإبن داود وقلق المشتاق لإبن أبي طاهر[٣] . وقد قال إبن قتيبة في وصف كتابه عيون الأخبار : « وهذه عيون

---

(١) مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٢٦) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي . ولد بالبصرة ونشأ بعمّان وطلب علم النحو وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي وكان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم أخذ عنه أبو سعيد السيرافي وأبو عبيد الله المرزباني وكان شاعراً كثير الشعر فمن ذلك المقصورة المشهورة وله من الكتب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الخيل وغيرها سئل عنه الدارقطني رحمه الله فقال تكلموا فيه مات سنة ٣٢١ هـ . أنظر نزهة الألباء (ص ٢٥٦) .

(٣) أنظر مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٢١) .

الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً وللملوك مستراحاً من كدِّ الجدّ والتعب . . . ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم . فوفيت كل فريقٍ منهم قسمه ووفرت عليه سهمه وأودعته طرفاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا افترقوا في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفاً ويأطر على التوبة متجانفاً ويردع ظالماً ويلين برقائقه قسوة القلوب ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة وأخرى مضحكة . . . وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين »[١] .

(٩) كتاب المعارف :

ذكره أغلب من ترجم لإبن قتيبة . وقد ذكره المؤلف في كتابه عيون الأخبار[٢] .

وقد طبع كتاب المعارف في جوتنجن سنة ١٨٥٠ م بعناية المستشرق أ . ف . وستفيلد وطبع في مصر سنة ١٣٥٣ هـ بتصحيح وتعليق محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ونشرته المكتبة الحسينية في القاهرة وقد حققه أخيراً الدكتور ثروت عكاشة وخدمه خدمة ممتازة واعتمد في تحقيقه على سبع نسخ خطية ونشرته دار المعارف بمصر إذ صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٦٩ م .

ويوجد في المكتبة الظاهرية بدمشق كتاب بعنوان تاريخ إبن قتيبة برقم ٨٠ تاريخ وقد ظنَّ بعض الباحثين بأنه كتاب في التاريخ غير كتاب المعارف

---

(١) عيون الأخبار (١ : ١٠ ، ١٢) .

(٢) أنظر عيون الأخبار (١ : ١٦) .

حتى اطّلع عليه الأستاذ إسحاق الحسيني والأديب السيد أحمد عبيد فإذا هو نسخة من كتاب المعارف[1] وقد زعم أبو بكر محمد بن يحيى الصولي أن كتاب المعارف منقول من كتاب المحبر لإبن حبيب[2] وقد اطّلعت على الكتابين المعارف والمحبر فظهر لي أن ابن قتيبة اطلع على كتاب المحبر واستفاد منه كثيراً خاصة في باب صناعة الأشراف وأهل العاهات والعرج والصم غير أن إبن قتيبة لا ينقل حرفياً بل يختصر أحياناً ويطول أحياناً وقد تعرض إبن قتيبة لأشياء كثيرة لم يتعرض لها إبن حبيب كذكر الفرق المخالفة لأهل السنة من أباضية ورافضة وقدرية وذكر إبن حبيب أشياء لم يذكرها إبن قتيبة كأسماء أصحاب الكهف وغير ذلك واتفاقهما في نقل بعض الأخبار والحوادث لا يجعل الكتابين كتاباً واحداً فإن الحادثة يذكرها عدة مؤرخين ويتفقون في نقلها ولا ضير في ذلك والناظر في تاريخ الطبري وتاريخ إبن الأثير وتاريخ إبن كثير يجد موافقات تجل عن الحصر ولم يعب أحد على اللاحق ما استفاده من السابق . وبهذا يظهر تجني إبن الصولي على إبن قتيبة رحمه الله . وكتاب المعارف لإبن قتيبة يشتمل على أمور مهمة وفوائد جمة ولنستمع إليه الآن في وصف كتابه إذ يقول : « . . . وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف أولها : مبدأ الخلق وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأزمانهم وحلاهم وأعمارهم وأعقابهم وافتراق ذراريهم ونزولهم في مشارق الأرض ومغاربها وأسياف البحار والفلوات والرمال إلى أن بلغت زمن المسيح عيسى عليه السلام والفترة بعده . ووصلت ذلك بذكر أنساب العرب مختصراً لذلك ومقتصراً على العمائر ومشهور البطون . ثم اتبعته أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبه وذكر عمومته وعماته وخالاته وجداته لأبيه وأمه وأظاره وأزواجه وأولاده ومواليه وأحواله في مبعثه ومغازيه إلى أن قبض

---

(١) أنظر مجلة الرسالة عدد ٨٤ سنة ١٩٣٥ م (ص ٢١٦) ، مقدمة محقق كتاب المعارف (ص ٦٣) .

(٢) أنظر (ص ١) من الفاخر للمفضل بن سلمة .

صلى الله عليه وسلم وأخبار العشرة من المهاجرين رحمهم الله ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى أحمد بن محمد ابن المعتصم المستعين بالله[1] والمشهورين من صحابة السلطان والخارجين عليهم من الخوارج ، ثم التابعين ومن بعدهم من حملة الحديث وأصحاب الرأي ومن عرف منهم بالرفض والتشيع والإرجاء والقدر . . . »[2] .

(١٠) **الميسر والقداح :**

وقد ذكره أغلب من ترجم لإبن قتيبة وحققه السيد محب الدين الخطيب وطبعه عام ١٣٤٢ هـ بالمطبعة السلفية . وقد قال إبن قتيبة في مقدمته : « أما بعد فإنك كتبت تعلمني تعلق قلبك بالميسر وكيفيته والقداح وحظوظها والياسرين وأحوالهم ومعرفة ما في الميسر من النفع الذي ذكره الله في القرآن وأنك لم تجد فيه لأحد من علماء اللغة مقالاً كافياً ولا قرأت فيه لمتقدم من السلف خبراً شافياً . وتسأل أن أكتب اليك بذلك كتاباً يوضحه لك ويسهله عليك حتى كأنك للأمر حاضر وبالقداح ياسر وقد كلفت رحمك الله شططاً وحاولت عسيراً لأن الميسر أمر من أمور الجاهلية قطعه الله بالإسلام فلم يبق عند الإعراب إلا النبذ منه اليسير وعند علمائنا إلا ما أدى إليهم الشعر القديم من غير أن يجدوا فيه أخباراً تؤثر أو روايات تحفظ . . . . ولما رأيت شغفك بهذا الفن أحببت إسعافك بما أمكن منه وتعذّر عليَّ من قول العلماء فيه ما تعذر عليك ولم أجد السبب إلى ما التمسته إلا جمع الأبيات في الميسر وتدبرها والاستدلال على كيفيته باعتبارها . . . »[3] . وقد لفت نظري في هذه المقدمة عبارتان : الأولى (فإنك كتبت تعلمني تعلق قلبك بالميسر وكيفيته) .

---

(١) ذكر ابن قتيبة بعد المستعين ثلاثة خلفاء وهم المعتز بالله ومحمد المهتدي والمعتمد على الله فلعله ألَّف كتابه في خلافة المستعين ثم ألحق أولئك أخيراً والله أعلم.

(٢) المعارف (ص ٣ ، ٤) .

(٣) الميسر والقداح (ص ٢٦) .

الثانية : « ولما رأيت شغفك بهذا الفن أحببت إسعافك بما أمكن منه » .

وهاتان العبارتان قد توحيان للقارىء بأن السائل يعشق الميسر وأن قلبه متعلق به وأنه سأل عنه ليمارسه . وقد يكون غرض السائل معرفة الميسر على حقيقته لكي يجتنبه ويحذر منه كما يسأل سائل عن تعريف الشرك والسحر لا ليعلمه ولكن ليجتنبه . فإن كان هدف السائل هذا فلا ضير على إبن قتيبة في تعريف الميسر له كما تعرف سائر الأمور المحرمة . وهذا ما نظنه بإبن قتيبة ونربي به عن غيره فإنه لو كان يعلّم الميسر لرجل شغوف به ليعمله لكان شريكه في الإثم غير أن تعبيره عن طلب المعرفة بالشيء بالتعلق والشغف تعبير غير سديد في نظري فإن التعلق والشغف من علامات شدة المحبة والوجد بالشيء والميسر لا يحبه مؤمن كامل الإيمان . والعلم عند الله تعالى .

(١١) المسائل والأجوبة .

ذكره بهذا الإسم الداودي والسيوطي . وذكره إبن النديم وإبن خلِكان والقفطي بإسم المسائل والجوابات . ومنه نسخة بدار الكتب المصرية (٦ لغة ش) وهو طائفة من الأحاديث والأخبار فسَّرها إبن قتيبة على جهة السؤال والجواب لذلك سمي بالمسائل وهو يضيف جديداً إلى جهود ابن قتيبة في علم غريب الحديث ويعد تتمة لكتابيه غريب الحديث وإصلاح الغلط كما أنه يحتوي جملة نافعة من المواد اللغوية التي يفيد منها الدارس اللغوي وفيه مباحث حديثية وعقدية مهمة . وقد نشره حسام الدين القدسي في مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ على نسخة واحدة بخط الشنقيطي محمد محمود بن التلاميذ المتوفى عام ١٣٢٢هـ ثم أعاد نشره السيد شاكر العاشور في مجلة المورد البغدادية (ص ٢٣٤) العدد الرابع سنة ١٩٧٤م على نسخة أخرى تحتفظ بها مكتبة عاشر أفندي في إستنبول وهناك نسخة اخرى في خزانة أيا

صوفيا في استنبول برقم ٤٥٧ ونسخة أخرى أيضاً في برلين (مخطوطات جوتة)[١] .

(١٢) كتاب الأشربة .

ذكره معظم من ترجم لابن قتيبة وذكره المؤلف في كتابه الميسر والقداح والشعر والشعراء وعيون الأخبار[٢] . وتوجد منه نسخة خطية في لندن وأخرى في دار الكتب المصرية (الرسالة العاشرة في المجموعة رقم ١٦٦)[٣] وقد طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٢٦٦هـ بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي ونشر أكثره المستشرق أرثوركي في مجلة المقتبس المجلد الثاني من (ص ٢٣٤) إلى (ص ٢٤٨)[٤] .

(١٣) كتاب الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .

وقد ذكره إبن النديم والداودي والسيوطي والقفطي باسم الرد على المشبهة . وقد طبع الكتاب في مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ ، باسم « الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة » بتحقيق الشيخ زاهد الكوثري . ونشره كذلك بهذا الإسم علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي سنة ١٩٧١م ضمن مجموعة عقائد السلف . وتحتوي هذه المجموعة على كتاب أحمد بن حنبل (الرد على الزناد دقة والجهمية) وكتاب ابن قتيبة المذكور آنفاً وكتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري وكتاب رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي المريسي العنيد . وقد أبان إبن قتيبة في كتابه هذا عن عقيدة السلف فتكلم عن القرآن وأنه كلام الله تعالى وعن القدرية ورد عليهم بالحجج الدامغة وتطرق فيه لكثير من مباحث العقيدة كما سيأتي .

---

(١) أنظر مقدمة غريب الحديث للدكتور عبد الله الجبوري .

(٢) أنظر الميسر والقداح (ص ٣٦) ، الشعر والشعراء (ص ٥٤ ، ٨٩) ، عيون الأخبار (١ : ١٦) .

(٣) الميسر والقداح (ص ١٧) .

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص ٢٥) ، وقارن بكتاب المعارف (ص ٤٧) .

(١٤) كتاب الأنواء :

ذكره كثير من الذين ترجموا لابن قتيبة وذكره هو في كتابه المعاني[١] .
وقد طبع الكتاب عام ١٣٧٥هـ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد بالهند وتوجد للكتاب اربع نسخ منها نسختان في مكتبة أوكسفورد بإنجلترا ونسخة في مكتبة الآباء الكرمليين في بغداد ونسخة في الخزانة التركية بمصر[٢] . وقد تكلم إبن قتيبة في كتاب الأنواء عن معنى النوء وعن منازل القمر وكيف يكون الطلوع والغروب وأسماء كواكب الجوزاء وذكر البروج وذكر الكواكب الخنسى وذكر الكواكب المنسوبة إلى سهيل ثم بيَّن كيف يكون الاهتداء بالنجوم والمسير بطلوعها وغروبها إلى غير ذلك من المباحث ولم يعتمد المؤلف في كتابه هذا على ما ترجم من كتب الفلك بل اقتصر على استنتاج هذا الفن من أشعار العرب اذ يقول في مقدمة كتابه : (وكان غرضي في جميع ما انبأت به الإقتصار على ما تعرف العرب في ذلك وتستعمله دون ما يدعيه المنسوبون الى الفلسفة من الأعاجم ودون ما يدَّعيه أصحاب الحساب ، فإني رأيت علم العرب بها هو العلم الظاهر للعيان الصادق عند الإمتحان النافع لنازل البر وراكب البحر وابن السبيل)[٣] .

(١٥) كتاب الشعر والشعراء .

ذكره بهذا الإسم ابن النديم وذكره ابن خلكان والداودي والسيوطي والقفطي وابن العماد باسم طبقات الشعراء وذكره المؤلف في كتابه المعارف باسم كتاب الشعر[٤] . وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٥م ثم أعيد طبعه فيها سنة ١٩٠٢م بتحقيق المستشرق دي غويه[٥] ثم طبعه أحمد محمد

---

(١) أنظر المعاني (١ : ٣٧٥ ، ٧٣٨) .
(٢) أنظر مقدمة الأنواء .
(٣) كتاب الأنواء (ص ٢) .
(٤) المعارف (١ : ١٦) .
(٥) تأويل مشكل القرآن (ص ٢٣) .

شاكر في مصر سنة ١٣٦٦هـ ويقع الكتاب في مجلدين كبيرين .

(١٦) كتاب العرب .

ذكره ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار فقال : « وقد أفردت للشعراء كتاباً وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب»[١] . وقد ذكره ابن النديم باسم كتاب التسوية بين العرب والعجم وقال الشيخ محب الدين الخطيب : « وقد اطّلعت في دار الكتب المصرية على نسخة قديمة منه كتبت سنة ٥٨٩هـ وهي في جزئين صغيرين كتب في آخرهما تم كتاب العرب وعلومها وكتب في أول الجزء الثاني : الجزء الثاني في فضل العرب على العجم . وأما الجزء الأول فناقص الأول وفيه خرم كبير»[٢] .

وقد طبع السيد محمد كرد علي ما وجد منه في رسائل البلغاء من (ص ٢٦٩ ـ ٢٩٥) .

(١٧) كتاب عيون الشعر .

ذكره ابن النديم وقال إنه يحتوي على عشرة كتب وهي كتاب المراتب كتاب القلائد ، كتاب المحاسن ، كتاب المشاهد ، كتاب الشواهد ، كتاب الجواهر ، كتاب المراكب ، كتاب المناقب ، كتاب المعاني ، كتاب الحوائج[٣] .

(١٨) كتاب المراتب والمناقب .

ذكره ابن النديم والظاهر أنه كتاب من كتب عيون الشعر العشرة المتقدمة .

(١٩) ديوان الكتاب .

ذكره ابن النديم والداودي والسيوطي وقد يكون هو أدب الكاتب .

---

(١) عيون الأخبار (٢ : ١٨٥) .

(٢) الميسر والقداح (ص ٢١) .

(٣) الفهرست (ص ٨٦) تحقيق رضا .

(٢٠) **تقويم اللسان** .

ذكره صاحب كشف الظنون والظاهر أنه ليس كتاباً مستقلاً بـل هو احـد الكتب الأربعة التي يشتمل عليها أدب الكاتب .

(٢١) **خلق الانسان** .

ذكره ابن النديم والداودي والسيوطي وحاجي خليفة .

(٢٢) **جامع النحو الكبير وجامع النحو الصغير** .

ذكرهما ابن النديم والداودي والسيوطي والقفطي وحاجي خليفة .

(٢٣) **الحكاية والمحكى** . ذكره ابن النديم .

(٢٤) **فرائد الدرّ** . ذكره ابن النديم .

(٢٥) **حكم الأمثال** . ذكره ابن النديم .

(٢٦) **آداب العشرة** . ذكره ابن النديم .

(٢٧) **كتاب العلم** . ذكره ابن النديم وقال هو خمسون ورقة .

(٢٨) **كتاب القلم** . ذكره السيوطي في البغية .

(٢٩) **الجوابات الحاضرة** . ذكره في بغيّة الوعاة وكشف الظنون وقد يكون هو المسائل والأجوبة متقدم الذكر .

(٣٠) **كتاب الخيل** . ذكره ابن النديم وابن خلكان والسيوطي .

(٣١) كتاب الحيل . ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣٢) **تعبير الرؤيا** .

ذكره ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار[1] وأبو الطيب اللغوي في مراتب النحـويين وابن النديم ومنـه نسخـة مخـطوطـة في الخـزانـة التيمـوريـة بـرقم ١٤٢٥تاريخ . وقد قال عنـه الشيخ علي الـطنطاوي (إطّلعت على نسخـة منه في الخزانة التيمورية من رواية أحمد بن مروان المالكي عن ابن قتيبة وهو يقع

---

(١) عيون الأخبار (١ : ١٦) .

في ١٣٤ صفحة . . وقدم له بمقدمة قيمة تقع في أكثر من اربعين صفحة وتأتي من بعدها أبواب الكتاب وهي سنة وأربعون باباً)[1] .

(٣٣) **معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .**

ذكره أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين .

(٣٤) **دلائل النبوة من الكتب المنزَّلة على الأنبياء .**

ذكره ابن النديم وابن الأنباريَ والسيوطي بكشف الظنون .

(٣٥) **أعلام النبوة .**

ذكره السخاوي[2] وقد يكون هو **دلائل** النبوة المتقدم .

(٣٦) **جامع الفقه** . ذكره ابن النديم .

(٣٧) **كتاب التفقيه .**

ذكره ابن خلكان وحاجي خليفة وابن النديم وقال رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة بخط برك وكانت تنقص على التقريب جزئين وسألت عن هذا الكتاب جماعة من أهل الخط فزعموا انه موجود وهو اكبر من كتب البندنيجي [3] وأحسن من كتبه .

(٣٨) **كتاب معاني القرآن** . ذكره السيوطي في البغية .

(٣٩) **كتاب القراءات** . ذكره ابن النديم .

(٤٠) **إعراب القراءات** . ذكره ابن خلكان بهذا الاسم وذكره ابن النديم باسم إعراب القرآن .

---

(١) مجلة الرسالة عدد ٨٤ ، ٨٥ سنة ١٩٣٥ م . السنة الثالثة (ص ٢١٦) .

(٢) أنظر الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي (ص ٩١) .

(٣) هو اليمان بن أبي اليمان البندنيجي وكان ضريراً شاعراً عارفاً باللغة لقي إبن السكيت وغيره من علماء البصريين والكوفيين وله من الكتب كتاب التفقيه ، كتاب معاني الشعر ، كتاب العروض .

أنظر الفهرست لإبن النديم (ص ١٢٢) .

(٤١) الرد على القائل بخلق القرآن .

ذكره السيوطي في البغية وقد يكون هو كتاب اختلاف اللفظ والرد على المشبهة فإنه رد فيه على من قال بخلق القرآن .

(٤٢) آداب القراءة . ذكره حاجي خليفة .

(٤٣) استماع الغناء بالألحان . ذكره حاجي خليفة .

(٤٤) كتاب التفسير . ذكره القاضي عياض[١] .

(٤٥) كتاب الجراثيم .

قال عنه سيد صقر : « توجد منه نسخة خطية عتيقة في المكتبة الظاهرية (٥٩ لغة) تقع في ٤٤٠ صفحة كتب عليها « كتاب الجراثيم مستوعب لأسماء أصول العالم والبهائم والوحش والطير والسباع والهوام وكل نسمة تعرف ومتصرفاتهم وأفعالهم وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات وغير ذلك والوحوش وقوافي الشعر» تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلمْ ومجلد كتاب الجراثيم هذا يحتوي عدة كتب لغوية نشر منها الأب موريس بويجس كتاب النعم والبهائم والوحوش والسباع والطير وحشرات الأرض سنة ١٩٠٨م ونسبه لأبي عبيد القاسم بن سلام . كما نشر الدكتور أوغست هفز كتاب النخل والكرم في مجلة المشرق ونسبه للأصمعي ثم أعاد نشره الأب لويس شيخوفي المجموعة اللغوية التي سماها البلغة في شذور اللغة . ولكنه لم يرتض نسبته للأصمعي ونسبه لأبي عبيد . . . وقد نشر شيخو ايضاً من كتاب الجراثيم كتاب الرَّحْل والمنزل وشك في نسبته لابن قتيبة لأنه لم يذكره أحد ضمن مصنفاته ومال إلى أنه لأبي عبيد . وقد نشر أيضاً من تلك المجموعة فصلاً عنوانه أبواب اللبن والشراب ولم يحاول نسبته إلى أحد غير ابن قتيبة»[٢] .

---

(١) ترتيب المدارك (٣ : ٢٩٢) .

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص ٣٠) .

ويقول محب الدين الخطيب : « وإذا صحت نظرية أن كتاب الجراثيم مجموعة لمؤلفين متعددين فلا يبعد أن يكون فيها قطعة أو أكثر لابن قتيبة فكان ذلك باعثاً على نسبة الكتاب إليه في هذه النسخة المخطوطة»[١] .

(٤٦) **كتاب الوحش** . ذكره ابن قتيبة في كتابه الأنواء[٢] .

(٤٧) **كتاب الصيام** . ذكره ابن قتيبة في كتاب الأنواء[٣] .

(٤٨) **كتاب الوزراء** . ذكره ابن منظور في لسان العرب[٤] .

(٤٩) **كتاب آلة الكتاب** . ذكره ابن السيد البطليوسي[٥] .

(٥٠) **كتاب صناعة الكتابة** . ذكره الخزاعي[٦] .

(٥١) **أرجوزة الظاء والضاد** . نشرها داوود جلبيي في مجلة لغة العرب (٧: ٤٦١ ـ ٤٦٣) .

وقد نشرت جريدة المدينة المنورة في عدد ٤٩٩٥ يوم الخميس ١٧ من شهر شوال سنة ١٤٠٠هـ في الصفحة ١١ أرجوزة الظاء والضاد . قال ناشرها د. أحمد عبد الرحيم مصطفى إنها موجودة في خزانة كتب مدرسة الحجيات في الموصل تحت رقم ٤٢ وفي مقدمتها :

(١) أفضل ما فاه به الإنسان   وخير ما يجري به اللسان
(٢) حمد الإله والصلاة بعده   على نبي فهو اسنى عنده
(٣) محمد وآله الأبرار   وصحبه الأفاضل الأخيار

وآخرها !

---

(١) أنظر مقدمة الميسر والقداح (ص ٢٤) .
(٢) الأنواء (ص ٤٣) .
(٣) الأنواء (ص ١٣٠) .
(٤) لسان العرب (١٣ : ١٤٣) .
(٥) الإقتضاب (ص ٨٧) .
(٦) الدلالات السمعية (ص ٣٥٨) .

(١) والـمظ رمـان الجبـالِ فـاعلم ومضـه بـالشتم زيـد فـأفـهم
(٢) ونـاظـراً إلـى العـيـون النـاظـــــرة كـرامق إلى الوجـوه النـاضـرة
(٣) ولـلرجـال والـسـبـاع ظـفـر والـرجـل القصيـر فهـو ضفـر

(٥٢) **سير العجم** . ذكره إبن السراج[١] .

(٥٣) **رسالة في فضل أبي بكر الصدِّيق** .

مخطوطة في عشر ورقات مخرومة الآخر توجد في مكتبة الأوقاف العامة ببغـداد بـرقم ٩/ ٩٩٣٠ ـ ٩٩٣٦ مجـاميـع . ذكـرهـا الـدكتـور عبـد اللَّه الجبوري[٢] .

وقد ذكر بروكلمان بأن لإبن قتيبة تفسيـر سورة النـور نشر بـالقاهـرة عام ١٣٤٣هـ وكتاب الألفاظ المغربة بالألقاب المعربة ، مكتبة القرويين بفاس رقم ١٢٦٢ وكتـاب تلقين المتعلم في النحو ـ بـاريس أول ٤٧١٥ وكتـاب منتخب اللغة وتواريخ العرب : القاهرة ثاني ٢/ ٤١[٣] . ولم يذكـر هذه الكتب أحـد غير بروكلمان حسب علمي فاللَّه أعلم هل هي له أم منحولة عليه .

وينسب إلى إبن قتيبة كتاب الإمامة والسيـاسة . وقـد طبع هـذا الكتاب في القاهرة سنـة ١٣٢٢هـ ثم أعادت طبعـه مطبعـة الفتوح الأدبيـة بمصر سنـة ١٣٣١هـ وأخيـراً نشـرتـه مؤسسـة الحلبي سنـــة ١٣٧٨هـ في جـزئين بتحقيق الـدكتور طـه الزيني . وقـد أطلعت على هـذه الـطبعـة فـوجـدت أن المحقق سامحه اللَّه لم يجرِ على عادة المحققين فلم يذكر للكتاب سنداً ولا سمـاعات ولا أدري على أي أساس نسب الكتاب إلى ابن قتيبـة وهو لم يـذكره جميـع من ترجموا له إلَّا منفياً عنه ولم يشر إلي نفي العلماء لكتاب الإمامة والسيـاسة عن إبن قتيبة مما يجعل تحقيق هذا الرجل لا وزن له بتاتاً .

---

(١) مصارع العشاق (ص ٤٧٣) .
(٢) فهارس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد (٤ : ٢٣٦) .
(٣) أنظر تاريخ الأدب العربي (٢ : ٢٢٩) .

وقد كتب الأستاذ عبد اللّٰه عسيلان مقالاً في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض أثبت فيه بطلان نسبة كتاب الإمامة والسياسة لإبن قتيبة من إثني عشر وجهاً نلخصها فيما يلي :

(١) إن الذين ترجموا لإبن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألَّف كتاباً في التاريخ يدعى الإمامة والسياسة ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلَّا كتاب المعارف .

(٢) إن المتصفح للكتاب يشعر أن إبن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلَّا إلى الدينور . قلت بل خرج أيضاً إلى مكة ونيسابور كما تقدم لكنه لم يذهب إلى الشام أو المغرب .

(٣) إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف الإمامة والسياسة يختلف تماماً عن منهج وأسلوب إبن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا ومن الخصائص البارزة في منهج إبن قتيبة أنه يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبيِّن فيها منهجه والغرض من مؤلفاته وعلى خلاف ذلك يسير صاحب الإمام والسياسة فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر هذا إلى جانب الإختلاف في الأسلوب ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات إبن قتيبة .

(٤) يروي مؤلف الكتاب عن إبن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه وإبن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن ابن ابي ليلى الفقيه قاضي الكوفة المتوفى سنة ١٤٨هـ والمعروف أن إبن قتيبة لم يولد إلَّا سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة إبن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً .

(٥) إن الرواة والشيوخ ألذين يروي عنهم إبن قتيبة عادة في كتبه لم يرِد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب .

(٦) يبدو من الكتاب أن المؤلف يروي أخبار فتح الأندلس مشافهة من أناسٍ عاصروا حركة الفتح من مثل قوله : « حدثتني مولاة لعبد اللّٰه بن

موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أن موسى حاصر حصنها التي كانت من أهله » والمعروف أن فتح الأندلس كان سنة ٩٢هـ أي قبل مولد إبن قتيبة بنحو مائة وواحد وعشرين عاماً .

(٧) إن كتاب الإمامة والسياسة يشتمل على أخطاء تاريخية واضحة مثل جعله أبا العباس والسفَّاح شخصيتين مختلفتين وجعله هارون الرشيد الخلف المباشر للمهدي واعتباره أن هارون الرشيد أسند ولاية العهد لإبنه المأمون ومن ثم لإبنه الأمين وإذا رجعنا إلى كتاب المعارف لإبن قتيبة نجده يمدنا بمعلومات صحيحة عن السفاح والرشيد تخالف ما ذكره صاحب الإمامة والسياسة .

(٨) إن في الكتاب رواة لم يرو عنهم إبن قتيبة في كتاب من كتبه من مثل إبن أبي مريم وإبن عفير . قلت بل الكتاب كله يكاد يكون مبنياً على هذين الرجلين حيث جاء في الصفحة العاشرة منه ما يلي : (عن إبن أبي مريم قال : حدثنا العرياني عن أبي عون بن عمرو بن تيم الأنصاري رضي اللّه عنه وحدَّثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبد الرحمن قال : حدثنا بقصة إستخلاف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لأبي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم ثم أخذ في سرد الكتاب وكل ما أتى عند بداية فصل قال : وذكروا كذا إلى آخر الكتاب تقريباً إلَّا حكايات قليلة تعد على الأصابع يذكر عمن رواها وممن روى عنه يحيى بن عبد الحميد الحمامي والوليد بن مسلم وإبن أبي ليلى ولم يروِ إبن قتيبة عن أحد من هؤلاء) .

(٩) ترد في الكتاب عبارات ليست في مؤلفات إبن قتيبة نحو : (قال : ثم أن) (وذكروا عن بعض المشيخة) . وحدثنا بعض المشيخة ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات إبن قتيبة ولم ترد في

كتاب من كتبه .

(١٠) من الملاحظ أن مؤلف الإمامة والسياسة لا يهتم بالتنسيق والتنظيم فهو يورد الخبر ثم ينتقل منه إلى غيره ثم يعود ليتم الخبر الأول وهذه الفوضى لا تتفق مع منهج إبن قتيبة الذي يستهدف التنسيق والتنظيم .

(١١) إن مؤلف الإمامة والسياسة يروي عن اثنين من علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين .

(١٢) إبن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنَّة وثقة في علمه ودينه ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم هل من المعقول أن يكون مؤلف الكتاب الذي شوّه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم . . هـ[١].

وبعد قراءتي لكتاب الإمامة والسياسة قراءة فاحصة ترجح عندي أن مؤلف الإمامة والسياسة رافضي خبيث أراد إدماج هذا الكتاب في كتب إبن قتيبة نظراً لكثرتها ونظراً لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل الحديث وقد يكون من رافضة المغرب فإن إبن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب بل أن أهل المغرب يغلون فيه حتى أنهم قالوا من ليس في بيته شيء من تصانيف إبن قتيبة فلا خير فيه ومن يطعن في إبن قتيبة عندهم يتهمونه بالزندقة[٢] . فآستغل أحد الروافض إسم إبن قتيبة اللامع في تلك المنطقة ووضع عليه تخريفاته لتروج عند من لا علم له .

ومما يرجِّح أن مؤلف الإمامة والسياسة من الروافض ما يلي :

(١) أن مؤلف الإمامة والسياسة ذكر على لسان علي رضي اللّه عنه أنه قال للمهاجرين : (اللّه اللّه يا معاشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد

---

(١) مختصراً من مجلة كلية اللغة العربية بالرياض لعام ١٣٩٢ هـ (٢ : ٢٥٥ ـ ٢٥٧) .

(٢) فتاوى إبن تيمية (١٧ : ٣٩١) .

في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ولا تدفعوا اهله عن مقامه في الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم . . . والله أنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله)[1] ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلَّا الشيعة .

(٢) إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحاً عظيماً فصور إبن عمر رضي الله عنه جباناً وسعد بن أبي وقاص حسوداً وذكر أن محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحباً اليهودي بخيبر وإن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان[2] .
والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وأن شاركهم الخوارج إلَّا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة .

(٣) إن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر خرافاته وإدعائه للوحي[3] . والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين مع العلم أن أبن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان وبيَّن أنه كان يدَّعي أن جبريل يأتيه[4] .

(٤) إن مؤلف الإمامة والسياسة لم يذكر دور عبد الله بن سبأ اليهودي في الفتنة ولم يذكر اسمه مطلقاً في كتابه في حين أن أغلب العلماء الذين كتبوا عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة ذكروا دور عبد الله بن سبأ

---

(١) الإمامة والسياسة (١ : ١٢) .
(٢) أنظر الإمامة والسياسة (١ : ٥٤ ـ ٥٥) .
(٣) الإمامة والسياسة (٢ : ٢٠) .
(٤) المعارف (ص ٤٠١) .

وممن ذكر ذلك أبن قتيبة في كتابه المعارف[1] وابن تيمية[2] فدل على أن مؤلف الإمامة والسياسة من الرافضة لأنهم ينكرون أن يكون أصل مذهبهم مقتبساً من اليهود .

يقول إبن حجر : « إن عبد اللّه بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضلّ وأصله من اليمن وكان يهودياً فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشرَّ ودخل دمشق لذلك وأخبار عبد اللّه بن سبأ شهيرة في التواريخ وليست له رواية وللّه الحمد وله أتباع يقال لهم السبائية معتقدون إلاهية علي بن أبي طالب وقد أحرقهم بالنار في خلافته »[3] .

(٥) اطلعت على نسخة خطية لكتاب الإمامة والسياسة في مكتبة الأصفية بحيدر اباد تحت رقم ١٢١ ولم يكن لها سند ولا سماعات غير أن ناسخها شيعي ومالكها شيعي إذ عليها ختم بإسم عبد الراجي محمد باقر أسد اللّه الموسوي وقال كاتبها في نهايتها . وكتبها عبد اللّه بن محمد بن حسن حشره اللّه مع الأئمة الأطهار ـ والأئمة عند الشيعة معصومون من الخطأ ـ فدلّ هذا الحرص على اقتناء الكتاب ونسخه بأنه يخدم أغراضهم ويشبع رغبتهم الشريرة والعلم عند اللّه تعالى .

(٦) إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتين صفحة وهذا يخالف منهج السلف الصالح الذين يمسكون عما شجر بين الصحابة . مما يدل على أن مؤلف الإمامة والسياسة له غرض شيطاني إذ يختصر التاريخ الناصع المشرق ويسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلاَّ القليل وهذه من أخلاق

---

(١) المعارف (ص ٦٢٢) .

(٢) الفتاوي (٤ : ٤٣٥) .

(٣) أنظر لسان الميزان (٣ : ٢٩٠) بتصرف .

الروافض المعهودة نعوذ باللّه من الضلال والخذلان .

(٧) يقول السيد محمود شكري الألـوسي في مختصره للتحفـة الأثنا عشـرية « ومن مكـايـدهم [يعني الـرافضـة] أنهم ينـظرون في أسمـاء الـرجـال المعتبـرين عند أهـل السنـة فمن وجدوه مـوافقـاً لأحـد منهم في الإسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه فمن لا وقوف له من أهل السنـة يعتقد أنـه إمام من أئمتهم فيعتبـر بقولـه ويعتد بـروايته كـالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الـوضاعين الكـذابين وهو رافضي غـال . وعبـد اللّه بن قتيبة رافضي غـال وعبد اللّه بن مسلم بن قتيبـة من ثقات أهل السنة وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف فصنف ذلـك الرافضي كتـاباً وسماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضـلال »[1] وهذا ممـا يرجـح أن كتاب الإمامة والسياسة لإبن قتيبة الرافضي وليس لإبن قتيبة السني الثقة وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء واللّه أعلم .

---

(١) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسي ص ٣٢ .

المبحث الرابع

صلته بحكام عصره

كانت صلة علماء السلف بخلفاء بني العباس ووزرائهم خاصة في العصر العباسي الثاني صلة فيها شيء من الحذر إذ كثر عند بعضهم الظلم والبدع كبدع التشيع والإعتزال فجانب أكثر العلماء السلاطين وأعوانهم لئلا يعينوهم على باطل أو لئلا يحضروا منكراً لا يقدرون على إزالته ولم يكن إبن قتيبة كثير الإختلاط بالسلاطين وأعوانهم ولم يكن مجانباً لهم مطلقاً بل أتصل بهم ناصحاً كما ذكر هو ذلك فقال : « وكتبت إلى بعض السلاطين كتاباً وفي فصل منه ولم يزل حزمة الرجال يستحلون مرارة قول النصحاء ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأي من كل أحد حتى الأمة الوكعاء »[1] .

وآتصل بهم مهدياً كما فعل مع الموفق الذي كان بيده تصريف أمور الدولة في خلافة أخيه المعتمد. فأهدى له كتاب المعارف فأجازه بعشرة آلاف دينار[2] . وأهدى كتاب أدب الكاتب للوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان[3] وزير المتوكل ثم المعتمد ويبدو أن إبن قتيبة كان معجباً

---

(١) أنظر عيون الأخبار (١ : ٢٨) . (٢) أنظر مقدمة المعارف (ص ٦٥) .

(٣) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو الحسن وزير المتوكل وقد نفاه المستعين إلى برقة ثم قدم بعد وفاة المستعين فوزر للمعتمد إلى أن مات وهو واسع الحيلة له أخبار في الحلم والسخاء . مات وعليه ستمائة ألف دينار مع كثرة ضياعه . توفي عام ٢٦٣هـ .
أنظر شذرات الذهب (٢ : ١٤٧) ، سير أعلام النبلاء (٩ : ١) .

بهذا الوزير حيث يقول عنه في مقدمة أدب الكاتب :

« . . . فالحمد للّه الذي أعاذ الوزير أبا الحسن أيَّده اللّه من هذه الرذيلة[1] وأبانه بالفضيلة وحباه بخيم السلف الصالح ورداه رداء الإيمان وغشاه بنوره وجعله هدىً من الضلالات ومصباحاً في الظلمات وعرفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة »[2] . وحق لإبن قتيبة أن يعجب بالوزير أبي الحسن لأنه لم يشتغل ـ كغيره من بعض الكتّاب في ذلك العصر ـ بعلم المنطق الذي يعده السلف مذمة . ولكونه صاحب صفات حميدة فقد قال عنه الذهبي : « انه كان سمحاً جواداً واسع الحيلة وله أخبار في العلم والسخاء حيث مات وعليه ستمائة ألف دينار مع كثرة ضياعه »[3] .

وكان لإبن قتيبة اتصالاً بالأمير محمد بن عبد اللّه بن طاهر[4] وكانت للأمير عليه أيادي بيضاء أفصح عنها بقوله : « . . . أما شكري للأمير على سالف معروفه فقد أغار وأنجد وأما ابتهالي إلى اللّه في جزائه عني بالحسنى فإخلاص النية عند مظان القبول »[5] .

ولا نجد لإبن قتيبة اتصالاً بالخلفاء الذين عرف عنهم الإنتصار للمعتزلة وأهل الكلام كالمعتصم والواثق والمستعين وغيرهم بل اقتصر اتصاله على من شايع السنة وأعلى قدرها كالمتوكل والموفّق الذي قضى على ثورة الزنج

---

(1) المراد بالرذيلة هي الشغف بعلم المنطق وحدوده وأقيسته لأن إبن قتيبة قد انتقده قبل هذا الكلام بأسطر وبيَّن أن له ترجمة تروق بلا معنى وإسم يهول بلا جسم .

(2) أدب الكاتب (ص ٥) .

(3) سير أعلام النبلاء (٩ : ١) .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي كان جواداً ، ممدحاً قوي المشاركة جيد الشعر وهو أمير بن أمير بن أمير ولي امارة بغداد في أيام المتوكل وكان مألفاً لأهل العلم والأدب . مات سنة ٢٥٣ هـ . بسبب خراج في حلقه . . أنظر تاريخ بغداد (٥ : ٤١٨) ، شذرات الذهب (٢ : ١٢٨) .

(5) عيون الأخبار (٢ : ٢٢٢) .

الزنادقه . وهذا يدل على أن ابن قتيبة يعيش لعقيدته لا لأهوائه ورغباته فلا يركن إلّا لمن يرى فيه عوناً على عقيدته . ويذكر الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد محقق أدب الكاتب أن ابن قتيبة عمل أدب الكاتب للوزير أبي الحسن بن خاقان فأحسن صلته واصطنعه وقدمه للمتوكل وأحسن الثناء عليه عنده حتى صرفه المتوكل إلى بعض عمله[1] بينما يرجح السيد أحمد صقر محقق تأويل مشكل القرآن بأنه ألّف أدب الكاتب للوزير المذكور في عهد المعتمد لا في عهد المتوكل[2] وهذا أظهر لأن ابن قتيبة ذكر قصة الكاتب شجاع بن القاسم الذي كان يقرأ على الخليفة المستعين ويصحف الكلام تصحيفاً يضحك الحاضرين في أدب الكاتب[3] . وخلافة المستعين بعد خلافة المتوكل . وعلى هذا يكون تولى ابن قتيبة القضاء الدينور في خلافة المعتمد لأن الوزير اصطنعه وعينه في القضاء بعد أن أهدى له أدب الكاتب[4] .

---

(١) أدب الكاتب (ص ٥) .

(٢) مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٤٢) .

(٣) أدب الكاتب (ص ٧) .

(٤) مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٤١) .

المبحث الخامس

تلاميذه

كما أن ابن قتيبة روى عن عدد كثير من أهل العلم في عصره فقد أخذ عنه العلم عدد لا يُحصى نظراً لكثرة مصنفاته ولاشتمالها على معارف شتى وعلوم جمة : وسوف نقتصر على التعريف بأشهرهم وهم :

(١) ابنه أحمد أبو جعفر الذي روى عن والده جميع كتبه وكان يحفظها كما يحفظ السورة من القرآن[١] .

(٢) أحمد بن مروان بن محمد المعروف بالمالكي أبو بكر . من أهل مصر وقيل في نسبه أحمد بن جعفر بن مروان بن محمد القاضي الدينوري يعرف بالمالكي وبالخياشي نزل مصر وبها مات . أخذ عن إسماعيل القاضي ويحيى بن معين وصالح بن أحمد بن حنبل وأبي محمد بن قتيبة وعلي بن عبد العزيز وابن أبي الدنيا وغيرهم وغلب عليه الحديث حدث ببغداد وبمصر روى عنه الناس كثيراً وروى عنه أبو بكر الأبهري وأبو محمد الضِراب وأبو بكر المهتدي وأبو القاسم السيوري وغيرهم . ضعفه الدارقطني . ألّف كتاباً في فضائل مالك وكتاباً في الرد على الشافعي وكتاب المجالسة . مات سنة ٢٩٨هـ وعمره ٨٤ سنة[٢] .

---

(١) تقدمت ترجمته وافية في (ص ٤٨) من هذا البحث .

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (١ : ١٥٣) .

ومما رواه عن ابن قتيبة كتاب تأويل مختلف الحديث وقد وصل إلينا بروايته .

(٣) عبد اللَّه بن جعفر بن درستويه بن المرزبان أبو محمد الفارسي النحوي حدث عن أحمد بن الحباب الجميري ويعقوب بن سفيان الفسوي وأبي قلابة الرقاشي وأبي العباس المبرد وعبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة وغيرهم . وكان فسوياً سكن بغداد إلى حين وفاته وحمل عنه من علوم الأدب كتب عدة صنفها منها : تفسير كتاب الجرمي ومنها كتابه في النحو الذي يدعى الإرشاد ومنها كتابه في الهجاء وهو من أحسن كتبه . وروى عنه محمد بن المظفر والدارقطني وابن شاهين وغيرهم . ولد سنة ٢٥٨هـ وتوفي سنة ٣٤٧هـ[١]وقد روى عن ابن قتيبة كتاب الأشربة .

(٤) عبيد اللَّه بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو محمد السكري سمع زكريا بن يحيى المنقري صاحب الأصمعي ومحمد بن الجارود القطان وعبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة وغيرهم . وروى عنه القاضي أبو بكر بن الجعابي وأبو عمر بن حيوية وأحمد بن إبراهيم بن شاذان وأبو الحسن الدارقطني وغيرهم وكان ثقة مات سنة ٣٢٣هـ[٢] ، وقد سمع من ابن قتيبة كتاب غريب الحديث وإصلاح الغلط في سنة ٢٦٨هـ وقد وصل إلينا من روايته عنه كتاب المسائل والأجوبة وإصلاح الغلط[٣] .

(٥) محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام أبو بكر الأجري المحولي . كان يسكن باب المحول فنسب إليه وكان إخبارياً مصنفاً حسن التأليف حدث عن محمد بن أبي السوي الأزدي وأحمد بن منصور الرمادي والزبير بن بكّار وعبد اللَّه بن أبي سعد الوراق وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم .

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٩ : ٤٢٨) ، قارن بنزهة الألباء (ص ٢٨٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ٣٥٠) .

(٣) مقدمة تحقيق مشكل القرآن (ص ٣٧) .

وروى عنه أبو بكر بن الأنباري النمري وأبو جعفر بن برية الهاشمي وأبو الفضل بن المتوكل وجماعة . توفي سنة ٣٠٩هـ[١] .

(٦) أحمد بن محمد بن الحسن أبو بكر الضِراب الدينوري. قدم بغداد وحدث بها عن عبد الله بن محمد بن سِنان الروحي وهارون بن موسى الأشناني ومحمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينوري وغيرهم . وروى عنه أبو حفص بن الزيات وأبو الحسن بن البواب وغيرهم وكان ثقة توفي يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من جمادي الأولى سنة ٣٢٨هـ[٢] . وقد قرأ على أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة كتابه تأويل مختلف الحديث[٣] .

(٧) إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير أبو القاسم الصائغ . حدث عن محمد بن حسان الأزرق وإسحاق بن إبراهيم البغوي وعلي بن الحسين بن أشكاب وغيرهم . وروي عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة مصنفاته . حدث عنه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الزهري وعلي بن عمر السكري . وكان ثقة مات سنة ٣١٣هـ[٤] .

(٨) قاسم بن إصبغ بن محمد بن يوسف الحافظ الإمام محدث الأندلس أبو محمد القرطبي مولى بني أمية ويقال له البياني ـ وبيانه محله بقرطبة ـ وهو ثقة انتهى إليه التقدم في الحديث معرفة وحفظاً وعلو إسناد . سمع بقي بن مخلد وأقرانه ومنه حفيدة قاسم بن محمد وعبد الله بن محمد الباجي والقاسم بن محمد بن غسلون وغيرهم ورحل سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع محمد بن إسماعيل بمكة وأبا بكر بن أبي الدنيا وأبا

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٥ : ٢٣٨) ، مقدمة تحقيق تأويل مشكل القرآن (ص ٣٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٤ : ٤٢٧) .

(٣) مقدمة تحقيق مشكل القرآن (ص ٣٨)

(٤) تاريخ بغداد (٦ : ١٥٧) .

محمد بن قتيبة ومحمد بن الجهم وطبقتهم ببغداد وإبراهيم القصار بالكوفة وصنف كتاباً على وضع سنن أبي داود وكان إماماً في العربية مشاوراً في الأحكام عاش ثلاثاً وستين سنة وتغير ذهنه يسيراً قبل موته بثلاثة أعوام ومات في جمادي الأولى سنة ٣٤٠هـ(١) .

(٩) أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي البنكثي أصله من ترمذ وسكن بنكث فنسب إليها كان إماماً حافظاً رحالاً أديباً قرأ الأدب على أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد . وروى عن عيسى بن أحمد العسقلاني وأبي عيسى الترمذي وغيرهما من أهل خراسان والجبال والعراق . وروى عنه أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي ومات بالشاش سنة ٣٣٥هـ وله مسند في مجلدين(٢) .

(١٠) عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير أبو القاسم التميمي . سمع محمد بن علي بن قدامة ويحيى بن أبي طالب وحمدان بن علي الوراق وعلي بن عبد العزيز البغوي وأبا محمد بن قتيبة المصنف روى عنه الدارقطني ومحمد بن الخضر بن أبي خزام ومحمد بن عبد الرحيم المازني وأبو حفص بن الأجري وكان ثقة مات في ذي الحجة من سنة ٣٣٤هـ(٣) .

(١١) عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الأزدي النحوي . حدث عن محمد بن الجهم السمري كتاب معاني القرآن وعن مسلم بن عيسى الصفار وأبي بكر بن أبي الدنيا وعبد الله بن مسلم بن قتيبة . روى عنه المعافى بن زكريا الجريري وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وأبو الفرج عبيد الله بن عمر المصاحفي وغيرهم . قال عنه أبو يعلى محمد بن الحسين السراج المقرىء ضعيف

---

(١) انظر شذرات الذهب (٢ : ٣٥٨) ، وقارن بتذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ٦٧٠) .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ (٣ : ٦٢) ، قارن بمعجم البلدان في اسم « بنكث » .

(٣) تاريخ بغداد (١٠ : ٣٥٣) .

مات سنة ٣٤٨هـ في خلافة المطيع[١] .

(١٢) محمد بن حامد بن محمد بن الحارث بن عبد الحميد أبو رجاء التميمي حدث عن محمد بن الجهم السمري ومحمد بن يحيى الكسائي المقريء وغيرهم . روى عنه أبو القاسم بن الثلاج وأبو محمد بن النحاس المصري توفي سنة ٣٤٣هـ ذكره سيد صقر في تلاميذ ابن قتيبة[٢] .

(١٣) محمد بن علي بن أحمد أبو العباس الأديب الكرجي . كان عالماً بالفرائض مقدماً في التأديب وهو أحد المؤذنين بنيسابور . توفي سنة ٣٤٣هـ[٣] .

(١٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينوري . وقد روي عنه تأويل مختلف الحديث[٤] .

(١٥) أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي المتوفي سنة ٢٩٨هـ.

(١٦) أبو العباس أحمد بن محمد بن عميرة الإروائي المروزي[٥] .

(١٧) أبو عبد اللّه محمد بن أبي الأسود البلثي المتوفى سنة ٣٤٣هـ[٦] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ : ٣٥٨) ، قارن بنزهة الألباء (ص ٣٨٦) .

(٢) انظر تاريخ بغداد (٢ : ٢٨٩) ، وقارن بمقدمة تحقيق مشكل القرآن (ص ٣٨).

(٣) طبقات الشافعية (٣ : ١٩٩) .

(٤) انظر مقدمة تأويل مختلف الحديث (ز) .

(٥) انظر مقدمة تأويل مشكل القرآن (ص ٣٨) .

(٦) انظر المصدر السابق .

المبحث السادس

وفاته

ورد في وفاة ابن قتيبة أربع روايات :

الرواية الأولى أنه توفي عام ٢٧٠ هـ وذكرها معظم من ترجم لابن قتيبة .

الرواية الثانية أنه توفي عام ٢٧١ هـ ولم يذكرها الا ابن خلكان .

الرواية الثالثة أنه توفي عام ٢٧٦ هـ وهذه الرواية يرجحها أغلب المؤرخين .

الرواية الرابعة : أنه توفي عام ٢٩٦ هـ ولم يذكرها الا الزبيدي في طبقات النحويين[١] .

والراجح من الروايات هي الرواية الثالثة وهي أنه توفي عام ٢٧٦ هـ وذلك لأمرين :

الأول : أن هذه الرواية يذكرها المؤرخون عن تلميذ ابن قتيبة أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ[٢] . ولا شك أن التلميذ أعرف بأحوال معلمه لا سيما في حادث جلل كهذا .

---

(١) أنظر هذه الروايات في مواضع ترجمة ابن قتيبة فقد ذكرنا مراجعها وأرقام صفحاتها في (ص ٤٩ من هذا البحث .

(٢) انظر تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) .

الثاني : أن قاسم بن إصبغ الأندلسي رحل الى المشرق عام ٢٧٤ هـ واجتمع بابن قتيبة في بغداد وروى عنه كما هو ثابت عند المؤرخين[١] وهذا يبطل الرواية الأولى القائلة بأنه مات عام ٢٧٠ هـ والرواية الثانية القائلة بأنه مات سنة ٢٧١ هـ .

أما الرواية الرابعة القائلة بأنه مات سنة ٢٩٦ هـ فهي رواية شاذة لم يذكرها غير الزبيدي وليس له مستند في ذلك وأغلب ظني أنه حصل في كتاب الزبيدي تصحيف من النساخ فحرفت السبعة الى تسعة والله تعالى أعلم .

وأغلب المؤرخين على أن ابن قتيبة توفي ببغداد وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم أن ابن قتيبة مات بالكوفة ودفن الى جنب قبر أبي حازم القاضي[٢] ، والله أعلم بالصواب .

أما سبب الوفاة فتكاد تجمع عليه المراجع التاريخية وهو ما رواه الخطيب البغدادي عن تلميذ ابن قتيبة إبراهيم الصائغ حيث جاء فيه أن ابن قتيبة أكل هريسة فأصاب حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أُغمي عليه الى وقت صلاة الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد الى وقت السحر ثم مات وذلك في أول ليلة من رجب سنة ٢٧٦ هـ[٣] .

---

(١) أنظر شذرات الذهب (٢ : ٣٥٧) .

(٢) انظر المنتظم (٥ : ١٠٢) .

(١) تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) وقارن بمراجع حياته المتقدمة .

المبحث السابع

أقوال العلماء فيه

العلماء في ابن قتيبة ثلاث طوائف :

(١) طائفة يوثقونه في دينه وعلمه .

(٢) وطائفة يقدحون في علمه وخلقه .

(٣) وطائفة ينسب اليهم الطعن في عقيدته .

وسأورد أقوال الجميع وأناقش ما يستحق المناقشة منها بدون تعصب لأحد فإن الله أمرنا بالعدل في كل شيء فقال : ﴿ إعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ المائدة : ٨ ، وليس بيني وبين ابن قتيبة نسباً سوى الإخوة في الله .

الطائفة الأولى ـ الموثقون له في دينه وعلمه :

(١) الخطيب البغدادي[١] ؛ قال عن ابن قتيبة (وكان ثقة ديناً فاضلاً وهو

---

(١) هو أبو بكر الخطيب أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ أحد الأئمة الأعلام وصاحب التآليف المنتشرة في الاسلام . ولد في جمادى الأخرة سنة ٣٩٢ هـ وتفقه في مذهب الشافعي على القاضي أبي الطيب الطبري وأبي الحسن المحاملي وغيرهما ولم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله قال ابن الأهدل تصانيفه قريب من مائة مصنف تصدق بجميع ماله قبل وفاته وأوصى بأن يتصدق بثيابه . ووقف كتبه على المسلمين . توفي سنة ٤٦٣ هـ ولم يكن له عقب .

أنظر شذرات الذهب (٣ : ٣١١) .

صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة)[1] .

(٢) ابن النديم[2] ؛ قال عنه : (وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه كثير التصنيف والتأليف)[3] .

(٣) أبو محمد بن حزم[4] . قال عنه : « ابن قتيبة ثقة في دينه وعلمه »[5] .

(٤) ابن خلكان[6] . قال عنه : (كان فاضلاً ثقة وتصانيفه كلها مفيده)[7] .

(٥) أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري[8] . قال عنه : (وكان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر متفنناً في العلوم وله المصنفات

---

(١) تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) .

(٢) هو أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم صنف كتاب الفهرست وجود فيه واستوعب إستيعاباً يدل على اطلاعه ولا يبعد أن يكون وراقاً يبيع الكتب وهو شيعي معتزلي وله كتاب التشبيهات . توفي عام ٣٨٥هـ . مقدمة الفهرست (ص ١) .

(٣) الفهرست (ص ١١٥) .

(٤) هو العلامة علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي الظاهري صاحب المصنفات روى عن أبي عمر بن الجسور ويحيى ابن مسعود وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل إلّا أنه كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد أحد يسلم من لسانه فنفرت منه القلوب واستملل منه فقهاء وقته وحذروا سلاطينهم منه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده ومات مشرداً بالبادية وله كتب جمة مفيدة منها الإحكام في أصول الأحكام والمحلى والفصل في الملل والنحل مات رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ . انظر شذرات الذهب (٣ : ٢٩٩) .

(٥) مقدمة مشكل القرآن (ص ٥٢) .

(٦) وهو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي سمع البخاري من ابن مكرم وأجاز له المؤيد الطوسي وجماعة وتفقه بالموصل على كمال الدين بن يونس وبالشام على ابن شداد ولي قضاء الشام عشر سنوات ثم عزل بابن الصايغ ثم رد الى قضاء الشام ثم عزل ثانية في أول سنة ٦٨٠ هـ قال عنه الذهبي كان إماماً فاضلاً متقناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى جيد القريحة بصيراً بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس . توفي سنة ٦٨١ هـ .
انظر شذرات الذهب (٥ : ٣٧١) .

(٧) وفيات الأعيان (٢ : ٢٤٦) .

(٨) هو أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الشافعي تفقه بالنظامية على ابن الرزاز وأخذ النحو عن ابن الشجري واللغة عن ابن الجواليقي وبرع في الأدب حتى صار شيخ

المذكورة والمؤلفات المشهورة)[1] .

(٦) أبو منصور الأزهري[2] . قال عنه : (ما رأيت أحداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه)[3] .

(٧) مسلمة بن قاسم . قال عنه : (ابن قتيبة لغوياً كثير التأليف عالماً بالتصنيف صدوقاً من أهل السنة) ذكره ابن حجر[4] .

(٨) الحافظ أبو طاهر السلفي[5] . قال عنه : (ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة) ذكره ابن حجر[6] .

(٩) الصلاح العلائي[7] . قال عنه : (ابن قتيبة جار على طريقة أهل

العراق وكان زاهداً عابداً مخلصاً تاركاً للدنيا وله مائة وثلاثون مصنفاً في اللغة والأصول والزهد وأكثرها في فنون العربية . مات في شعبان سنة ٥٧٧ هـ وله ٦٤ سنة . انظر الشذرات (٤ : ٢٥٨) .

(١) نزهة الألباء (٢٠٩) .

(٢) هو العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي اللغوي النحوي الشافعي صاحب تهذيب اللغة وغيره . روى عن البغوي ونفطويه وأبي بكر بن السراج وترك الأخذ عن ابن دريد تورعاً لأنه رآه سكران وقد بقي الأزهري في أسر القرامطة مدة طويلة توفي رحمه الله في سنة ٣٧٠ هـ وله ٨٨ سنة .
انظر شذرات الذهب (٣ : ٧٢) .

(٣) تهذيب اللغة (١ : ٣١) .

(٤) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) .

(٥) هو العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني الحرواني سمع من أبي عبد الله الثقفي وأحمد بن عبد الغفار بن أشته وخلق كثير طاف بلاداً كثيرة وتفقه في بغداد على الكيالي الهراسي وأبي بكر الشاشي وأتقن مذهب الشافعي وبرع في الأدب واستوطن الاسكندرية بضعاً وستين سنة مكباً على الإشتغال بالعلم . توفي سنة ٥٧٦ هـ وهو من المعمرين.
شذرات الذهب (٥ : ٢٥٥) .

(٦) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) .

(٧) هو صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الشافعي الإمام المحقق ولد بدمشق وبلغ عدد شيوخه بالسماع سبعمائة وأخذ علم الحديث عن المزي وغيره ودرس في =

الحديث في عدم التأويل) ذكره ابن حجر أيضاً[1] .

(١٠) الحافظ ابن كثير . قال عنه : (ابن قتيبة أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء وكان ثقة نبيلاً وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه)[2] .

(١١) ابن الجوزي[3] . قال عنه : (وكان عالماً ثقة دينا فاضلاً وله التصانيف المشهورة)[4] .

(١٢) الذهبي . قال عنه : [الامام العالم صاحب التصانيف الشهيرة][5] وقال عنه : (ابن قتيبة من أوعية العلم صدوق في الرواية)[6] .

(١٣) شيخ الإسلام ابن تيمية . قال عنه: (ابن قتيبة من أهل السنة . . وهو

القدس بمدرسة الصلاحية وكان مفنناً في علم الحديث ومعرفة الرجال قال السبكي كان حافظاً ثبتاً ثقة عارفاً بأسماء الرجال والعلل والمتون فقيهاً متكلماً أديباً أشعرياً . توفي عام ٧٦١ هـ .
انظر الشذرات (٦ : ١٩٠) .

(١) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) .

(٢) البداية والنهاية (١١ : ٥٧) .

(٣) هو ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر وينتهي نسبه الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ والطب وغير ذلك وهو حنبلي المذهب في الفقه . قال ابن رجب نقم عليه جماعة من مشائخ أصحابنا وأئمتهم ميله الى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل متابعاً لأكثر ما يجد من كلامه وابن عقيل بارع في الكلام ولم يكن له خبرة بالحديث والآثار . فلهذا يضطرب في هذا الباب ويتلون فيه وأبو الفرج تابع له في هذا التلون . وقال الشيخ موفق الدين المقدسي كان ابن الجوزي إمام أهل عصره . . . وكان حافظاً للحديث وصنف فيه إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها . توفي عام ٥٩٧ هـ . أنظر شذرات الذهب (٤ : ٣٣١) .

(٤) المنتظم (٥ : ١٠٢) .

(٥) مختصر العلو للذهبي بتحقيق الألباني ص ٢١٦ .

(٦) ميزان الإعتدال (٢ : ٥٠٣) وقارن بتذكرة الحفاظ وسير أعلام النبلاء ودول الإسلام في مواضع ترجمته التي مرت معنا في حياته .

من المنتسبين الى أحمد واسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة وله في ذلك مصنفات متعددة قال فيه صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث هو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً . . . وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه قلت ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة)[١] .

(١٤) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . ذكر جملة من العلماء كالذهبي وابن كثير وابن رجب وابن عبد البر والخطابي والشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد ثم قال : (فهؤلاء اليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف)[٢] .

الطائفة الثانية ـ القادحون في علمه وخلقه :

(١) **أبو الطيب الحلبي**[٣] :

قال عن ابن قتيبة : (وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو وكتابه في تعبير الرؤيا وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعيون الأخبار والمعارف والشعراء ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له)[٤] .

---

(١) الفتاوى الكبرى (١٧ : ٣٩١) .

(٢) الدرر السنية (١ : ٣٧) .

(٣) هو أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحاق بن يحيى النحوي المعروف بابن الوشاء فانه كان أديباً فاضلاً حسن التصنيف حدث عن عبد الله بن أبي سعد الوراق وأحمد بن عبيد بن ناصح ومحمد بن أحمد بن النضر الكديمي وأبي العباس ثعلب والمبرد وطبقته وروت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد على الله . له منالكتب شمر الدر ومراتب النحويين وكتاب الموشي . مات سنة ٣٥١ هـ . انظر الغرر المثلثة والدرر المبثة للفيروز آبادي (ص ١٣٢) .

(٤) مراتب النحويين (ص ١٣٧) .

قلت لم أقف على كتابه في النحو وكتابه في تعبير الرؤيا وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم غير أن الشيخ علي الطنطاوي قال عن كتابه في تعبير الرؤيا : (أنه من نفائس تراثنا العلمي ومكانه من الخزانة العربية لا يزال خالياً لم يشغله كتاب وقال إنه يحتوي على جملة من نوادر الشعر وطرائف اللغة ودرر الأدب)[١] . أما كتاب عيون الأخبار وكتاب المعارف وكتاب الشعراء فهي من أحسن الكتب عند الأدباء ولقد مر معنا قول ابن دريد : (أن عيون الأخبار من متنزهات القلوب)[٢] .

ويبدو أن أبا الطيب الحلبي غير دقيق في كلامه لقوله أنه نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له . فقد مر معنا قريباً ثناء أربعة عشر عالماً من جلة علماء الإسلام على مؤلفات ابن قتيبة وهم أنفذ بصيرة وأعرف بالجيد من الرديء من أبي الطيب وأمثاله .

(٢) أبو منصور الأزهري :

قال عن ابن قتيبة : (فأما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض أو حرف من علل التصريف والنحو أو مشكل أو حرف غريب فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة وألفيته يحدث بالظن فيما لا يعرفه ولا يحسنه)[٣] قلت قد أثنى عليه ثناءً عاطراً في موضع آخر فقال : (. . . فأما أبو تراب والقتيبي فكانا من المعرفة والإتقان بحيث يثنى بهما الخناصر)[٤] .

ولا أدري كيف وقع أبو منصور في هذا التناقض ؟ وأي القولين يريد أن يعتمد عليه القارىء .

---

(١) مجلة الرسالة عدد ٨٥ فبراير سنة ١٩٣٥ م السنه الثالثة ص (٢١٦) .
(٢) انظر (ص ٨٨) من هذا البحث .
(٣) تهذيب اللغة (١ : ٣١) .
(٤) تهذيب اللغة (١ : ١٦) .

(٣) أبو بكر بن الأنباري[١] :

قال الأزهري : (رأيته ينسب ابن قتيبة الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة وقد رد عليه قريباً من ربع ما ألفه من مشكل القرآن)[٢] .

وقد بيّن ابن تيمية رحمه الله سبب كثرة انتقاد ابن الأنباري لابن قتيبة فقال : (. . . وابن الأنباري يحتج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة وقصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث وأتبع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك ـ وإن كان ابن الأنباري من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة ـ وقد نقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبي عبيد أشياء من تفسيره غريب الحديث وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك وسلك في ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم)[٣] . وكذلك فقد إتضح للشريف المرتضى ما اتضح لابن تيمية من تعصب أبي بكر بن الأنباري وعدم التزامه منهج الصواب في نقده لابن قتيبة فقال : (. . . ان من شأن ابي بكر محمد بن القاسم الأنباري أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وأن تعسف في الطعن عليه)[٤] وبين سيد صقر سبباً آخر يحمل ابن الأنباري على التعصب على ابن قتيبة فقال : (وابن الأنباري من نحاة الكوفة المتعصبين وابن قتيبة من البصريين ولكنه لم يكن متعصباً لمذهبه

---

(١) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن ابو بكر الأنباري النحوي كان من أعلم الناس بالنحو والأدب واكثرهم حفظاً سمع اسماعيل بن إسحاق القاضي وأحمد بن الهيثم بن خالد البراز ومحمد بن يونس الكديمي وكان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف وقد روي عنه ابو عمرو بن حيوية وابو الحسن الدارقطني وغيرهم وقد كتب عنه وابوه حي وكان يملي في ناحية من المسجد وابوه في ناحية اخرى توفي في ليلة النحر من ذي الحجة سنة ٣٢٨هـ . انظر تاريخ بغداد (٣ : ١٨٥) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١ : ٣١) .

(٣) الفتاوي الكبرى (١٧ : ٤١١) .

(٤) امالي المرتضى (٢ : ١٣) .

بل مزج بين المذهبين فتعصب عليه ابن الأنباري كما تعصب على معاصره أبي الحسن بن كيسان المتوفى سنة ٢٩٦ هـ لأنه مزج بين النحويين وكان ميله الى مذهب البصريين أكثر)[١] .

(٤) ابن تغري بردى [٢] :

قال عن ابن قتيبة : (أنه خبيث اللسان يقع في حق كبار العلماء)[٣] وأظنه يقصد بذلك إنتقاد ابن قتيبة لأصحاب الرأي الذين يذهبون الى الرأي مع وجود النص الشرعي . وابن تغري بردى متفقه على مذهب الأحناف الذي بنيت أكثر أحكامه على الرأي[٤] . وقد بين ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث خطأ أصحاب الرأي في اعتمادهم على الرأي مع وجود النص الشرعي[٥] . فقال : حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي عن حماد ابن زيد قال شهدت أبا حنيفة سئل عن محرم لم يجد إزاراً فلبس سراويل فقال عليه الفدية فقلت سبحان الله . حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المحرم إذا لم يجد إزاراً لبس سراويل وإذا لم يجد نعلين لبس خفين[٦] فقال دعنا من هذا حدثنا حماد عن ابراهيم أنه قال عليه الكفارة . .

---

(١) مقدمة مشكل القرآن (ص ٧٣) .

(٢) هو جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردى الحنفي ولد بالقاهرة سنة ٨١٢ ورباه زوج اخته ناصر الدين ابن العديم الحنفي الى ان مات فتزوج بأخته جلال الدين البلقيني الشافعي فتولى تربيته ولما كبرا اشتغل بفقه الحنفية وحبب اليه علم التاريخ فلازم مؤرخي عصره مثل العيني والمقريزي ومن مصنفاته المنهل الصافي وكتاب المستوفي بعد الوافي وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . توفي في ذي الحجة سنة ٨٧٤هـ . شذرات الذهب (٧ : ٣١٧) .

(٣) النجوم الزاهرة (٣ : ٥٧) .

(٤) انظر شذرات الذهب (٧ : ٣١٧) .

(٥) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٥١) .

(٦) هذا الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك (٢ : ٩٧٧) .

وبين ابن قتيبة أشياء كثيرة ذهب فيها أهل الرأي الى مخالفة النصوص الشرعية [1] وهذا ما حمل متعصبة أهل الرأي على انتقاده . وذم الرأي وأهله لم يكن خاصاً بابن قتيبة فقط بل عرف عن كثير من السلف الصالح كإسحاق ابن راهويه شيخ ابن قتيبة وأحمد بن حنبل والشافعي وغيرهم .

(٥) أبو المعالي الجويني [2] :

قال عن ابن قتيبة : (أنه هجام ولوج فيما لا يحسنه) ذكره ابن حجر ثم عقب عليه بقوله كأنه يريد كلامه في الكلام [3] . قلت ليس ابن قتيبة وحده هو الهجام على أهل الكلام الذين تركوا الكتاب والسنة وتعلقوا بنظريات أرسطو وأفلاطون بل عامة علماء السلف هجامون عليهم حتى يهدموا باطلهم وليت شعري ما حكم الجويني على الشافعي الذي قال : (حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام) [4] .

(٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المشهور بالحاكم [5] :

قال عن ابن قتيبة : (أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب) ذكره

---

(١) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٥٢ ـ ٥٩) .

(٢) هو إمام الحرمين عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني الفقيه الشافعي أحد الأئمة الأعلام قال ابن الأهدل تفقه على والده في صباه خرج الى بغداد والى مكة والى أصبهان واخذ عنه خلق كثيرون وله مصنفات كثيرة منها الشامل في اصول الدين والإرشاد والعقيدة النظامية وغيرها. توفي في نيسابور سنة ٤٧٨هـ . انظر شذرات الذهب (٣ :٣٥٧).

(٣) لسان الميزان (٣ : ٣٥٩) .

(٤) انظر الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي (٢ : ٢٠) .

(٥) هو ابو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون بن نعيم بن البيع الضبي الطهماني النيسابوري ولد سنة ٣٢١هـ ، وحدث عن الأصم وعثمان بن السماك وطبقتهما وكان فيه تشيع وحط على معاوية وهو ثقة حجة قال ابن ناصر صدوق من الإثبات لكن فيه تشيع وتصحيح واهيات وقال الخطيب ثقة يميل الى التشيع وقال الذهبي هو معظم للشيخين بيقين ولذي النورين وإنما تكلم في معاوية فأوذي أخذ عنه البيهقي فأكثر عنه وبكتبه تفقه . مات سنة ٤٠٥هـ . انظر شذرات الذهب (٣ : ١٧٧) .

الذهبي[١] . وقد تولى الذهبي رحمه الله الرد عليه فقال بعد أن حكى قوله (قلت هذه مجازفة قبيحة وقلت ورع فما علمت أحداً إتهمه بالكذب قبل هذه القولة)[٢] . وقال في كتابه المغني بعد حكايته لقول الحاكم (قلت هذا بغي وتخرص بل قال الخطيب هو ثقة)[٣] . وقال أيضاً في كتابه الشهير « تاريخ دول الاسلام » : (. . . وقال مسعود السجزي سمعت الحاكم يقول أجمعت الأمة على أن القتبي كذاب قلت وهذه مجازفة بشعة من الحاكم فما علمت أحداً اتهم ابن قتيبة في نقل مع أن أبا بكر الخطيب قد وثقه وما أعلم أحداً أجمعت الأمة على كذبه إلا مسيلمة والدجال)[٤] . وابن قتيبة رحمه الله تعالى قد انتقد الشيعة إنتقاداً لاذعاً وبين قبائحهم في كتابه تأويل مختلف الحديث[٥] والحاكم يميل الى التشيع كما ذكره الخطيب البغدادي[٦] فلعل هذا هو الحامل للحاكم على إتهام ابن قتيبة بالكذب وهو منه براء والله تعالى أعلم .

الطائفة الثالثة ـ من نَسب اليهم الطعن في عقيدته وبيان بطلانه :

ذكر سبط بن الجوزي في كتابه مرآة الزمان[٧] بدون إسناد أن الدارقطني قال كان ابن قتيبة يميل الى التشبيه وكلامه يدل عليه وقال البيهقي كان يرى رأي الكرامية[٨] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩ : ١٣٨) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المغني في الضعفاء (١ : ٣٥٧) .

(٤) تاريخ دول الإسلام ، مخطوطة مصورة على ميكروفيلم بجامعة الرياض برقم ٤٧٥ .

(٥) انظر تأويل الحديث (ص ٧٢) وما بعدها .

(٦) تاريخ بغداد (٥ : ٤٧٤) .

(٧) مرآة الزمان مخطوطة بالمكتبة الازهرية برقم ٤٦٩ ومنها صورة على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بمكة برقم ٦٧٦٥ .

(٨) الكرامية نسبة الى ابي عبد الله محمد بن كرام السجستاني . طرده عثمان بن سعيد الدارمي =

ونقل هذه التهم عنه الذهبي في ثلاثة من كتبه ، في سير أعلام النبلاء[1] وفي تاريخ دول الإسلام[2] وفي ميزان الإعتدال[3] ونقلها السيوطي في بغية الوعاة[4] وابن تغري بردى في النجوم الزاهرة[5] والرد على هذه التهم من عدة وجوه :

أولاً : أن المؤرخين القريبين من عهد ابن قتيبة لم يذكروا شيئاً من هذه التهم كالخطيب البغدادي وابن النديم وابن الجوزي والسمعاني وابن الأنباري والزبيدي والأزهري وابي الطيب الحلبي .

ثانياً : أن الذين نقلوا هذه التهم مصدرهم الوحيد هو كتاب مرآة الزمان فلم يشيروا الى غيره .

ثالثاً : أن سبط ابن الجوزي ذكر التهم من غير إسناد الى شخص أو كتاب .

رابعاً : أن الدارقطني[6] ....

= من هراة ثم دخل خراسان واكثر الإختلاف الى أحمد بن حرب الزاهد ثم جاوز بمكة خمس سنين قم ورد نيسابور وانصرف منها الى سجستان وباع ما كان يملكه وعاد الى نيسابور وباح بالتجسيم وقال انّ الإيمان بالقول كاف وان لم يكن معه معرفة بالقلب . قال الذهبي ساقط الحديث على بدعته . وقال ابن حبان خذل حتى التقط من المذاهب أرداها وقد سجن بنيسابور لأجل بدعته ثمان سنوات ثم سار الى بيت المقدس ومات بالشام سنة ٢٥٥هـ .

انظر طبقات الشافعية (٢ : ٣٠٤) ، ميزان الاعتدال (٤ : ٢١) ، الفرق بين الفرق (ص ٢١٥) .

(١) مخطوطة منها صورة فوتوغرافية بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز (٩ : ١٣٩) .

(٢) مخطوط في جامعة الرياض برقم ٤٧٥ .

(٣) ميزان الاعتدال (٢ : ٥٠٣) .

(٤) (٢ : ٦٣) .

(٥) (٣ : ٧٦) .

(٦) هو ابو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود البغدادي الإمام الحافظ الكبير شيخ الإسلام . اليه النهاية في معرفة الحديث وعلومه وكان يدعي فيه أمير المؤمنين . روى عن البغوي وطبقته ودرس فقه الشافعي على أبي سعيد الاصطخري سمع البغوي وطبقته =

.... والبيهقي[1] اللذين عزا سبط ابن الجوزي التهم إليهما لم يلقهما فالدارقطني متوفى عام ٣٨٥ هـ والبيهقي متوفى عام ٤٥٨ هـ وسبط ابن الجوزي مولود عام ٥٨٣ هـ فهو لم يأخذ منهما مشافهة .

خامساً : لقد بذلت قصارى جهدي في التنقيب عن هذه التهم في كتب الدارقطني والبيهقي فلم أعثر عليها ولم أستقصِ جميع ما كتباه فإن كثيراً من كتبهما مفقودة أو في حكم المفقود .

سادساً : سبط بن الجوزي غير ثقة في نقله . وبينه وبين ابن قتيبة مخالفة في الإعتقاد فابن قتيبة سني وسبط بن الجوزي رافضي وقد انتقد ابن قتيبة الرافضة انتقاداً مريراً[2] .

فلا يستبعد أنه اختلق هذه التهم ليشف غيظ نفسه أولاً وليشف غيظ أولاد الملك عيسى العادل الذي انقطع إليهم وكان حنبلياً فنقلوه إلى مذهب أبي حنيفة فانتقل إليه لا لإقتناعٍ بل لأجل الدنيا[3] ثم نقلوه إلى الرفض لكي يوافقهم في المذهب والإعتقاد .

يقول الإمام الذهبي عن سبط بن الجوزي : (وألّف مرآة الزمان فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف ثم انه

= وخلائق ببغداد والكوفة وواسط وارتحل في كهولته الى مصر والشام وصنف التصانيف : حدث عنه الحاكم وأبو حامد الاسفرائيني والبرقاني وغيرهم . قال الخطيب كان فريد عصره وإمام وقته . توفي في ثامن ذي القعدة سنة ٣٨٥هـ .

انظر مقدمة تحفة الاحوذي (١ : ٢١٠) ، شذرات الذهب (٣ : ١١٦) .

(١) هو ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي (نسبة الى خسروجرد ببيهق) الشافعي صاحب التصانيف المفيدة منها السنن الكبرى والصغرى والمعارف وكتاب الأسماء والصفات ودلائل النبوة وغيرها لزم الحاكم مدة وأكثر عن أبي الحسن العلوي . توفي عام ٤٥٨هـ .

شذرات الذهب (٣ : ٣٠٥) .

(٢) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٧٠) .

(٣) انظر فوات الوفيات (٤ : ٤٥٦) ، وقارنه بشذرات الذهب (٥ : ٢٦٦) .

ترفض وله مؤلف في ذلك نسأل الله العافية . . وقال الشيخ محيي الدين السوسي لما بلغ جدي موت سبط بن الجوزي قال : لا رحمه الله كان رافضياً[1] .

سابعاً : إن قول سبط بن الجوزي هذا الذي رواه بدون إسناد مع توجه التهمة إليه في نقله واعتقاده معارض بقول الأئمة الأعلام من أئمة الإسلام الذين شهدوا لابن قتيبة بالصلاح وحسن الإعتقاد وأنه على مذهب أهل السنة والجماعة كالخطيب البغدادي وابن حزم والحافظ السلفي والعلائي والذهبي وابن تيمية . فقد قال الخطيب ثقة في دينه[2] وقال ابن حزم ثقة في دينه وعلمه وقال مسلمة بن قاسم ابن قتيبة من أهل السنة يذهب إلى قول إسحاق بن راهويه : (وإسحاق بن راهويه من كبار علماء السلف) وقال الحافظ السلفي : ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة وقال العلائي ابن قتيبة جار على طريقة أهل الحديث في عدم التأويل وقال الذهبي ما رأيت لأبي محمد في كتابه مشكل الحديث ما يخالف طريقة المثبتة والحنابلة من أن أخبار الصفات تمر ولا تتأول[3] . وقال ابن تيمية ابن قتيبة من أهل السنة بل هو خطيب أهل السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة[4] . وبعد هذه الشهادات لابن قتيبة من هؤلاء العلماء المشاهير لا أظن منصفاً يلتفت إلى قول رجل مبتور السند مطعون في عدالته من عالم بالرجال كالذهبي .

ثامناً : ان ابن قتيبة قد صرح في كتبه بأن عقيدته هي عقيدة أهل الحديث وليس أهل الحديث مشبهة ولا كرامية فقال : (ولو أردنا أن ننتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام ونرغب فيهم لخرجنا من اجتماع إلى تشتت وعن نظام إلى تفرق وعن أنس إلى وحشة وعن اتفاق إلى

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٤ : ٤٧١) .
(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ١٧٠) .
(٣) لسان الميزان (٣ : ٣٥٧) وقارنه بما في تاريخ دول الإسلام وسير أعلام النبلاء للذهبي .
(٤) ملخصاً من مجموع الفتاوي (٤ : ٣٩١) جمع ابن قاسم .

اختلاف لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لا يكون وعلى أنه خالق الخير والشر وعلى أن القرآن كلام اللّه غير مخلوق وعلى أن اللّه تعالى يرى يوم القيامة وعلى تقديم الشيخين وعلى الإيمان بعذاب القبر لا يختلفون في هذه الأصول ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وباغضوه وبدعوه وهجروه)[1] .

وأصحاب الحديث الذين يرتضي ابن قتيبة عقيدتهم ولا يرغب أن ينتقل عنها ـ في عصره هم البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد بن حنبل وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه وهؤلاء كلهم أئمة في العقيدة السلفية فلم يعرف عن أحد منهم تعطيل أو تمثيل . ويقول ابن قتيبة في كتاب من آخر ما ألفه : (وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عنه فأبطلوا الصفات مثل الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك فقالوا نقول هو الحليم ولا نقول بحلم وهو القادر ولا نقول بقدره وهو العالم ولا نقول بعلم . . . ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل فقالوا بالتشبيه المحض وبالأقطار والحدود وحملوا من مستشنع الحديث عرق الخيل وحديث عرفات[2] وأشباه هذا من الموضوع ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفي إنكاره الريبة وكلا الفريقين غالط وقد جعل اللّه التوسط منزلة العدل ونهى عن الغلو فيما دون صفاته من أمر ديننا فضلاً عن صفاته ووضع عنا أن نفكر فيه كيف كان ؟ وكيف قدر ؟ وكيف خلق ؟ ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي وأنه يعجب وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجو أن نكون في ذلك

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ١٦) .

(٢) هذه احاديث وضعها الزنادقة . انظر في آخر هذا البحث مبحث دفاع ابن قتيبة عن السنة .

القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء اللّه تعالى)[1] .

تاسعاً : أن ابن قتيبة قد انتقد المشبهة بل ألّف كتاباً في الرد عليهم بعنوان « الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة » ونقلنا اعتقاده آنفاً منه .

عاشراً : إن الناظر في مؤلفات ابن قتيبة يجد أنه يخالف الكرامية في كل ما ذهبوا إليه من آراء تخالف السلف الصالح والكرامية قد أتوا بأشياء مبتدعة خالفوا فيها السلف[2] منها قولهم :

(١) إن اللّه جسم لا كالأجسام وأنه جوهر .

(٢) وقولهم أن الإيمان قول اللسان فقط وأنه لا يزيد ولا ينقص ، وان المنافق مؤمن في الدنيا ويستحق العذاب في الآخرة .

(٣) وقولهم أن اللّه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً فراراً من القول بحوادث لا أول لها[3] .

وقد خالفَ ابن قتيبة الكرامية فيما ذهبوا إليه فهو لا يطلق على اللّه أنه جسم أو جوهر بل يتوقف في إطلاق العبارات التي لم يرد إطلاقها على اللّه في الكتاب والسنة . إذ يقول : (نحن لا ننتهي في صفاته جلّ جلاله إلاّ إلى حيث انتهى إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم)[4] .

ومعلوم أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم لم يقل أن اللّه جسم أو جوهر . فإطلاق الكرامية هذه العبارات على اللّه مخالف لمنهج السلف الذين

---

(١) اختلاف اللفظ لابن قتيبة (ص ٢٣٢ ، ٢٤٣) .

(٢) انظر مقالات الاسلاميين للأشعري (١ : ٢٢٣) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢١٥) ، الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٣) انظر عنهم مذاهب التجسيم للدكتورة سهير مختار (ص ٨٢) وقارن بما في الملل والنحل (١ : ١٠٨) ، مختصر الصواعق المرسلة (٢ : ٢٩٢) .

(٤) تأويل مختلف الحديث (٢٠٨) .

ينتهون في صفات اللّه وأسمائِهِ إلى حيث انتهى . وقد انتقد ابن قتيبة إستعمال العبارات المحدثة في إثبات العقيدة حيث يقول : (ومعاني الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأينية ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بها وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج)[1] .

وأما قول الكرامية أن الإيمان تصديق اللسان فقط وأنه لا يزيد ولا ينقص فابن قتيبة يخالفه لأنه يرى أن الإيمان هو قول اللسان واعتقاد الجنان وعمل الأركان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما هو قول السلف الصالح يدل على هذا قوله : (... وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه[2] يريد ليس بمستكمل الإيمان وقال لم يؤمن من لم يأمن المسلمون من لسانه ويده[3] أي ليس بمستكمل الإيمان وقال لم يؤمن من بات شبعان وبات جاره طاوياً[4] أي لم يستكمل الإيمان وهذا شبيه بقوله لا وضوء لمن لم يذكر اسم اللّه عليه يريد لا كمال وضوء ولا فضيلة وضوء والناس يقولون فلان لا عقل له يريدون ليس هو مستكمل العقل ولا دين له أي ليس بمستكمل الدين)[5] . وهذه التفسيرات القيمة للأحاديث التي يوهم ظاهرها نفي الإيمان عن مرتكب الذنب تدل على أن ابن قتيبة على قول السلف الصالح لا على قول الكرامية لأنه يرى أن العمل من الإيمان وأن من أتى بمعصية فقد نقص إيمانه لكونِهِ أخلّ بالعمل . وابن قتيبة جعل المرجئة التي توافق الكرامية في هذا القول من الفرق الضالة حيث يقول :

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ١٣ ، ١٤) .

(٢) اخرجه البخاري في كتاب الادب (٤ : ٥٣) .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب الايمان (١ : ١١) .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب الايمان (١ : ١١) .

(٤) اخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٠) وقال الالباني (اخرجه البيهقي في شعب الإيمان واسناده حسن . انظر المشكاة بتحقيقه (٣ : ١٣٩١) رقم الحديث (٤٩٩١) .

(٥) تأويل مختلف الحديث (ص ١٧٢) .

(وأما المرجئة فيقال بهمز وبغير همز وهو من أرجيت الشيء وارجأته إذا أنت أخّرته ومنه قول اللَّه عز وجل : ﴿ ترجي من تشاء منهن ﴾ . . . الآية . . الأحزاب : ٥١ . وإنما سموا بذلك لأنهم زعموا أن الإيمان قول وأرجأوا العمل)[١] .

وقول ابن قتيبة زعموا أن الإيمان قول وارجأوا العمل يدل على مخالفته لهم فإن الزعم مطية الكذب ولو كان معتقداً لمعتقدهم لما أوردهم في ضمن الفرق المخالفة للسلف الصالح لأن كل فرقة من فرق المسلمين تدعي أنها على نمط السلف الصالح وأن المخالف غيرها .

أما قول الكرامية أن اللَّه تعالى تكلّم بالقرآن بعد أن لم يكن متكلماً . فابن قتيبة لم يقل مثلما قالوا ومعاذ اللَّه أن يكون اللَّه عاجزاً عن الكلام في فترة من الزمن . وقول ابن قتيبة هو قول السلف حيث يقول : فالقرآن كلام اللَّه تعالى وكلام اللَّه من اللَّه وليس من اللَّه عزّ وجلّ شيء مخلوق[٢] ولم نجد في كتبه أنه قال أن اللَّه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً وسوف يأتي إن شاء اللَّه تفصيل قول ابن قتيبة في كلام اللَّه تعالى في الفصول الآتية .

أما قول الكرامية أنّ علياً ومعاوية كانا خليفتين في آنٍ واحد فإن ابن قتيبة صرح بخلافِهِ وهو على مذهب السلف في أن الخليفة الرابع هو علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه وقد عقد فصلاً في كتابه المعارف بعنوان (خلافة علي بن أبي طالب) قال فيه : (أن عثمان لمّا قتل بويع علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه بيعته العامة في مسجد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم . . .)[٣] . وقال عن معاوية رضي اللَّه عنه أنه ولي الخلافة سنة أربعين وهو ابن اثنتين

(١) إصلاح غلط ابي عبيد . مخطوطة بمركز البحث العلمي بمكة .

(٢) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٢٥٩) .

(٣) انظر المعارف لابن قتيبة (ص ٢٠٨) .

وستين سنة وبلغه أنّ أهل الكوفة قد بايعوا الحسن بن علي فسار يريد الكوفة وسار الحسن يريده فالتقوا بمسكن من أرض الكوفة فصالح الحسن معاوية وبايع له[1] . وبهذا يتضح أن ابن قتيبة لم يرَ صحة خلافة معاوية إلاَّ بعد موت علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه عام ٤٠هـ ويتضح ان ابن قتيبة مخالف للكرامية في كل قول ابتدعته وخالفت به السلف الصالح وأن القائل بأن ابن قتيبة كرامي لم يصدق في قوله ولا شاهد له من كلام ابن قتيبة وأنني أكادُ أجزم بأن العالمين الجليلين الدارقطني والبيهقي لم يطلقا هذه التهم على ابن قتيبة وإنما لفقها عليه كذاب وضاع من خصومه ـ الذين كشف عوارهم وما أكثرهم حتى بلغ بهم الأمر إلى وضع كتاب كامل عليه كما تقدم ـ ونسبها إلى الدارقطني والبيهقي لكثرة مصنفاتهما ونقدهما للرجال وبالأخص الدارقطني فإنه من النقاد الأفذاذ .

بقي أن أشير إلى تهمة ألحقت أخيراً بابن قتيبة لم يعرف مصدرها وهي أن ابن قتيبة منحرف عن العترة وهذه التهمة وردت في نسخة من نسخ ميزان الإعتدال للذهبي في ترجمة ابن قتيبة وفي لسان الميزان لابن حجر وتلقف هذه التهمة الكتّاب المعاصرون بدون تمحيص ولا تدقيق فشاعت في أغلب المؤلفات التي تدرس حياة ابن قتيبة فكان لِزاماً علي إبطال هذه التهمة أو إثباتها على ابن قتيبة لا سيما وهي تهمة لها صلة بالعقيدة . فأقول وباللَّه التوفيق :

(١) إن محقق الطبعة الأولى من ميزان الإعتدال (والمتداولة الآن بأيدي الناس) الأستاذ علي محمد البجاوي إعتمد في تحقيقه على ثلاث نسخ منها نسختان موثقتان من علماء أجلّاء في علم الحديث ونقد الرِّجال كما قاله المحقق في مقدمة تحقيقه[2] ونسخة هندية كثيرة التصحيف والغلط

---

(١) انظر المعارف (ص ٣٤٩) .

(٢) انظر مقدمة ميزان الاعتدال ـ الطبعة الأولى .

وقـد وردت هـذه التهمـة في النسخـة الهنـديـة ولم تـرد في النسختين الموثقتين .

(٢) إن هـذه التهمـة وردت ضمن الكـلام الـذي نقله الـذهبي عن سبط بن الجـوزي ولم تكن من قول الـذهبي وبمـراجعتي لمـرآة الـزمـان تـأليف سبط بن الجوزي لم تكن فيها هذه التهمة .

(٣) إن الذهبي قد نقـل التهم الموجهـة إلى ابن قتيبة عن سبط بن الجـوزي في كتـابيه سيـر أعلام النبـلاء وتاريـخ دول الإسلام ولم تكن فيهـا هذه التهمة فدل على أن إدخالها في بعض نسـخ ميزان الإعتـدال من النسّاخ لا من الـذهبي رحمه اللّه ولعـل الحامـل لهم على ذلك أن هـذه التهمة موجودة في لسان الميزان فـظنوا أن لهـا أصلاً وأغلب ظني أنهـا أدخلت في نسخ اللسان من بعض النساخ . واللّه أعلم بالصواب .

(٤) إن الذهبي رحمه اللّه رد على التهم الموجهة إلى ابن قتيبـة ولم يتعرض لهـذه التهمة بـالردّ أو الإثبـات فدل على أنّهـا لم تكن موجـودة في كتبـه رحمه اللّه وإنّما زادها النساخ بعد وفاته .

(٥) إن ابن تغري بردى في النجوم الزاهـرة والسيوطي في بغيـة الوعـاة ذكرا التهم الموجهة إلى ابن قتيبة ولم يذكرا هذه التهمة من ضمنها .

(٦) إن تهمـة إنحراف ابن قتيبـة عن العترة تـدل على أنها من وضـع الشيعة وإلاّ فمـا معنى انحرافـه عن العترة ؟ إن كـان المقصود أنـه لا يغالي في أهـل البيت ولا يدعي لهم العصمـة فهذا حق وليس انحـرافـاً وإن كـان المقصود أنه يبغضهم ولا يحبهم فمعاذ اللّه أن يصدر منه هذا وهو القائل في رده على النظام المعتزلي[١] الذي يلمز صحابة رسول اللّه صلى اللّه

---

(١) هـو ابـو إسحـاق إبـراهيم بن سيـار النـظام وهـو ابن أخت أبي الهـذيـل العـلاّف وعنـه أخـذ الاعتزال وهو شيخ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يذكرون أنه ظهـر في سنة ٢٢٠ هـ وقـرر مذهب الفلاسفـة في القدر فتبعـه خلق وكان قـد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومـال في =

عليه وسلم : (وهذا قوله في جلة أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ورضي عنهم كأنه لم يسمع بقول اللّه عز وجل في كتابه الكريم : ﴿ محمد رسول اللّه والذين معه ﴾ . . . إلى آخر السورة . . الفتح : ٢٩ ولم يسمع بقوله تعالى : ﴿ لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ﴾ . الفتح : ١٨ . ولو كان ما ذكرهم به حقاً لا مخرج منه ولا عذر فيه ولا تأويل له إلَّا ما ذهب إليه لكان حقيقاً بترك ذكره والإعراض عنه إذ كان قليلاً يسيراً مغموراً في جنب محاسنهم وكثير مناقبهم وصحبتهم لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وبذلهم مهجهم وأموالهم في ذات اللّه تعالى)[1] .

(٧) إن ابن قتيبة ردّ على الذين شنعوا على علي رضي اللّه عنه في قضايا خالف فيها عمر بن الخطاب فقال : (أين هؤلاء عن قضايا علي رضي اللّه عنه اللطيفة التي تغمض وتدق وتعجز عن أمثالها أجلّة الصحابة)[1] . ثم عدد جملة من القضايا اللطيفة التي كان حليفه فيها الصواب مما يدل على محبته له لا انحرافِهِ عنه كما يقول الكاذبون .

(٨) إن ابن قتيبة قد بيّن إعتقاده في علي رضي اللّه عنه وعالج انحرافاً كان مستشرياً في عهده وهو أن بعض الناس تحامي ذكر الأحاديث التي فيها فضائل علي رضي اللّه عنه بغضاً للرافضة وبين رحمة اللّه أن من أبغض علياً رضي اللّه عنه فهو هالك وأن من غالى في حبه حتى رفعه إلى منزلة النبوة فهو هالك وأن القول الحق هو قول السلف إذ يقول : (وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي وتقديمه

= كلامه الى الطبيعيين منهم والإلهيين فاستنبط من كلامهم مسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم . توفي سنة ٢٣١ هـ .

أنظر دائرة المعارف للبستاني (١ : ٢٦٨) ، الفرق بين الفرق (ص ٧٩) .

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٣) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٦٠) .

على من قدمه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي صلى اللّه عليه وسلم في نبوته وعلم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل والأمور السرية التي جمعت إلى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة ورأوا شتمهم خيار السلف وبغضهم وتبراؤهم منهم قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأخير علي كرّم اللّه وجهه وبخسه حقه ولحنوا في القول وإن لم يصرحوا إلى ظلمه واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضي اللّه عنه وأخرجوه بجهلهم عن أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن ولم يوجبوا له إسم الخلافة لاختلاف الناس عليه وأوجبوها ليزيد بن معاوية لإجماع الناس عليه واتهموا من ذكره بخير وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله كرّم اللّه وجهه أو يظهروا ما يجب له .

فإن قال قائلٌ أخو رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم علي وأبو سبطيه الحسن والحسين وأصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين تمعرت الوجوه وتنكرت العيون وطارت حسائك الصدور . وإن ذكر ذاكر قول النبي صلى اللّه عليه وسلم: « من كنت مولاه فعلي مولاه »[1] . وأنت مني بمنزلة هارون من موسى[2] وأشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج لينتقصوه ويبخسوه حقه بغضاً منهم للرافضة وإلزاماً لعلي عليه السلام بسببهم ما لا يلزمه وهذا هو الجهل بعينه والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته ولا تهلك ببغضته وأن لا تحتمل ضغناً عليه بجناية غيره فإن فعلت فأنت جاهلٌ مفرط في بغضه وأن تعرف له مكانه من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالتربية والأخوة والصهر والصبر في مجاهدة أعدائِهِ وبذل مهجته في الحروب بين يديه مع مكانه في العلم والدين والبأس والفضل من غير أن تتجاوز به الموضع الذي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣ : ١١٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة . انظر مختصر صحيح مسلم للمنذري (ص ٤٣٣) .

وضعه به خيار السلف لما تسمعه من كثير من فضائِلِه فهم كانوا أعلم به وبغيره ولأن ما أجمعوا عليه هو العيان الذي لا يشك فيه)[1] . وبعد هذا القول الواضح البيّن الموافق لاعتقاد السلف في الخليفة الرابع رضي اللّٰه عنه تسقط هذه التهمة البلقاء التي لا سند لها ولا أصل بل لعلها من وضع بعض النسّاخ أو الشيعة . ولولا تلقف بعض الكتّاب لها ونقلها في كتبهم لما أطنبت في الرد عليها . واللّٰه أعلم .

---

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٤٣ ، ٢٤٤) .



الباب الثالث

توضيحه لعقيدة السلف وردّه على المخالفين

تمهيد : في تعريف عقيدة السلف .

المبحث الأول : منهجه في توضيح العقيدة .

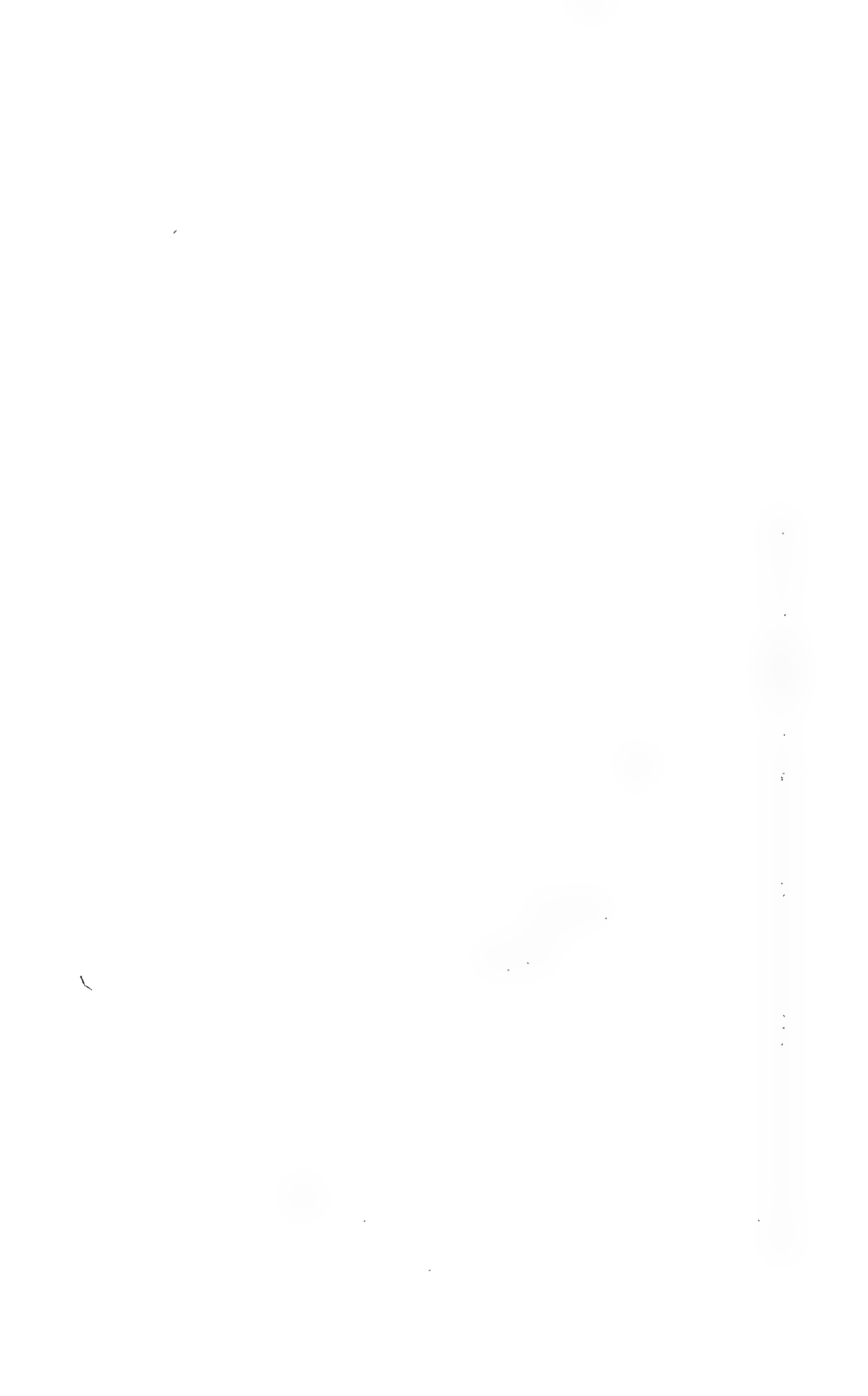
المبحث الثاني : عقيدته في صفات الله تعالى .

المبحث الثالث : عقيدته في القدر .

المبحث الرابع : عقيدته في النبوات .

المبحث الخامس : عقيدته في السمعيات

المبحث السادس : عقيدته في الإمامة .



تمهيد

في تعريف عقيدة السلف

العقيدة هي الأمر الذي يطمئن اليه القلب وتصدق به النفس ويكون يقينياً عند صاحبه لا يخالطه ريب ولا شك . ومادة عقد في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق . ففي القرآن الكريم : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان ﴾ . . المائدة : ٨٩ . وتعقد الإيمان إنّما يكون بقصد القلب وعزمه بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصد . والعقود أوثق العهود ومنه قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ . . المائدة : ١[1] .

فالإعتقاد هو التصديق الجازم . فمن صدق جزماً أن الثلج بارد والنار محرقة فقد اعتقد أنّ في الثلج خاصية البرودة وأنّ في النار خاصية الإحراق . ولم يتطرق له شك في ذلك .

أما العقيدة السلفية : فهي التصديق الجازم الذي لا يخالطه شك ولا ريب بأن الله هو العلي الأعلى الموصوف بصفات الكمال المنزّه عن النقائص والعيوب المستحق لجميع أنواع العبادة الواحد الأحد الفرد الصمد رب

---

(١) انظر العقيدة في الله لعمر الأشقر (ص ٧) ، وقارن بالعقيدة السلفية بين السلفية والمعتزلة لمحمد خفاجي (ص ٦) .

العـالمين الى غير هـذا من الأسماء الحسنى والصفـات العليـا التي وردت في كتاب الله أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والتصديق الجازم بصحة ما أخبر الله به في كتابه أو على لسـان رسولـه صلى الله عليـه وسلم من أمور الغيب جميعهـا كأشـراط الساعـة وأحوال يـوم القيامة وصفة الجنة والنار والتصديق بالملائكة الأطهار والجن والشياطين ونحو ذلك .

وبـأن الله له كتب أنـزلها على رسله بـالهدى ودين الحق وأن لـه رسـل وأنبيـاء خاتمهم محمـد صلى الله عليه وسلم والتصـديق الجازم بـأن الله قدر الأشياء قبل خلقها وعلمها وأن الأمـور كلها بيـده سبحانـه لا راد لما قضى ولا مانع لمـا أعطى ولا يكـون في ملكه مـا لا يريـد وإرادة العباد ومشيئتهم تـابعة لإرادته ومشيئته .

والتصديق الجازم بما ذكر من أصول الشرائع والأحكام[1] .

وبعبارة أوجز فالعقيدة السلفية هي التصديق الجازم بكل ما ورد عن الله تعالى في كتبه أو على لسان رسله صلوات الله عليهم والعمل بمقتضى ذلك ـ على أصول معلومة عندهم سوف نذكرها بعد هذا ـ :ـ

والمراد بالسّلف هم الصحابة والتابعون من أهـل القرون الثـلاثة الـذين قـال فيهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « خيـر النـاس قـرني ثم الـذين يلونهم ثم الـذين يلونهم ثم يجيء قـوم تسبق شهـادة أحـدهم يمينـه ويمينـه شهـادته »[2] دون من وصف بـالبدعـة كالخوارج[3] . . . .

---

(١) انظر العقائد الاسلامية لسيد سابق (ص ٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (٢ : ٢٨٨) .

(٣) الخوارج هم الذين خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طـالب رضي الله عنه بعـد التحكيم وأصول مذهبهم هي تكفير مرتكب الكبيرة وقتال الأئمة اذا أخطأوا والتبرؤ من عثمان وعلي بعد التحكيم وأصحاب الجمل ثم يتفرقون الى فرق عديدة لكل فرقة اجتهادات خاصة في الاعتقاد والعمل .

. . . . والشيعة[١] والقدرية[٢]

والمرجئة[٣] والمعتزلة[٤] ونحوهم[٥] .

فإن أصحاب البدع وإن كانوا في القرون المفضلة فليسوا من السلف في شيء بل السلف الصالح حذروا منهم فأنكر ابن عباس على الخوارج وناظرهم وأنكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه على من فضله على الشيخين ولما حدثت بدعة القدرية في أواخر عهد الصحابة رضوان الله

للإطلاع على نحلتهم وفرقتهم أنظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ٧١) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٧٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١١٤) ، مقالات الإسلاميين للأشعري (١ : ١٦٧) .

(١) الشيعة هم القائلون بأن الإمامة وراثية في أهل البيت ويقدمون علياً رضي الله عنه على سائر الصحابة ويطعنون في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونهم لم يعطوا الخلافة علياً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على درجات وملل مختلفة وبعضهم لهم مذاهب متطرفة تخرجهم من الإسلام . أنظر عنهم تاريخ المذاهب لأبي زهرة (١: ٣٥) ، الفرق بين الفرق (ص ٢٩) مقالات الإسلاميين (١ : ٦٥) ، الملل والنحل (١ : ١٤٦) .

(٢) القدرية هم الذين يجعلون العبد يخلق أفعاله ويقولون لا قدر والأمر أنف بعكس الجبرية الذين يجعلون العبد كالريشة في الهواء لا فعل له ولا اختيار وهم أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي . انظر عنهم تاريخ المذاهب لأبي زهرة (١ : ١٣٠) ، الفرق بين الفرق (ص ١٨) .

(٣) المرجئة هم الذين لا يجعلون العمل من الإيمان ويجعلون إيمان الملائكة والنبيين كإيمان الفساق لأنه لا تفاضل في الإيمان عندهم وهم أتباع جهم بن صفوان . انظر عنهم تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١ : ١٣٢) ، مقالات الإسلاميين (١ : ٢١٣) ، الملل والنحل (١ : ١٣٩) ، الفرق بين الفرق (ص ٢٠٢) .

(٤) المعتزلة وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد وهم أصحاب الأصول الخمسة التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم يشاركون القدرية في جعلهم العبد يخلق أفعاله ويشاركون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار وينكرون صفات الله تعالى وهم فرق متعددة . انظر عنهم تاريخ المذاهب الإسلامية (١ : ١٤٢) ، مقالات الإسلاميين (١ : ٢٣٥) ، الملل والنحل (١ : ٤٣) ، الفرق بين الفرق (ص ١١٤) .

(٥) انظر قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي (ص ٣٥) .

عليهم أنكرها متأخروهم كابن عباس وعبد الله بن جابر وأنس بن مالك[1] .
وقد أنكر جلة علماء السلف على أهل البدع إنكاراً بالغاً حتى تحرجوا من الحديث عنهم فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن علي بن شقيق أنه قال سمعت عبد الله بن المبارك[2] يقول على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت[3] فإنه كان يسب السلف[4] .

ومن شعره رحمه الله في التحذير من أهل البدع قوله :

أيها الطالب علماً ... ائت حماد بن زيد
فخذ العلم بحلم ... ثم قيده بقيد
وذر البدعة من ... آثار عمرو بن عبيد

وقوله :

اني امرؤ ليس في ديني لغامزة ... لين ولست على الإسلام طعانا
فلا أسب أبا بكر ولا عمراً ... ولن أسب معاذ الله عثمانا

---

(١) انظر الفرق بين الفرق (ص ١٩) .

(٢) هو الإمام القدوة المجاهد عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي أحد الأئمة روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل واسماعيل بن أبي خالد وخلق لا يحصون حتى لقد قيل روي عن ألف شيخ وروى عنه أصحاب الصحيحين وأصحاب السنن وغيرهم ال عنه الذهبي هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين صاحبالتصانيف النافعة أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً والله أني لأحبه في الله وأرجو الخير بحبه لما منحه الله من التقوى والعبادة والإخلاص والجهاد وسعة العلم والإتقان والمواساة والفتوة والصفات الحميدة وقال إسماعيل بن عياش لا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير الا وقد جعلها في ابن المبارك . وقال النووي هو الامام المجمع على إمامته وجلالته في كل شيء ولد سنة ١١٨ ومات سنة ١٨١ هـ رحمه الله. انظر تهذيب التهذيب (٥ : ٣٨٦) ، كتاب عبد الله بن المبارك الإمام القدوة تأليف محمد عثمان جمال .

(٣) هو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري رافضي خبيث . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨ : ٩) .

(٤)) صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ٨٩) .

ولا ابـن عم رسـول الـله أشتمـه		حتى ألبس تحت التـرب أكـفـانـا
ولا الـزبيـر حـواري الـرسـول ولا		أهـدي لـطلحـة شتمـاً عـز أو هـانـا
ولا أقـول عـلي في الـسحـاب اذاً		قـد قلت والله ظلمـاً ثم عـدوانـا
ولا أقـول بـقـول الجـهـم أن لـه		قـولاً يضـارع أهـل الشـرك أحيـانـا
ولا أقـول تـخـلّى عـن خـليـقتـه		رب العبـاد وولّى الأمـر شيـطانـا
مـا قـال فـرعـون هـذا في تجبـره		فرعون مـوسى ولا هامـان طغيانـا[1]

ولا شك أن من سار على طريقة الصحابة والتابعين فهو من السلف لأنه سائر على طريقتهم فيقال له سلفي نسبة الى السلف الكرام فإنـه لا فصل بين السلف ومتبعيهم إلى يـوم القيامـة كما ذكـر ذلـك رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فقـال : « لا تزال طـائفة من أمتي قـوامـة على أمـر الله لا يضـرهـا من خالفها »[2] . نسأل الله العلي القدير أن يجعلنا منهم .

(١) أنظر عبد الله بن المبارك الإمام القدوة لمحمد عثمان جمال (ص ١٥٧) .
(٢) رواه إبن ماجه (١ : ٥) وروى نحوه أبو داود (٣ : ١١) .

المبحث الأول

منهجه في توضيح العقيدة

المتتبع لما كتب إبن قتيبة في مؤلفاته المتعددة يلحظ أن له منهجاً واضح المعالم في توضيح العقيدة إستطعنا أن نلخصه في سبع قواعد .

القاعدة الأولى :

إن إبن قتيبة يثبت ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم من غير أن يقول في ذلك بكيفية . يدل على هذه القاعدة قوله : (فنحن نقول كما قال الله تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ولكنا لا نقول كيف)[1] وقوله : (إن الله وضع عنا أن نفكر فيه كيف كان وكيف قدر وكيف خلق ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا)[2] . وقوله رحمه الله في مناقشة المنكرين لرؤية الله تعالى يوم القيامة : (. . . فإن قالوا لنا كيف ذلك النظر والمنظور إليه قلنا نحن لا ننتهي في صفاته جلَّ جلاله إلا إلى حيث انتهى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ندفع ما صح عنه لأنه لا يقوم في أوهامنا ولا يستقيم على نظرنا بل نؤمن بذلك من غير أن نقول فيه

---

(١) اختلاف اللفظ (ص ١٣٦) .

(٢) المصدر السابق (ص ٢٤٣) .

بكيفية أو حد أو نقيس على ما جاء ما لم يأتِ)[1] .

وما ذهب إليه إبن قتيبة يرحمه الله في هذه القاعدة الجليلة من قواعد المنهج السلفي هو ما عليه علماء السلف قديماً وحديثاً ولنقتطف بعضاً من أقاويل مشاهير علماء السلف ومن سار على نهجهم ليتضح للقارىء الكريم موافقة إبن قتيبة لهم .

يقول العالم السلفي المعروف محمد الأمين الشنقيطي[2] في كتابه القيم منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : (إن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يرتكز على ثلاثة أسس . . . . من هذه الأسس الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله : ﴿أأنتم أعلم أم الله . . . ﴾ البقرة : ١٤٠ . والإيمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . . . ﴾النجم : ٣ ، فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم . . . وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يتنطع فيذهب إلى وصفٍ أثبته الله جلَّ وعلا لنفسه فينفي هذا الوصف عن الله متهجماً على رب السموات والأرض مدَّعياً عليه أن هذا الوصف الذي تمدح به أنه لا يليق به وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٨) .

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن نوح بن محمد . ولد سنة ١٣٠٥هـ في شنقيط وحفظ القرآن وعمره عشر سنوات ودرس فقه الإمام مالك والنحو والأدب وأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأحزم والشيخ أحمد الأحزم بن محمد المختار والشيخ أحمد بن عمر وغيرهم وهو شاعر رقيق رحل الى مكة والمدينة ودرس في كليات الشريعة في الرياض والمدينة وفي المسجد النبوي الشريف وله من المصنفات أضواء البيان في تفسير القرآن ومنهج ودراسات في الأسماء والصفات وهو سلفي العقيدة توفي عام ١٣٩٣ هـ بمكة المكرمة. أنظر ترجمته ملحقة بالجزء التاسع من تفسيره أضواء البيان كتبها تلميذه عطية محمد سالم .

كيســه الخـاص فهــذا جنـون وهــوس ولا يــذهب اليــه إلا من طمس الله بصائرهم)[1] .

ويقول العالم الجليل إبن تيمية : (إن مـا أخبر بـه الرسـول صلى الله عليه وسلم عن ربه فإنه يجب الإيمـان به سـواء عرفنـا معناه أم لم نعـرف لأنه الصادق المصدوق فما جـاء في الكتـاب والسنَّة وجب على كـل مؤمن الإيمان به وإن لم يعرف معناه)[2] .

ويقـول عليه رحمـة الله : (والقول الشـامل في جميـع هـذا البـاب أن يوصف الله بما وصف بـه نفسه أو وصفـه به رسـوله ومـا وصفه بـه السابقـون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث قال الإمام أحمد رضي الله عنه لا يـوصف الله إلا بما وصف به نفسه . أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث ومـذهب السلف أنهم يصفون الله بمـا وصف به نفســه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعـطيل ومن غيـر تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بـل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كـان المتكلم أعلم الخلق بمـا يقـول وأفصــح الخلق في بيـان العلم وأنصــح الخلق في البيـان والتعريف والدلالة والإرشاد)[3] .

القاعدة الثانية : .

إن ابن قتيبة ينزه الله عما نزَّه الله نفســه عنه سبحـانه في كتـابه أو على لســان رسولـه صلى الله عليه وسلم من غيـر أن يعطل النصـوص عن معـانيهـا الـواردة لها في لســان الشرع يـدلُّ على ذلك تفسيـره لقولـه تعالى ليس كمثله

(١) ملخصاً من منهج ودراسات (ص ٣ ، ١٤) .
(٢) الرسالة التدمرية (ص ٢٨) .
(٣) من الفتوى الحموية ضمن مجموعة نفائس جمعها محمد حامد الفقي (ص ١٠١) .

شيء ولسورة الإخلاص فهو يقول ليس كمثله شيء أي ليس كهو شيء[1] . ولم يكن له كفواً أحد . أي مثيلاً[2] . ويقول في قوله تعالى هل تعلم له سمياً أي شبيهاً[3] .

وهذه القاعدة هي من القواعد التي ينبني عليها مذهب السلف الصالح . يقول الشنقيطي : (أن مبحث آيات الصفات دلَّ القرآن العظيم أنه يرتكز على ثلاثة أسس . . . أحد هذه الأسس الثلاثة هو تنزيه الله جلَّ وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين وهذا الأصل يدلُّ عليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء . . . ﴾ الشورى : ١١ ، ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . ﴿ لا تضربوا لله الأمثال ﴾ النحل : ٧٤ ، . . . فيلزم كل مكلَّف أن ينزّه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق . . . ومن ظنَّ أن صفة خالق السموات والأرض تشبه شيئاً من صفات الخلق فهو جاهل ملحد ضال ومن آمن بصفات ربه جلَّ وعلا منزِّهاً ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل . وهذا التحقيق هو مضمون ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحلُّ جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع ذلك لأن الله قال وهو السميع البصير بعد قوله ليس كمثله شيء ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتَّصف بهما جميع الحيوانات فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثله شيء فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت [4] .

---

(١) غريب القرآن (ص ٣٩١) .

(٢) المصدر السابق (ص ٤٥٥) .

(٣) المصدر السابق (ص ٢٧٢)

(٤) منهج ودراسات (ص ٤٢٣) .

ويقول الشيخ حمد بن ناصر[1] - تلميذ شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب - حول هذه القاعدة السلفية: (فإن إيماننا بما يثبت من نعوته كإيماننا بالذات المقدسة إذ الصفات تابعة للموصوف فنعقل وجود الباريء وننزه ذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن نتعقل الماهية فكذلك القول في صفاته نؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة من غير أن نتعقلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)[2] . هذا ما قرره إبن قتيبة وغيره من علماء السلف الصالح من التنزيه وهو إجماع عندهم أن الله منزه عن مشابهة خلقه ولكن خصوم السلف من الجهمية ومن سار على طريقتهم يتعامون عن هذه الأقوال ويصفون مثبتي الصفات بأنهم مشبهة أو مجسمة ولم يسلم إبن قتيبة من هذه الفرية التي روجها عنه منكري الصفات ولو أنصف خصوم السلف وتبصّروا في كلامهم المسطور في كتبهم لعرفوا أن لا وجود للتشبيه عندهم . وأنهم من أشد الناس تنزيهاً لله سبحانه وتعالى فأين التشبيه والتجسيم في مثل قول العالم السلفي المشهور إبن تيمية هذا ؟ إذ يقول: (القول في الصفات كالقول في الذات فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات فإذا قال السائل كيف استوى على العرش ؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عما

---

(١) هو العلّامة الفقيه حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر العنقري السعدي التميمي ولد في مدينة العُيينة ولازم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب وحسين ابن غنام وأخذ عنه عبد العزيز بن معمر وسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وعبد الله أبو بطين وخلق غيرهم كثير. أرسله الإمام عبد العزيز ابن محمد آل سعود إلى مكة لمناظرة علمائها سنة ١٢١١ هـ وأسند له رئاسة قضاة مكة المكرمة وأقام فيها إلى أن توفي ١٢٢٥ هـ .

أنظر علماء نجد للبسام (١ : ٢٣٩) .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ : ٢٠٨) .

لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه. وكذلك إذا قال كيف ينزل ربنا الى السماء الدنيا ؟ قيل له كيف هو فإذا قال لا أعلم كيفيته قيل له ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته وإذا كنت تقرّ بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستوائه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوفين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستوائهم[1] .

وبهذا القول المفحم للخصوم يظهر لكل ذي لب أن مذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمَثِّلون صفاتَ الله بصفات خَلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاتُه العليا ويحَرِّفوا الكلم عن مواضعه والمتدبر للقاعدتين الأولى والثانية يُتَّضح له أن إبن قَتِيبَة على منهج السلف الصالح الجامع بين إثبات الصفات لِله وتنزيهِه عن المشابهة والمماثلة للمحدثات .

القاعدة الثالثة :

إن إبن قُتَيبَة يُمْسِكُ عَما لَمْ يَرِدْ ذِكْره في كتاب الله ولا في سُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلم من إثباتٍ أو نفي يَدُل على هذه القاعدة عنده قوله : (وإنْ سُئِلنا نقتصر على جملة ما قال الله ونُسك عما لم يُقَلْ)[2] . وقوله : (إن الواجبَ علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفاته أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب ونضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك)[3] .

---

(١) الرسالة التدمرية (ص ١٩ ، ٢٠) .

(٢) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٦) .

(٣) إختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

وهذه القاعدة السلفية التي سار عليها ابن قتيبة هي من أجل القواعد فإن الناس لا يعلمون من الله إلا ما أعلمهم به فمن سوء الأدب مع الله أن يثبت شخص صفة أو إسماً لم يذكرها الله لنفسه فكأن لسان حال هذا الشخص يقول أنا اعلم بالله من الله أو ينفي عنه شيئاً لم ينفه عن نفسه كحال بعض المبتدعة الذين يتوسعون في النفي بعبارات مبتدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة فيقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يُحس ولا يُلمس ولا ولا . . إلى آخر هذيانهم .

والقاعدة السلفية الاقتصار على ما نفاه الله عن نفسه في كتابه : ﴿هل تعلم له سمياً . .﴾ مريم : ٦٥ ، ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم . . . .﴾ البقرة : ٢٥٥ ، ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ . ﴿ وما مسَّنا من لغوب . .﴾ ق : ٣٨ . ونحو هذا النفي الوارد به الشرع الحكيم وهذه القاعدة الجليلة عليها السلف الصالح قديماً وحديثاً . يقول عبد العزيز بن الماجشون[1] : (إعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تتجاوز ما قد حدّ لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة فلا تخافنَّ في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ولا تكلفن بما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك وأصمت عنه . كما صمت

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي مسلم الماجشون أحد الأعلام مولى آل الهدير التميمي روى عن أبيه وعمه يعقوب ومحمد بن المنكدر وخلق لا يحصون وعنه ابنه عبد الملك وزهير بن معاوية والليث بن سعد وخلق كثير . وقال إبن سعد أنه كان ثقة كثير الحديث وأهل العراق أروى عنه من أهل المدينة توفي ببغداد سنة ١٦٤ هـ وكان فقيهاً ورعاً متّبعاً لمذهب أهل الحرمين مفرعاً على أصولهم ذاباً عنها وقال أبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والنسائي أنه ثقة . أنظر تهذيب التهذيب (٦ : ٣٤٤) .

الرب عنه من نفسه فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه كإنكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها فقد والله عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن وما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه . والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون ربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمي منها جحداً ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمي)[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمه الله : (ما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده فإن أراد حقاً قبل وإن أراد باطلاً رد وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى)[2] .

وقول ابن تيمية هذا إن أراد حقاً وإن اراد باطلاً رد ليس معناه إثبات شيء لله لم يثبته هو لنفسه أو نفي شيء عنه لم ينفه عن نفسه بل المراد إن اراد معنىً حقاً قد ورد به الكتاب والسنة قبل وإن أراد معنىً باطلاً قد ورد الكتاب والسنة ببطلانه رد والله تعالى أعلم .

---

(١) نقله إبن تيمية عن كتاب السنة للأثرم والإبانة لابن بطة في الفتوى الحموية (ص ١١٥) وقال إسناده صحيح .

(٢) الرسالة التدمرية (ص ٢٨) .

القاعدة الرابعة :

إن ابن قتيبة لا يعتمد على المقايسات العقلية في إثبات ما يجب لله أو يمتنع عليه سبحانه بل يشنِّع على من يسلك هذا المنهج ويعتقد أن القياس العقلي في باب الإعتقادات سبب ضلال كثير من المتأخرين عن القرون المفضلة يدلُّ على هذا قوله : (وكنت أسمعهم يقولون إن الحق يدرك بالمقايسات والنظر ويلزم من لزمته الحجة أن ينقاد لها ثم رأيتهم في طول تناظرهم وإلزام بعضهم بعضاً الحجة في كل مجلس مرات لا يزولون عنها ولا ينتقلون . . . . وسأل آخر آخر عن العلم فقال له أتقول أن سميعاً في معنى عليم ؟ قال نعم . قال لقد سمع الله قول الذين قالوا أن الله فقير هل سمعه حين قالوه ؟ قال نعم . قال فهل سمعه قبل ان يقولوا ؟ قال لا قال فهل علمه قبل أن يقولوه ؟ قال نعم قال له فأرى في سميع معنى غير معنى عليم فلم يجب قلت له لزمتك الحجة فلم لا تنتقل عما تعتقد إلى ما الزمتك الحجة فقال لو فعلت ذلك لانتقلت في كل يوم مرات قلت فإذا كان الحق إنما يعرف بالقياس والحجة وكنت لانتقاد لهما بالإتباع كما تنقاد بالإنقطاع فما تصنع بهما التقليد أربح لك والمقام على اثر الرسول صلى الله عليه وسلم أولى بك)[1] .

ويقول ابن قتيبة رحمه الله في نقد أصحاب المنهج العقلي الذين لا يثبتون إلا ما اثبتته عقولهم بزعمهم : (فقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد آلات النظر أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد وإلا على شكل واحد وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء وفي نبض العروق لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد . فما بالهم أكثر الناس اختلافاً لا يجتمع

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٦٣ ، ٦٥) بتصرف .

إثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين . فأبو الهذيل العلاف[1] يخالف النظام[2] والنجّار يخالفهما[3] .

وهشام بن الحكم[4] يخالفهم كذلك . . وليس منهم واحد إلا وله مذهب في الدين يُدان برأيه وله عليه تبع ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لا تسع لهم العذر عندنا ـ وإن كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم ـ كما اتسع لأهل الفقه ولكن اختلافهم في التوحيد وفي صفات الله تعالى وفي قدرته وفي نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وعذاب البرزخ وفي اللوح وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى ولن يعدم هذا من رد مثل هذه الأصول إلى استحسانه ونظره وما أوجبه القياس عنده لاختلاف الناس في عقولهم وإرادتهم واختياراتهم فإنك لا تكاد ترى رجلين متفقين حتى يكون كل واحد منهما يختار ما يختاره الآخر ويرذل ما يرذله الآخر إلا من جهة التقليد والذي خالف بين مناظرهم وهيئاتهم وألوانهم ولغاتهم وأصواتهم وحظوظهم وآثارهم حتى فرق القائف بين الأثر والأثر وبين الأنثى والذكر هو الذي خالف بين آرائهم)[5] .

وهذه القاعدة المهمة من عدم الاعتماد على الشبه والقياسات العقلية

---

(١) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف شيخ المعتزلة ومقدمهم ومقرر طريقتهم والمناظر عليها والذاب عنها أخذ الإعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء . توفي سنة ٢٢٦ وقيل ٢٣٥ هـ . أنظر هامش الفرق بين الفرق (ص ١٢٢) .

(٢) تقدمت ترجمته (ص ١٦٢) .

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار كان حائطاً في طراز العباس بن محمد الهاشمي وهو متكلمي المجبرة وله مع النظام مناظرات وزعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص . توفي سنة ٢٣٠ هـ تقريباً . أنظر الفرق بين الفرق (ص ٢٠٨) ، الملل والنحل (ص ٨٨) .

(٤) هشام بن الحكم أبو محمد مولى بني شيبان كوفي تحول الى بغداد وهو من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد وهو من متكلمي الشيعة ممن فتق الكلام في الامامة وهذّب المذهب وكان منقطعاً إلى يحيى بن خالد البرمكي وكان القيم بمجالس كلامه ونظره . توفي بعد نكبة البرامكة بمدة مستتراً وله كتب عديدة . أنظر عنه الفهرست لابن النديم (ص ٢٥٠) .

(٥) أنظر تأويل مختلف الحديث (ص ١٤ ، ١٥) .

في بـاب الإعتقادات هي الفصـل بين السلف وبين المبتدعـة من الفـرق التي خـالفت السلف في منهجها مـع اعتقاد السلف أن العقـل الصريـح لا يخالف النقـل الصحيح . يقـول ابن القيم رحمه الله : (أن مـا علم بصريـح العقـل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة ومن تـأمل ذلـك فيما تنازع العقلاء فيه من المسائل الكبار وجد مـا خالف النصـوص الصريحـة الصحيحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها بـل يعلم بالعقـل ثبوت نقيضهـا فتأمل ذلك في مسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعـاد تجد ما يدل عليه صريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يخالفه إمـا أن يكون حديثاً موضوعاً أو لا تكون دلالته مخالفة لما دلَّ عليه العقـل ونحن نعلم قـطعاً أن الـرسل لا يخبـرون بمحالات العقـول)[1] . والاعتمـاد على النص الشرعي وعدم الإلتفـات إلى القياسـات المنطقيـة والشبه العقليـة التي لا يدل عليها نص صحيح ولا عقـل صريـح هو المـراد من هذه القـاعدة الجليلة التي استنبطناها من كلام ابن قتيبة ويوافقه على هذه القاعدة كل إلسلف الصالـح .

يقـول شيخ الإسـلام ابن تيمية في تقـرير هـذه القاعـدة وفي التشنيع على من خالفها(فإن حقيقة الأمـر على ما يقـوله هؤلاء أنكم يـا معشر العبَّـاد لا تطلبـوا معرفة الله عزَّ وجلّ وما يستحقه من الصفات نفياً واثباتاً لا من الكتـاب ولا من السنَّة ولا من طريق سلف الأمة ولكن أنظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفـات فصفوه بـه سواء كـان موجـوداً في الكتاب والسنـة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به . . . وهذا الكلام قد رأيتـه صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد لهم عنه ومضمونـه : أن كتاب الله لا يُهتدى به في معرفة الله وأن الرسول معزول عن التعليم والأخبار بصفـات من أرسله وأن الناس عنـد التنازع لا يـردُّون ما تنـازعوا فيـه الى الله والرسول بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية وإلى مثـل ما يتحـاكم اليه من لا يؤمن بالأنبياء . . . ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بـلا رسالـة خيراً

---

(١) مختصر الصواعق (١ : ١٤١).

لهم في أصل دينهم لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وإنما الرسالة زادتهم عمىً وضلالة . . يا سبحان الله . . كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلّت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم واعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالف ظاهره قياس عقولكم فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا فتوقفوا فيه أو أنفوه ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون ثم قال إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي . وروي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي[1] . فهلا قال : من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضال وإنما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم)[2] . وفي مثل هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله : (فتأمل اضطراب فرق الشيعة والخوارج والمعتزلة وطوائف أهل الكلام وكل منهم يدَّعي أن صريح العقل معه وأن مخالفه قد خرج عن صريح العقل ونحن نصدق جميعهم ونبطل عقل كل فرقهم بعقل الأخرى ثم نقول للجميع بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فما وافقه قبل واقر عليه وما خالفه اول او فوض الى عقولكم . . اعقل أرسطو وشيعته أم عقل أفلاطون أم فيثاغورس ام بقراط أم الفارابي أم ابن سيناء أم محمد بن زكريا أم ثابت بن قرة ام جهم بن صفوان أم النظام أم العلاف أم الجبائي أم بشر المريسي أم الاسكافي ام ترضون عقول القرامطة والباطنية والإسماعيلية أم عقول الإتحادية فكل هؤلاء وأضعاف أضعافهم يدعي أن العقل الصريح معه وأن مخالفيه خرجوا عن صريح المعقول وهذه عقولهم تنادي عليهم ولولا الإطالة لعرضناها على السامع عقلاً عقلاً وقد عرضها المعتنون بذكر المقالات

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/٤٠٠ أبواب الايمان .

(٢) ملخصاً من الفتوى الحموية (ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧) .

وهذه العقول إنما تفيد الريب والشك والحيرة والجهل المركَّب فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح ورمى بهذه العقول تحت الأقدام وحطَّت حيث حطَّها الله وأصحابها)[1] .

القاعدة الخامسة :

إن أبن قتيِّبة لا يعتمد على علم الكلام في فهم نصوص العقيدة ولا في الدفاع عنها ويرى أن هذا المنهج هو سبب الضلال في العقيدة يدل على هذا قوله : (فأما الكلام فليس من شأننا ولا أرى أكثر من هلك إلَّا به)[2] . وقوله وقد تدبرت مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على اللَّه ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ويبصرون القذي في عيون الناس وعيونهم تطرف على الإجذاع ويتهِّمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكَمية والاينية ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة وحب الأتباع واعتقاد الأخوان بالمقالات[3] . وأبن قتيبة في نقده لأهل الكلام وبيانه لانحرافهم ليس مقلداً لأحد بل عايشهم وحضَر مجالسهم وبصر خطأهم عن كثب وعرف ما يدور في حلقاتهم مشاهدة وليس الخبر كالمعاينة يقول عن نفسه : (وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب وأن أضرب فيه بسهم فربما حضرت بعض مجالسهم وأنا مغترٌّ بهم طامع أن أصدر عنه بفائدة أو كلمة تدل على خير أو تهدي لرشد فأرى من جرأتهم على اللَّه تبارك وتعالى وقلة توقيهم وحملهم أنفسهم على العظائم لطرد القياس أو لئلا يقع انقطاع ما أرجع معه

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .

(٢) إختلاف اللفظ (ص ٢٢٥) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١٢ ، ١٤) .

خاسراً نادماً وقد ذكرهم محمد بن بشير الشاعر وقد أصاب في وصفهم حين يقول :

دعْ من يقول الكلام ناحية ... فما يقول الكلام ذو ورع
كل فريق بدؤهم حسن ... ثم يصيرون بعد للشنع
أكثر ما فيه أن يقال له ... لم يكُ في قوله بمنقطع[1]

وأبن قتيبة في هذه القاعدة الجليلة سائر على منهج السلف الصالح الذين ذمُّوا علم الكلام وحذروا منه إذ قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الشافعي عليه رحمة اللَّه حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنة وأقبل على الكلام ولقد أطلعت من أهل الكلام على شيء ما كنت أظنه ولأن يبتلي العبد بكل ذنب ما خلا الإشراك باللَّه خيرٌ من أن يبتلى بالكلام . وقال الإمام أحمد ما ارتدي أحد بالكلام فأفلح وقلّ أحد نظر في الكلام إلاَّ كان في قلبه غلٌّ على أهل الإسلام[2] .

وأختم هذه القاعدة السلفية بما قاله شيخ الإسلام إبن تيمية في انتقاد مخالفيها : (إن المتكلمين كثر في باب الدين إضطرابهم وغلظ عن معرفة اللَّه حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم)[3] .

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلاَّ واضعاً كفَّ حائر ... على ذقن أوقارعاً سن نادم

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٦١ ، ٦٢) .
(٢) أنظر موافقة صحيح المنقول بهامش منهاج السُّنة لابن تيمية (١ : ١٤١) .
(٣) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني المتكلم صاحب التصانيف أخذ علم النظر والأصول عن أبي القسم الأنصاري وأبي نصر بن القشيري واتهم بمذهب الباطنية ومن كتبه نهاية الإقدام في علم الكلام وكتاب الملل والنحل . توفي سنة ٥٤٨ هـ .
أنظر شذرات الذهب (٤ : ١٤٩) .

وأقرّوا على أنفسهم بما قالوا متمثلين بـه أو منشئين له فيما صنَّفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم[1] :

نهـايـة إقـدام العقـول عقـال ... وأكثـر سعي العـالمين ضـلال
وأرواحنـا في وحشـة من جسـومنـا ... وغـايـة دنـيـانـا أذى ووبـال
ولم نستفـد من بحثنا طـول عمـرنـا ... سـوى أن جمعنـا فيـه قيـل وقـالـوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن . إقرأ في الإثبات ﴿ الرحمن على العرش استوى . . ﴾ طه : ٥ ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب . . ﴾ فاطر : ١٠ واقرأ في النفي ﴿ ليس كمثله شيء . . ﴾ الشورى : ١١ ﴿ ولا يحيطون به علماً . . ﴾ طه : ١١٠ ، ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

ويقول الآخر منهم : « لقد خضت البحر الخضمَّ وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمّي ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام ثم هناك المتكلمون المخالفون للسلف إذا حق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم باللّه وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر »[2] .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الرازي صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة ٥٤٤ هـ تعلم عن والده خطيب الري صاحب محيي السنة البغوي وله مصنّفات كثيرة منها تفسيره مفاتيح الغيب وكتاب المحصول والمنتخب ونهاية العقول وتأسيس التقديس والمعالم في أصول الدين والمعالم في أصول الفقه والملخَّص في الفلسفة يقول إبن الصلاح أخبرني القطب الطوعاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى وروى عنه ما ذكره ابن تيمية هنا والله أعلم بالصواب . توفي سنة ٦٠٦ هـ . أنظر شذرات الذهب (٥ : ٢١) .

(٢) أنظر الفتوى الحموية ضمن مجموعة نفائس (ص ٩٠ ، ٩١) .

القاعدة السادسة :

إبن قتيبة يعتبر أن ما وصف اللّٰه به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم على الحقيقة لا على المجاز يدل على هذه القاعدة قوله : (وذهب قوم في قول اللّٰه وكلامه إلى أنه ليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة وإنما هو إيجاد للمعاني وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز وقد تبين لمن قد عرف اللغة أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار : واللّٰه تعالى يقول : ﴿ وكلّم اللّٰه موسى تكليماً . . . ﴾ النساء : ١٦٤ ، فوكّد بالمصدر معنى الكلام ونفى عنه المجاز وقال : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كنّ فيكون . . ﴾ النحل : ٤٠ ، فوكّد القول بالتكرار ووكد المعنى بإنما)[١] .

وعقد رحمه الله باباً في كتابه تأويل مُشكل القرآن بعنوان : (باب القول في المجاز) واستعرض فيه صوراً كثيرة من أساليب المجاز ولم يورد فيه شيئاً من آيات الصفات أو أحاديثها مما يدل على أنه يرى أن صفات اللّٰه تعالى على الحقيقة لا على المجاز[٢] .

وهذه القاعدة قاعدة سلفية ولا شك . يقول الحافظ إبن عبد البر[٣] :

---

(١) ملخصاً من مشكل القرآن (ص ١٠٦ ، ١١١) .

(٢) أنظر تأويل مشكل القرآن (ص ١٠٣ - ١٣٤) .

(٣) هو العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النمري القرطبي أحد الأعلام وصاحب التصانيف . روى عن سعيد بن نصر وعبد الله بن أسد وابن صيفون وغيرهم وليس لأهل المغرب أحفظ منه مع الثقة والدين والنزاهة والتبحر في الفقه والعربية والأخبار قال أبو علي الحسين الغساني الأندلسي ابن عبد البرّ شيخنا من أهل قرطبة بها طلب العلم وتفقه ولزم أبا الوليد بن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الحديث ودأب في طلب العلم وتفنن فيه وبرع وألّف في الموطأ كتباً مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وله كتاب الإستيعاب في معرفة الأصحاب وكتاب جامع بيان العلم وفضله وكتاب الدرر في اختصار المغازي وغيرها . تولّى قضاء الأشبون وشنترين في أيام ملكها المظفر بن الأفطس . توفي رحمه الله في سنة ٤٦٣ هـ . أنظر شذرات الذهب (٣ : ٣١٥) .

(أهل السنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسُّنة وحملِها على الحقيقة لا على المجاز إلَّا أنهم لم يكيِّفوا شيئاً من ذلك)[1] .

ويقول العالم السلفي حمد بن ناصر[2] موضحاً إعتقاد السلف في نصوص الصفات وإنهم يعتبرونها حقيقة لا مجازاً : « فلا نقول أن معنى اليد القدرة ولا أن معنى الإستواء الإستيلاء ولا معنى نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا نزول رحمته ونحو ذلك بل نؤمن بأنها صفات حقيقية والكلام فيها كالكلام في الذات يحتذى فيه حذوه فإذا كانت الذات تثبت إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية ومن ظنَّ أن نصوص الصفات لا يعقل معناها ولا يدري ما أراد اللَّه ورسوله منها ولكن يقرؤها ألفاظاً لا معاني لها وإنها بمنزلة (كهيعص ، حم ، عسق ، والمص) وأن لها تأويلاً لا يعلمه إلَّا اللَّه » .

وظنَّ أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ولا يعلمون حقيقة قوله : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه . . ﴾ الزمر : ٦٧ ، وقوله : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي . . ﴾ ص : ٧٥ ، وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى . . . ﴾ طه : ٥ ، ونحو ذلك فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف وهذا الظنَّ يتضمن استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة وأنهم كانوا يقرأون هذه الآيات ويروون حديث النزول وأمثاله ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريدَ به ولازم هذا الظن أن الرسول صلَّىٰ اللَّه عليه وسلّم كان يتكلم بذلك ولا يعرف معناه فمن ظنَّ أن هذه عقيدة السلف فقد أخطأ في ذلك خطأ بيّناً بل السلف رضي اللَّه عنهم أثبتوا للَّه حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهباً بين

---

(١) العلو للذهبي (ص ١٨٢) .

(٢) تقدمت ترجمته (ص ١٤٢) .

مذهبين وهدىً بين ضلالين خرج من مـذهب المعطلين والمشبهين كمـا خرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين[1] .

القـاعـدة السـابعـة :

إبن قتيبة يجري نصوص الصفات على ظاهرها مع اعتقـاده أن ظاهـرها يليق باللّه ولا يشبه صفات المحدثات يدلُّ على هذا قوله : (الواجب علينا أن ننتهي في صفـات اللّه إلى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسـوله صلَّى اللّه عليه وسلَّم ولا نزيل اللفظ عما تعـرفه العـرب ونضعه عليـه ونمسك عمـا سـوى ذلك)[2] . ثم إن إبن قتيبـة عقد بـاباً في كتـابه تـأويل مشكـل القـرآن بعنوان (باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه) وعدد من ذلك أشياء ليس فيهـا شيء من نصوص الصفات فدلَّ على أنه يرى إجراءها على ظاهرها . وهذه القاعـدة مشهورة عند علماء السلف . يقول أبو سليمان الخطابي[3] : (فأما ما سـألت عنه من الصفات وما جاء منهـا في الكتاب والسنّـة فإن مـذهب السلف إثباتهـا وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها)[4] . وقـال القاضي أبـو يعلى[5] في كتـاب إبطال التـأويل : « لا يجـوز رد هذه الأخبـار ولا التشاغـل

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ : ٢١٩) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٣٧) .

(٣) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخاب البستي الخطابي إمام فاضـل كبير الشـأن جليل القدر صاحب التصانيف الحسنة مثل أعلام الحديث في شرح صحيح البخـاري ومعالم السنن في شرح الأحاديث التي في السنن وكتاب غريب الحديث . والعزلـة وغيرهـا سمع أبـا سعيد بن الإعرابي بمكة وأبا بكر محمد بن بكر بن داسة التمَّار بالبصـرة وإسماعيـل بن محمد الصفَّار ببغداد وغيرهم روى عنه الحاكم وأبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفـارسي وجماعـة كثيرة . توفي سنة ٣٨٨ هـ . أنظر الأنساب للسمعاني (٥ : ١٥٩) .

(٤) الفتوى الحموية (ص ١٢٤) .

(٥) هو أبو يعلى بن الفراء شيخ الطبقة الخامسة من الحنـابلة القاضي الحبـر محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي صاحب التصانيف وفقيـه العصر كـان إمامـاً لا يدرك قـراره ولا يشق غبـاره عاش ثمـانية وسعين سنـة وحـدث عن أبي الحـربي والمخلّص وطبقتهمـا وأملى عـدة

بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وإنها صفات للّه لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من سائر الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها »[1] .

وقال إبن القيم رحمه اللّه تعالى : (وقد أخبر اللّه تعالى عن رسوله صلّىٰ اللّه عليه وسلم أنه قال : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرة انا ومن اتّبعني . . ﴾ يوسف : ١٠٨ ، وأخبر تعالى عنه أنه سراج منير وأنه هاد إلى صراط مستقيم وبأن من اتبع النور الذي أنزل معه هو المفلح لا غيره وإن من لم يحكمه في كل ما تنازع فيه المتنازعون وينقاد لحكمه ولا يكون عنده حرج منه فليس بمؤمن فكيف يجوز على من أخبر اللّه عنه بما ذكر أن يكون قد أخبر عن اللّه وأسمائه وصفاته وأفعاله بما لهدى في خلاف ظاهره . . . معاذ اللّه فإنه لو خرج عن ظاهره بتأويل المتأولين انتقضت عرى الإيمان كلها وكان لا تشاء طائفة من طوائف أهل الضلال أن تتأول النصوص على مذهبها إلّا وجدت السبيل إليه)[2] .

وهنا أمر يجب التفطن له وهو أن بعض الناس يظنّ أن إجراء نصوص الصفات على ظاهرها أي على المعهود من صفات المحدثات وليس هذا مقصود السلف فإن هذا هو التشبيه وإنما المراد إثبات المعاني الموضوعة لها الألفاظ مع اعتقاد أن صفات كل موصوف تناسبه فاللّه ليس كالمحدثات حتى تكون صفاته كصفات المحدثات وقد أشاع المتكلمون أن ظواهر النصوص تقتضي المشابهة حتى أن بعض المنتصرين لمذهب السلف يقول نصوص الصفات تمرُّ على ما جاءت به مع إعتقاد أن ظاهرها غير مراد ويقصد بظاهرها

مجالس وولّي قضاء الحريم وتفقه على أبي عبد الله بن حامد وغيره وجميع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره توفي في تاسع عشر رمضان عام ٤٥٨ هـ .

أنظر شذرات الذهب (٣ : ٣٠٧) ، طبقات الحنابلة تصنيف إبنه أبي الحسين فإنه قد ترجم له ترجمة إضافية (٢ : ١٩٣) .

(١) الفتوى الحموية (ص ١٤٦) .

(٢) مختصر الصواعق (١ : ٦) .

ما أراده المتكلمون من المشابهة وقد ناقش هذه المسألة شيخ الإسلام إبن تيمية مناقشة قيِّمة وبيَّن ما فيها من ملابسات وسأورد ما ذكره بنصه ليتَّضح للقارىء ما المراد بظواهر النصوص عند السلف :

(أعلم أن من المتأخرين من يقول مذهب السلف أمرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد وهذا اللفظ مجمَّل فإن قوله ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون اللَّه قبل وجه المصلِّي أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه وأن اللَّه معنا ظاهره أنه إلى جانبنا ونحو ذلك فلا شك أن هذا غير مراد ومن قال أن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث فإن هذا المحال ليس هو الظاهر اللهم إلَّا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الإعتبار معذوراً في هذا الإطلاق فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الأمور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبيِّن لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر إنَّ هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد اعطى كلام اللَّه وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنىً وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله ظاهرها غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال اللَّه وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة للَّه أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فما يمكن احد قط أن ينقل عن واحدٍ من السلف ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً أنهم كانوا يعتقدون أن اللَّه ليس فوق العرش ولا أن اللَّه ليس له سمع وبصر ويد حقيقة)[1] واللَّه أعلم .

---

(١) الفتوى الحموية (ص ١٥٩ ـ ١٦٠) .

المبحث الثاني

عقيدته في صفات الله تعالى

تمهيد :

(١) ابن قتيبة سلفي في طريقة بحثه في العقيدة ـ كما مرّ آنفاً في منهجه في توضيح العقيدة ـ وقد كان من منهجه أنه يمسك عما لم يَرِدْ ذكره في كتاب اللَّه تعالى ولا في سنَّة رسوله صلى اللَّه عليه وسلّم لذا فإن كتبه خالية من كثير من المباحث التي يتعرَّض لها بعض الباحثين في العقيدة المتأثرين بأهل الكلام كقولهم : هل الصفات زائدة على الذات ؟ أم هي عين الذات ونحو هذا من المباحث التي لم تعرف عند علماء السلف الأوائل .

(٢) لم يكن ابن قتيبة صاحب كتب مطولة في العقيدة كحال بعض علماء السلف الذين ذكروا سائر أمور العقيدة وذكروا أدِلَّتِها مستوفاة وردّوا على الفرق المخالفة لهم ونقضوا شبههم بالتفصيل كما هو الشأن عند ابن تيمية وابن القيم وأضرابهما . بل يوجد كلامه في العقيدة متناثراً في كتبه يكثر في بعضها ككتاب تأويل مختلف الحديث ويقل في بعضها ككتاب تأويل مشكل القرآن .

(٣) لم يكن لإبن قتيبة كتاب مستقل في العقيدة سوى كتابه (اختلاف اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) وهو ثلاثون صفحة فقط وقد جعله في الرد على القدرية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن وناقش فيه مسألة اللفظ وردَّه فيه على المشبهة مختصر جداً .

(٤) كلام ابن قتيبة في صفات اللّه تعالى يدور حول الصفات التي كثر فيها الجدال بين علماء السلف وخصومهم غالباً وهي :

١ ـ صفة علو اللّه واستوائه على عرشه .
٢ ـ رؤية المؤمنين للّه يوم القيامة .
٣ ـ صفة اليدين للّه تعالى .
٤ ـ صفة الأصابع للّه تعالى .
٥ ـ صفة الضحك للّه تعالى .
٦ ـ صفة الكلام للّه تعالى ومسألة اللفظ .
٧ ـ صفة النزول للّه جلّ جلاله .
٨ ـ حديث خلق اللّه آدم على صورته ,

ولم يستوفِ ابن قتيبة رحمه اللّه جميع الأدلة ولا الردود على المخالفين في هذه الصفات بل اقتصر على بعضها .

وقبل أن نعرض موقفه من هذه الصفات نبيِّن مذاهب الناس في نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنَّة وهم ست فرق :

(١) فريق منهم ظنّوا أن آيات الصفات أنزلت للتلاوة والتعبُّد بها دون تعقل معانيها وتدبُّرها والتفكر فيها وقالوا نصوص الصفات لا تعقل معانيها ولا يدرى ما أراد اللّه ورسوله منها ولكن نقرؤها ألفاظاً ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلّا اللّه وهؤلاء هم الذين يسمون عند علماء السلف أهل التجهيل[١] .

(٢) وفريق اعتقدوا أن الرسل عليهم صلوات اللّه وسلامه لم يفصحوا للخلق بالحقائق إذ ليس في قواهم إدراكها فقرَّبوا لهم الحقائق المعقولة بإبرازها في الصور المحسوسة وقالوا لا يحلُّ لأحد أن يتأول ذلك على خلاف

---

(١) أنظر الصواعق المرسلة (١ : ٨٢) .

ظاهره للعامة لأنه يفسد ما وضعت له الشرائع والكتب الإلٓهية وأما الخاصة فإنهم يعلمون أن هذه أمثال مضروبة لأمور عقلية ويسمي ابن القيم هذا الفريق أهل التخييل ويقول عنهم وحقيقة الأمر عندهم أن الذي أخبرت به الرسل عن اللَّه وأسمائه وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر لا حقيقة له تطابق ما أخبروا به ولكن أمثال وتخييل وتفهيم بضرب الأمثال[1] .

(٣) وفريق أثبتوا الأسماء دون الصفات وأولوا الصِّفات لأن إثبات صفات قديمة يلزم منه تعدد القدماء بزعمهم وهؤلاء هم المعتزلة ومن سار على نهجهم[2] .

(٤) وفريق أثبتوا أسماءاللَّه وسبعاً من صفاته هي التي يسمونها صفات المعاني وأوَّلُوا بقية الصفات زعماً منهم أن إثباتها يلزم منه التشبيه والتجسيم وهذا قول أتباع أبي الحسن الأشعري[3] الذين لم يقتنعوا برجوعه إلى مذهب السلف .

(٥) وفريق أثبتوا الأسماء والصفات معتقدين أنها تشبه صفات المخلوقين وقالوا محال أن يخاطبنا اللَّه بما لا نعقله وهؤلاء هم المشبهة[4] .

(٦) وفريق أثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات ولا يكيفون شيئاً منها ولا يؤولونها وهم السلف الصالح رضوان اللَّه عليهم .

ولننظر الآن في موقف ابن قتيبة من بعض الصفات التي كثر الجدال فيها بين السلف وغيرهم ليتضح للقاريء معتقده فيها من خلال أقواله .

---

(١) المصدر السابق (١ : ٨١) .

(٢) إسلام بلا مذاهب ـ مصطفى الشكعة (ص ٤٢٤) .

(٣) أنظر الدرر السنيَّة في الأجوبة النجدية (١ : ١٧٨) .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (١ : ٨٣) .

(١) صفة علو اللّٰه واستوائه على عرشه :

ابن قتيبة يعتقد أن اللّٰه في السماء مستوٍ على عرشه بائن من خلقه كما يليق بجلاله يدلّ على هذا قوله : (والأمم كلها عربيها وعجميها تقول أن اللّٰه تعالى في السماء ما تركت على فطرها ولم تنقل عن ذلك بالتعليم وفي الحديث[١] أن رجلاً أتى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم بأمة أعجمية للعتق فقال لها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : « أين اللّٰه تعالى ؟ فقالت في السماء . قال : فمن أنا قالت : أنت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : هي مؤمنة » وأمره بعتقها هذا أو نحوه)[٢] .

وقد فند ابن قتيبة رحمه اللّٰه تعالى قول من قال أن اللّٰه حال في كل مكان وهو بالمحل الأعلى مثله بالمحل الأدنى فقال : (كيف يسوغ لأحد أن يقول أنه بكل مكان على الحلول مع قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى . . ﴾ طه : ٥ ، أي استقر كما قال : ﴿ إذا استويت أنت ومن معك على الفلك . . ﴾ المؤمنون : ٢٨ ، أي استقررت ومع قوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . . ﴾ فاطر : ١٠ ، وكيف يصعد إليه شيء هو معه أو يرفع إليه عمل وهو عنده وكيف تعرج الملائكة والروح إليه يوم القيامة . وتعرج بمعنى تصعد يقال عرج إلى السماء إذا صعد واللّٰه عزَّ وجل ذو المعارج والمعارج الدرج . فما هذه الدرج وإلى من تؤدي الأعمال الملائكة إذا كان بالمحل الأعلى مثله بالمحل الأدنى ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن اللّٰه تعالى هو العلي وهو الأعلى وهو بالمكان الرفيع وأن القلوب عند الذكر تسمو نحوه والأيدي ترفع بالدعاء إليه ومن العلو يرجي الفرج ويُتوقع النصر وينزل الرزق . وهنالك الكرسي والعرش والحجب والملائكة . يقول اللّٰه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد (٥ : ٢٤) بشرح النووي .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٢) .

تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبّحُون الليل والنهار لا يفترون . . . ﴾ الأنبياء : ١٩ ، وقال في الشهداء : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون . . ﴾ آل عمران : ١٦٩ ، وقيل لهم شهداء لأنهم يشهدون ملكوت اللّه تعالى وأحدهم شهيد كما يقال عليم وعلماء وكفيل وكفلاء وقال تعالى : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدناً . . ﴾ الأنبياء : ١٧ ، أي لو أردنا أن نتخذ امرأة وولداً لاتخذنا ذلك عندنا لا عندكم لأن زوج الرجل وولده يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره)[1] .

ويقول مستهزئاً بأصحاب الحلول ومنكري العلو : (والعجب لقوم لا يؤمنون إلاَّ بما يصحُّ في المعقول ثم خرجوا من كل معقول بقولهم أن اللّه في كل مكان بغير مماسه ولا مباينة وبغير موافقة ولا مفارقة)[2] .

ورد على أصحاب الحلول احتجاجهم بقول اللّه تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلاَّ هو رابعهم ولا خمسة إلاَّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاَّ هو معهم . . ﴾ المجادلة : ٧ ، فقال : أنه معهم بالعلم بما هم عليه كما تقول للرجل وجَّهته إلى بلد شاسع ووكلته بأمر من أمورك إحذر التقصير والإغفال لشيء مما تقدمت فيه إليك فإني معك تريد أنه لا يخفى على تقصيرك أو جدك للإشراف عليك والبحث عن أمورك وإذا جاز هذا في المخلوق الذي لا يعلم الغيب فهو في الخالق الذي يعلم الغيب أجوز[3] . وكذلك احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إلَه وفي الأرض إلَه ﴾ فقد قال رحمه اللّه : ليس فيها ما يدلُّ على الحلول وإنما أراد أنه إلَه السماء وإلَه من فيها وإلَه الأرض وإلَه من فيها ومثل هذا من الكلام قولك هو بخراسان أمير وبمصر أمير فالإمارة تجتمع له فيهما وهو حال بأحداهما أو

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧١ ، ٢٧٢) .
(٢) أنظر اختلاف اللفظ (ص ٢٣٩) .
(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧١) .

بغيرهما وهذا واضح لا يخفى)[1] .

وما يعتقده ابن قتيبة رحمة الله عليه في صفة العلو والإستواء هو ما دلّت عليه الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنّة وهو اعتقاد جماهير المسلمين باستثناء المبتدعة . يقول عبد الله بن المبارك[2] رحمه الله نعرّف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية . وقال الأوزاعي[3] كنا والتابعون متوافرون نقول أن الله تعالى فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة الصحيحة من صفاته . قال شيخ الإسلام ابن تيمية وإنما قال الاوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله عزّ وجل فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرّف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف قوله[4] . وقال ابن عبد البرّ رحمه الله تعالى : روينا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مشى إلى أمة له فنالها فرأته امرأته فلامته فجحدها فقالت له إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرأ القرآن . فقال :

شهدت بأن وعد الله حق	وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد	ملائكة الإله مسومينا

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٣) .

(٢) تقدمت ترجمته (ص ١٧٢) .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو واسمه يحمد الشامي أبو عمرو الأوزاعي نزل بيروت في آخر عمره فمات بها مرابطاً سنة ١٥٧ هـ روى عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وشداد بن عمار وعطاء بنأبي رباح وقتادة ونافع مولى إبن عمر والزهري وخلق من أقرانه وغيرهم . وروى عنه مالك والثوري وابن المبارك وخلق لا يحصون . قال ابن مهدي الأئمة في الحديث أربعة الأوزاعي ومالك والثوري وحماد بن زيد وأثنى عليه جلة علماء السلف وبعضهم يقول أن في حديثه عن الأزهري شيئاً والله أعلم . تهذيب التهذيب (٧ : ٢٤١) .

(٤) أنظر إجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٢٨ ، ٤٥) وقارن بكتاب العلو للعلي الغفار للذهبي فقد نقل عن أكثر من تسعين إماماً من أئمة المسلمين كلهم يصرحون بعلو الله واستوائه على عرشه .

فقال آمنت بالله وكذَّبت عيني وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه[1] .

(٢) رؤية المؤمنين لله يوم القيامة :

ابن قتيبة رحمه الله يعتقد أن الله يرى يوم القيامة يراه المؤمنون دون الكافرين يدلُّ على هذا الإعتقاد قوله : (. . . أن الله جلَّ وعزّ احتَجَبَ عَنْ جميعِ خَلقه في الدنيا ويتجلّى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص فيراه المؤمنون كما يرون القمر ليلة البدر ولا يختلفون فيه كما لا يختلفون في القمر)[2] .

وقوله أيضاً عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته »[3] .

إن هذا الحديث صحيح لا يجوز على مثله الكذب لتتابع الروايات عن الثقات به من وجوه كثيرة ولو كان يجوز أن يكون مثله كذباً جاز أن يكون كل ما نحن عليه من أمور ديننا ـ في التشهد الذي لم نعلمه إلَّا بالخبر وفي صدقة النعم وزكاة الناض من الأموال والطلاق والعتاق وأشباه ذلك من الأمور التي وصل إلينا علمها بالخبر ولم يأت لها بيان في الكتاب ـ باطلاً ولم يقع التشبيه بها على كل حالات القمر في التدوير والمسير والحدود وغير ذلك وإنما وقع التشبيه بها على انا ننظر إليه عزّ وجل كما ننظر إلى القمر ليلة البدر لا يختلف في ذلك كما لا يختلف في القمر . . . وقوله في الحديث « لا تضامون في رؤيته » دليل لأن التضام من الناس يكون في أول الشهر عند طلبهم الهلال فيجتمعون ويقول واحد هو ذاك هو ذاك ، ويقول آخر ليس به وليس القمر كذلك لأن كل واحد يراه بمكانه ولا يحتاج إلى أن ينضم إلى غيره لطلبه[4] .

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٤٠) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٥) .

(٣) البخاري كتاب التوحيد (٤ : ٢٨٣) .

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦) .

وقد انتقد ابن قتيبة المنكرين لرؤية اللَّه تعالى يوم القيامة وأبطل تفسيراتهم للنصوص الشرعية المثبتة للرؤية فقال : (وأما قولهم أن الرؤية في قوله . « ترون ربكم يوم القيامة » بمعنى العلم كما قال تعالى : ﴿ ألم تر أن اللَّه على كل شيء قدير . . ﴾ البقرة : ١٠٦ ، يريد ألم تعلم فإنه يستحيل لأنا نعلمه في الدنيا أيضاً ، فأي فائدة في هذا الخبر إذا كان الأمر في يوم القيامة وفي الدنيا واحداً)[1] .

ورد عليهم استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ لن تراني . . ﴾ الآية الأعراف : ١٤٣ ، على نفي الرؤية مطلقاً في الدنيا والآخرة بقوله : وفي قول موسى عليه السلام : ﴿ رب أرني أنظر إليك . . ﴾ الأعراف : ١٤٣ ، أبين الدلالة على أنه يرى في القيامة ولو كان اللَّه تعالى لا يرى في حال من الأحوال ولا يجوز عليه النظر لكان موسى عليه السلام قد خفي عليه من وصف اللَّه تعالى ما علموه . . . لا لعمر اللَّه لا يجوز أن يجهل موسى عليه السلام من اللَّه عزَّ وجل مثل هذا لو كان على تقديرهم . ولكن موسى عليه السلام علم أن اللَّه تعالى يرى يوم القيامة فسأل اللَّه عزَّ وجل أن يجعل له في الدنيا ما أجله لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة . فقال له : ﴿ لن تراني ﴾ يعني في الدنيا : ﴿ ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني . . . ﴾ الأعراف : ١٤٣ . فأعلمه أن الجبل لا يقوم لتجليه حتى يصير دكاً وأن الجبال إذا ضعفت عن احتمال ذلك فابن آدم أحرى أن يكون أضعف إلى أن يعطيه اللَّه تعالى يوم القيامة ما يقوى به على النظر ويكشف عن بصره الغطاء الذي كان في الدنيا)[2] .

وردَّ عليهم تأولهم لقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة . . ﴾ القيامة : ٢٣ ، أي منتظرة لثوابه .

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٨) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٧) .

فقال : (. . . يقال أنا لك ناظر أي أنا لك منتظر . ولا يقال أنا إليك ناظر أي إليك منتظر إلاَّ إن يريد نظر العين واللَّه يقول : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ولم يقل لربها ناظرة فيحتمل ما تأولوا)[1] .

وقد اعتبر ابن قتيبة رحمه اللَّه تعالى أن قول اللَّه تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . . ﴾ الأنعام : ١٠٣ ، من العام المخصوص بحديث رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم أنكم ترون ربكم . . الحديث . فيكون معنى الآية لا تدركه الأبصار في الدنيا إذ قال : (فلما قال اللَّه عزّ وجل لا تدركه الأبصار وجاء عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ترون اللَّه يوم القيامة لم يخف على ذي نظر أنه في وقت دون وقت)[2] .

وهذا القول من ابن قتيبة مبني على تسليمه بأن الإدراك المنفي في الآية هو الرؤية . وإلى مثل هذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه[3] . والحقيقة أن المنفي في الآية لا تدركه الأبصار هو الإحاطة لا الرؤية واللَّه سبحانه وتعالى لا يحاط به لا في الدنيا ولا في الآخرة فالإحاطة بالشيء قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : ﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمدركون . قال كلاّ . . ﴾ الشعراء : ٦١ ـ ٦٢ . فالرؤية حصلت ومع هذا نفى موسى عليه السلام الإدراك وبمثل هذا فسَّر السلف الآية الكريمة . قال ابن عباس لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار : لا يحيط بصر أحد بالملك .

وقال قتادة : لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال عطية العوفي : ينظرون إلى اللَّه لا تحيط به أبصارهم من عظمته وبصره يحيط بهم[4] .

---

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٨) . (٢) انظر اختلاف اللفظ (ص ٢٣٨) .

(٣) انظر الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (ص٥٩) .

(٤) أنظر تفسير الطبري (٧ : ١٩٩) .

ولم يستقص ابن قتيبة رحمه اللَّه جميع أدلة الـرؤية الـواردة في الكتاب والسنة ولا ضير عليه في ذلك فإن دليلاً واحداً سواء كان من الكتاب أو السنَّـة كـافٍ في إثبـات الحق للنـاسِ إلَّا من أعمى اللَّه بصيـرتـه . ومن الأحـاديث الصحيحة الصريحة المثبتة لرؤية اللَّه تعـالى يوم القيـامة مـا رواه مسلم وغيره عن صهيب رضي اللَّه عنه قال قرأ رسول اللَّه صلَّىٰ اللَّه وعليـه وسلم ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . . ﴾ يـونس : ٢٦ ، قال إذا دخـل أهل الجنـة الجنة وأهـل النار النـار نادى منادٍ يا أهـل الجنة إن لكم عنـد اللَّه مـوعـداً يـريـد أن ينجـزكموه فيقـولون مـا هو ألم يبيِّض وجـوهنا ؟ ويثقـل موازيننـا ؟ ويـدخلنـا الجنة ويزحزحنا عن النـار ؟ قال : فيكشف الحجـاب فينظرون إليـه فواللَّه مـا أعطاهم اللَّه شيئاً أحب إليهم من النظر إليه[1] .

وما يعتقده ابن قتيبة من رؤية المؤمنين للَّه في الآخرة هو اعتقـاد السلف الصـالح ومن سـار على نهجهم . يقـول أبـو الحسن الأشعـري[2] في كتـابـه الإبـانة ـ الـذي رجع فيـه إلى قول السلف ـ (ونـدين بأن اللَّه تعـالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جـاءت الروايـات عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلّم ونقول أن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنـون في الجنة كمـا قال اللَّه عـزّ وجـل : ﴿ كـلا إنهم عن ربهم يـومئـذ لمحجـوبون . . ﴾ المـطففين : ١٥ ، وإن موسى عليـه السلام سـأل اللَّه عزّ

---

(١) مسلم . كتاب الإيمان . باب إثبات رؤيـة المؤمنين في الآخرة لـربهم (١ : ١١٢) ، المسند لابن حنبل (٤ : ٣٣٣) .

(٢) هو علي بن اسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . ولد سنة ٢٦٠هـ وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى السـاجي وعن أبي خليفـة الجمحي وعبد الـرحمن بن خلف البصري وأخـذ علم الكـلام عن زوج أمـه أبي علي الجبـائي كان معتـزلياً ثم تـاب عن الإعتزال ورجـع إلى عقيدة السلف وصنف في ذلـك كتاب الإبانة وصرح فيه أنه على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وهدم باطل المعتـزلة بمـا أوتي من قوة حجة .

أنظر أبو الحسن الأشعري وعقيدته لحمَّاد الأنصاري (ص ١) وما بعدها .

وجل الرؤية في الدنيا وإن اللّٰه سبحانه وتعالى تجلّىٰ للجبل فجعله دكاً فاعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا)[1] ويقول الإمام ابن القيم : (ثبت بالعقل إمكان رؤيته تعالى وبالشرع وقوعها في الآخرة فاتفق الشرع والعقل على إمكان الرؤية ووقوعها فإن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلّا بموجود وما كان أكمل وجوداً كان أحق أن يرى فالباري سبحانه أحق أن يرى من كل ما سواه لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه . يوضحه إن تعذر الرؤية إما لخفاء المرئي وإما لآفة وضعف في الرائي والرب سبحانه أظهر من كل موجود وإنما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة البصر في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى)[2] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في كتابه القيّم الرد على الزنادقة والجهمية : (بيان ما جحدت الجهمية من قول اللّٰه وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وذكر الآيات والأحاديث الصحيحة المثبتة لرؤية المؤمنين للّٰه في الآخرة وردًّ على شبه الجهمية ثم قال : وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن اللّٰه لأن اللّٰه قال للكفّار : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . . ﴾ المطففين : ١٥ .

فإذا كان الكافر يحجب عن اللّٰه والمؤمن يحجب عن اللّٰه فما فضل المؤمن على الكافر والحمد للّٰه الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع[3] .

وقال ابن القيم : (والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط فقسم غلواً في إثباتها حتى أثبتوها في الدنيا والآخرة وهم الصوفية وأحزابهم

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص ١٠) .

(٢) مختصر الصواعق (١ : ٢٨٠) .

(٣) عقائد السلف (ص ٨٧) .

وقسم نفوها في الدنيا والآخرة وهم الجهمية والمعتزلة والوسط هم أهل السنّة الذين أثبتوها في الآخرة فقط حسبما تواترت به الأدلة)[1] .

(٣) صفة اليدين للّه تعالى :

يثبت ابن قتيبة رحمه اللَّه تعالى للّه يدين حقيقيتين تليق باللّه لا تشبه أيدي المخلوقين يدل على هذا قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ بل يداه مبسوطتان . . ﴾ المائدة : ٦٤ ، فإن قيل لنا ما اليدان ههنا قلنا هما اليدان اللتان تعرف الناس كذلك قال ابن عباس في هذه الآية ﴿ اليدان اليدان ﴾ وقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم كلتا يديه يمين[2] فهل يجوز لأحد أن يجعل اليدين ههنا نعمة أو نعمتين وقال تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي . . ﴾ ص : ٧٥ ، فنحن نقول كما قال اللَّه تعالى وكما قال رسوله ولا نتجاهل ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ولكنّا لا نقول كيف اليدان وإن سئلنا نقتصر على جملة ما قال.ونمسك عما لم يقل)[3] .

وقد رد ابن قتيبة رحمه اللَّه على المنكرين لصفة اليدين للّه تعالى الذين يؤولونها بالنعمة أو بالقوة فقال : (وفعلوا في كتاب اللَّه أكثر مما فعل الأولون في تحريف التأويل عن جهته فقالوا في قول اللَّه : ﴿ وقالت اليهود يد اللَّه مغلولة . . ﴾ المائدة : ٦٤ ، إن اليد ههنا النعمة وما ننكر أن اليد قد تتصرف على ثلاثة وجوه من التأويل أحدهما النعمة والآخر القوة من اللَّه ﴿ أولي الأيدي والأبصار . . ﴾ ص : ٤٥ ، يريد أولي القوة في دين اللَّه والبصائر ومنه يقول الناس ما لي بهذا الأمر يدان يعنون ما لي به طاقة .

والوجه الثالث اليد بعينها ولكنه لا يجوز أن يكون أراد في هذا الموضع

---

(١) الكواشف الجلية للسلمان (ص ٢٣٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة . أنظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٢ : ٢١١) .

(٣) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

النعمة لأنه قال : ﴿ وقالت اليهود يد اللّه مغلولة . . ﴾ المائدة : ٦٤ ، والنعم لا تغل وقال غلّت أيديهم معارضة بمثل ما قالوا ولا يجوز أن يكـون أراد غلّت نعمهم ثم قال بل يداه مبسوطتان ولا يجوز أن يريد نعمتاه مبسوطتان وكان مما احتجوا به للنعمة قوله غلت أيديهم . لـو أراد اليد بعينهـا لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول البد . فما أعجب هذا الجهل والتعسف في القول بغير علم ألم يسمعوا بقول اللّه تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما أكفـره . . ﴾ عبس : ١٧ ، وبقوله : ﴿ قاتلهم اللّه إني يؤفكون . . ﴾ التوبة : ٣٠ ، وقوله : ﴿ لعنـوا بما قالوا . . ﴾ المائدة : ٦٤ ، واللعن الطرد فهل قتل اللّه الناس جميعاً وهل قتل قوماً وطرد آخرين أو لم يسمعوا بقول العرب قاتله اللّه ما أبطشه وأخزاه اللّه ما أشعره ويقول النبي صلى اللّه عليه وسلم لرجل تربّت يداه أي افتقر ولم يفتقـر ولمرأة عقري حلقي ولم يعقرها اللّه ولا أصاب حلقها بوجع)[1] . وما يعتقده ابن قتيبة في صفة اليدين للّه تعالى هو ما يعتقده السلف الصالح .

فقـد عقد البخـاري رحمه اللّه في صحيحـه بابـاً بعنوان بـاب قول اللّه تعـالى لمـا خلقت بيـدي في كتـاب التـوحيـد وأورد فيـه جملة من الأحـاديث الصحيحة كلها تثبت صفة اليدين للّه تعالى منها :

حديث أنس الطويل في الشفاعة وفيه قال صلّىٰ اللّه عليه وسلّم يجمـع المؤمنون يوم القيامة كـذلك فيقـولون لـو استشفعنا إلى ربنـا حتى يريحنـا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أمـا ترى النـاس خلقك اللّه بيـده وأسجد لـك ملائكتـه وعلّمك أسمـاء كل شيء أشفـع لنا إلى ربـك حتى يريحنـا من مكاننا هذا . . الحديث .

ومنهـا ما رواه أبـو هريـرة رضي اللّه عنه أن رسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : يد اللّه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليـل والنهار وقـال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فـإنه لم يغض مـا في يده وقـال عرشـه على

---

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٣٥) .

الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع .

ومنهـا ما رواه ابن عمـر رضي اللَّه عنهما أن رسـول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم قال : إن اللَّه يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك . . . الحديث[1] .

فهذه الأحاديث الصحاح لا تحتمل التأويل بحال ولا يمكن حمل اليدين فيهـا إلَّا على الحقيقـة وقـد رد ابن القيم رحمـه اللَّه تعـالى على من قـال أن اليـدين في قولـه تعالى : ﴿ مـا منعك أن تسجـد لمـا خلقت بيـدي ﴾ ص : ٧٥ ، مجاز من عشرين وجهاً نقتطف منها ما يلي :

(١) إن اللَّه جعل ذلك خاصة خص بهـا آدم دون غيره ولهـذا قال لـه موسى وقت المحاجة أنت الذي خلقك اللَّه بيده ونفخ فيـك من روحه وأسجـد لك ملائكته وعلَّمك أسماء كل شيء .

(٢) إن هذا التركيب المذكور في قوله خلقت بيدي يأبى حمـل الكلام على القدرة لأنه نسب الخلق إلى نفسـه سبحانـه ثم عدي الفعـل إلى اليد ثم ثناها ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك كتبت بالقلم ومثـل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه .

(٣) إن اليد حيث أريد بها النعمة أو القدرة فلا بد أن يقترن بـاللفظ ما يـدلُّ على ذلك ليحصل المراد فأما أن تطلق ويراد بها ذلك فهذا لا يجوز كما إذا أطلق البحر والأسد وادعى بذلك أنه أريد به الرجل الجواد والشجـاع فهذا لا يجيزه عاقل ولا يتكلم بـه إلَّا من قصده التلبيس والتعميـة وحيث أراد تلك المعـاني فإنـه يأتي من الـقرائن بما يـدل على مـراده . فـأين معكم في قـوله لمـا خلقت بيدي وبـل يداه مبسـوطتان وقـوله صلَّىٰ اللَّه عليه وسلم يقبض اللَّه سمواته بيده والأرض بـاليد الأخـرى وقولـه فأقـوم

---

(١) أنظر هذه الأحاديث مع شرحها في فتح الباري (١٣ : ٣٣١ - ٣٣٤) .

عن يمين ربي وقوله فيوقف بين يدي الرحمن ما يدل على المجاز[١] .

والله تعالى أعلم . .

(٤) صفة الأصابع لله تعالى :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يؤمن بأن الله له أصابع كما وردت بذلك النصوص الصحيحة عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم وينكر على من يتأول الأصابع الواردة في الأحاديث بالنعم وحسن الأثر يدل على هذا قوله في الإنكار على الجهمية (قالوا رويتم أن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل فإن كنتم أردتم بالأصابع ههنا النعم ـ وكان الحديث صحيحاً ـ فهو مذهب . وإن كنتم أردتم الأصابع بعينها فإن ذلك يستحيل لأن الله تعالى لا يوصف بالأعضاء ولا يشبه بالمخلوقين . وذهبوا في تأويل الأصابع إلى أنها النعم لقول العرب « ما أحسن اصبع فلان على ما له » يريدون أثره ، وقال الراعي في وصف أبله :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما امحل الناس اصبعا

أي ترى له عليها أثراً حسناً .

قال أبو محمد : (ونحن نقول إن هذا الحديث صحيح وإن الذي ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث لأنه عليه السلام قال في دعائه يا مقَلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك فقالت له إحدى أزواجه أوَ تخاف يا رسول الله على نفسك فقال : إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عزّ وجل)[٢] . فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى فهو

---

(١) أنظر مختصر الصواعق (٢ : ١٥٣ ـ ١٧٢) .

(٢) هذا الحديث رواه عثمان الدارمي بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص في رده على بشر المريسي (ص ٤١٩) ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد عن النواس بن سمعان (ص ٨٠) وفي ألفاظه بعض الإختلاف عما هنا ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر ولفظه =

محفوظ بَتَيْنِكَ النعمتين فلأي شيء دعا بالتثبيت ولم احتج على المرأة التي قالت له : (أتخاف على نفسك) بما يؤكد قولها وكان ينبغي ألا يخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين . فإن قال لنا ما الإصبع عندك ههنا ؟ قلنا هو مثل قوله في الحديث الآخر يحمل الأرض على إصبع وكذا على إصبع[1] . ولا يجوز أن تكون الإصبع ههنا نعمة . . . . ولا نقول اصبع كأصابعنا ولا يد كأيدينا ولا قبضة كقبضاتنا لأن كل شيء منه عزّ وجل لا يشبه شيئاً منّا)[2] .

واعتقاد ابن قتيبة بأن اللّه له أصابع لا تشبه أصابع المخلوقين تليق به سبحانه وتعالى هو ما دلت عليه النصوص الصحيحة فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى عبد اللّه بن مسعود قال : أن يهودياً جاء إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال : يا محمد إن اللّه يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك . فضحك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ : ﴿ وما قَدَّرُوا اللّه حقَّ قدره . . ﴾ الأنعام : ٩١ ، قال يحيى بن سعيد وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبيد اللّه فضحك رسول اللّه صلَّىٰ اللّه عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له[3] .

واعتقاد ابن قتيبة في صفة الأصابع هو اعتقاد جميع أئمة السلف رضوان اللّه عليهم فقد عقد إمام الأئمة ابن خزيمة في كتابه التوحيد باباً بعنوان (باب إثبات الأصابع للّه عزّ وجل) وباباً بعنوان (باب ذكر إمساك اللّه تبارك وتعالى إسمه وجلَّ ثناؤه السموات والأرض وما عليها على أصابعه) قال فيه : (جل

= (أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) .
أنظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٦ : ٢٠٤) .

(١) رواه البخاري ـ كتاب التوحيد (٤ : ٣٠٠) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٩) .

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد (٤ : ٢٨٠) .

ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه وقد أجلّ اللّه قدر نبيه صلّى اللّه عليه وسلم عن أن يوصف الخالق الباري بحضرنه بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله . لا يصف النبي صلّى اللّه عليه وسلم بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته ثم ساق الحديث الذي رويناه عن البخاري آنفاً)[١] .

وعقد الإمام الدارمي في رده على المريسي العنيد[٢] فصلاً بعنوان (أصابع الرحمن) رد عليه فيه تأويله الإصبع بمعنى القدرة فقال : (أيها المعجب بجهالته في أي لغات العرب وجدت أن إصبعيه قدرتيه ؟ فأنبئنا بها فإنا قد وجدناها خارجة في جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها فكيف صارت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين . . . وكيف أقررت بالحديث في الإصبعين من أصابع اللّه وفسرتهما قدرتين وكذبت بحديث ابن مسعود رضي اللّه عنه في خمس أصابع وهو أجود إسناداً من حديث الإصبعين ؟ أفلا اقررت بحديث ابن مسعود ثم تأولته : القدرة خمس قدرات كما تأولت الإصبعين بقدرتين . .)[٣]. واللّه تعالى أعلم .

(٥) إثبات صفة الضحك للّه تعالى :

ابن قتيبة رحمه اللّه تعالى يثبت كل ما أثبته اللّه لنفسه من غير تحريف

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٧٦ ـ ٧٩) .

(٢) هو بشر بن غياث بن أبي عبد الرحمن المريسي قيل أن أباه يهودي يشتغل بالصبغ في سوق المراضع وله حكايات منكرة وقال أكثر العلماء أنه زنديق وأنه ينكر علو الله وسائر صفاته وينكر عذاب القبر إلى غير ذلك من الأقوال المبتدعة وكان قد تفقه على أبي يوسف ثم اشتغل بالكلام مات سنة ٢١٨ هـ . أنظر تاريخ بغداد (٧ : ٦٦) .

(٣) عقائد السلف (ص ٤١٨) .

ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل ـ كما مرّ معنا في منهجه في توضيح العقيدة ـ وقد وردت النصوص الصحيحة المثبتة بأن اللّه تعالى يضحك فاشتغلت الجهمية بتأويلها فراراً من إثبات الضحك للّه فأنكر عليهم ابن قتيبة هذا التأويل وبيَّن أن المعنى الذي ذهبوا إليه يلزمهم فيه ما يلزمهم في المعنى الذي فروا منه على حد زعمهم إذ قال : (وقالوا في الضحك هو مثل قول العرب ضحكت الأرض بالنبات إذا طلع فيها ضروب الزهر . وضحكت الطلعة إذا انفتق كافورها عن بياضها . وضحكت المزن إذا لمع فيه البرق . وليس من هذه شيء إلاّ وللضحك فيه معنى حدث فإن كان الضحك الذي فروا منه فيه تشبيه بالإنسان . فإن في هذا تشبيهاً بهذه المعاني)[1] .

وهذا الإنتقاد الموجه لمن تأول صفة الضحك على خلاف ظاهرها ذكره ابن قتيبة في كتابه اختلاف اللفظ وهو من أواخر كتبه وقد تكلم عن صفة الضحك في كتابه تأويل الحديث فقال ـ في معرض رده على المعتزلة الذين يطعنون على أهل الحديث بأنهم مشبهة وأنهم يروون المتناقضات ـ (وقالوا رويتم عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : « عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم » وضحك من كذا وإنما يعجب ويضحك من لا يعلم ثم يعلم فيعجب ويضحك . قال أبو محمد ونحن نقول أن العجب والضحك ليس على ما ظنُّوا وإنما هو على حلّ عنده كذا بمحل ما يعجب منه وبمحل ما يضحك منه)[2] . قلت لم أقف على أن أحداً من السلف فسَّر الضحك والعجب بهذا التفسير غير ابن قتيبة وليس هناك كبير فارق فإن في حلول الشيء معنى كما أن في الضحك معنى وما أدري ما الحامل لابن قتيبة على هذا التفسير وماذا يضيره لو قال يضحك ويعجب من غير كيفية كما هو ديدنه في سائر الصفات وكما قاله في مواضع أخرى حيث قال : (. . . . ونؤمن بالرؤية والتجلّي وأنه يعجب وينزل . . . . من غير أن نقول في

---

(١) اختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢١١) .

ذلك بكيفية أو حد . . .)[1] .

ووصف اللّٰه بالضحك اللائق به سبحانه من غير تشبيه ولا تكييف هو الذي دلت عليه السنَّة الصحيحة وهو ما يعتقده جماهير أهل السنة فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أن رجلاً أتى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن ما معنا إلاَّ الماء فقال رسول اللّٰه صلَّىٰ اللّٰه عليه وسلم من يضم أو يضيّف هذا فقال رجل من الأنصار أنا فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول اللّٰه صلَّىٰ اللّٰه عليه وسلَّم فقالت : ما عندنا إلاَّ قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونوَّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فقال : ضحك اللّٰه الليلة أو عجب من فعالكما فأنزل اللّٰه : ﴿ ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون . . . ﴾ الحشر : ٩[2]) .

وروى البخاري أيضاً بسنده عن أبي هريرة في ـ حديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ـ قال : ثم يفرغ اللّٰه من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة فيقول أي رب أصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو اللّٰه بما شاء أن يدعوه ثم يقول اللّٰه هل عسيت ان اعطيت ذلك أن تسألني غيره ؟ فيقول لا وعزّتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف اللّٰه وجهه عن النار . فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء اللّٰه أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول اللّٰه له ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك

---

(١) إختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

(٢) البخاري كتاب التفسير باب ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (٢ : ٣١٢) .

أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبـداً ويلك يا ابن آدم مـا أغدرك ؟ فيقـول أي رب ويـدعـو اللّه حتى يقـول هـل عسيت أن أعـطيت ذلـك أن تسـأل غيـره ؟ فيقول : لا وعزّتك لا أسألك غيره ويعـطي ما شـاء من عهود ومـواثيق فيقدمـه إلى بـاب الجنة فـإذا قام إلى بـاب الجنة انفهقت لـه الجنة فـرأى ما فيهـا من الحبرة والسرور فيسكت ما شاء اللّه أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقـول اللّه ألست قد أعـطيت عهودك ومـواثيقك أن لا تسـأل غير مـا أعـطيت فيقول ويلك يا ابن آدم مـا أغدرك فيقـول أي رب لا أكونن أشقى خلقـك فلا يزال يدعـو حتى يضحك اللّه منـه فإذا ضحـك منه قـال له ادخـل الجنة . . . الحديث)[١] .

وقد حكى حرب الكرماني[٢] إجماع أهل السنـة والحديث على الإقـرار بهذه الصفة وما شاكلها فقال : (. . . وكـان من قولهم . . . أن اللّه جـواد لا يبخـل حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى ولا يسهـو قريب لا يغفـل ويتكلم وينظر ويبسط ويضحـك ويفـرح ويحب ويكـره ويبغض ويـرضى ويغضب ويسخط ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع . . . .)[٣] .

وقد عقد الإمام ابن خزيمة في كتابـه التوحيـد بابـاً بعنوان : (بـاب ذكر إثبات ضحك ربّنا عزّ وجـل) صدره بقـوله : (بـلا صفة تصف ضحكـه جل ثنـاؤه ولا يشبه ضحكـه بضحك المخلوقين بـل نؤمن بأنـه يضحك كمـا أعلم النبي صلى اللّه عليـه وسلم ونسكت عن صفة ضحكـه جلّ وعـلا إذ اللّه عـز وجل استأثر بصفة ضحكـه لم يطلعنـا على ذلك فنحن قـائلون بما قـال النبي

---

(١) البخاري كتاب التوحيد (٤ : ٢٨٤) .

(٢) هـو حرب بن إسمـاعيل بن خلف الحنـظلي الكرمـاني أبو محمـد . حدث عن الإمـام أحمـد وإسحاق بن راهويه وأحمد بن سليمان الباهلي وعبيد الله بن معاذ العنبري وأخذ عنه أبو حاتم بدمشق .

أنظر الأنساب للسمعاني (١١ : ٨٧) .

(٣) حادي الأرواح (ص ٢٩٧) .

صلى اللَّه عليه وسلم مصدقون بذلك بقلوبنا منصتون عما لم يبين لنا مما استأثر اللَّه تعالى بعلمه)[1] واللَّه تعالى أعلم .

(٦) صفة الكلام للَّه ومسألة اللفظ :

ابن قتيبة رحمه اللَّه يعتقد أن اللَّه تعالى متكلم بكلامٍ مسموع ، وأن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق منه بدأ يدل على هذا قوله : (القرآن بهذا النظم وهذا التأليف كلام اللَّه تعالى منه بدأ وكل من أداه فهو مؤدٍ لكلام اللَّه تعالى لا يزيل ذلك عنه أن يكون هو القاريء له ولو أن رجلاً ألّف خطبة أو عمل قصيدة ثم نقل ذلك عنه لم يكن الكلام ولا الشعر عملاً للناقل وإنّما يكون الشعر للمؤلف وليس للناقل عنه إلاَّ الأداء)[2] . وقوله لو أمعن هؤلاء (يعني من يقول بخلق القرآن) النظر وأوتوا طرفاً من التوفيق لعلموا أنه لا يجوز أن يكون القرآن مخلوقاً لأنه كلام اللَّه تعالى وكلام اللَّه من اللَّه وليس بن اللَّه عزّ وجلّ شيءٌ مخلوق) . وقوله أيضاً : (وذهب قومٌ في قول اللَّه وكلامه إلى أنه ليس قولاً وكلاماً على الحقيقة وإنّما هو إيجاد للمعاني وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز . . . وقال بعضهم في قوله للملائكة : ﴿ اسجدوا لآدم . . ﴾ البقرة : ٣٤ ، هو إلهامٌ منه للملائكةَ وقوله : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه اللَّه إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء . . ﴾ الشورى : ٥١ ، وذهبوا في الوحي ههنا إلى الإلهام والصواب أن الوحي الأول ما أراه اللَّه تعالى الأنبياء في منامهم والكلام مِن وراء الحجاب تكليمه موسى والكلام بالرسالة إرساله الروح الأمين بالروح من أمره إلى من يشاء من عباده ولا يقال لمن ألهمه اللَّه كلمه اللَّه ولا يجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس وطول مراجعته إياه في السجود والخروج من الجنة والنظرة

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٢٣١) .

(٢) أنظر تأويل مختلف الحديث (ص ٢٥٩ ، ٢٦٠) بتصرف .

إلى يوم البعث إلهاماً هذا ما لا يعقل)[1] .

وقد رد ابن قتيبة رحمة اللَّه عليه على من زعموا أن كلام اللَّه مخلوق وفند شبههم فقال : (وقالوا في كلام اللَّه أنه مخلوق لأن اللَّه تعالى قال : ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً . . ﴾ الزخرف : ٣ ، والجعل بمعنى الخلق ولأنه قال : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث . . ﴾ الأنبياء : ٢ ، وكل محدث مخلوق وأن معنى كلم اللَّه أوجد كلاماً و ﴿ كلّم اللَّه موسى تكليماً . . ﴾ النساء : ١٦٤ ، أوجد كلاماً سمعه فخرجوا بهذا التأويل من اللغة ومن المعقول لأن معنى تكلم اللَّه أتى بالكلام من عنده وترحم اللَّه أتى بالرحمة من عنده كما يقال تخشع فلان أتى بالخشوع من نفسه . . . . . ولو كان المراد أوجد كلاماً لم يجز أن يقال تكلم وكان الواجب أن يقال أكلم كما يقال أقبح الرجلُ أتى بالقباحة وأطاب أتى بالطيب وأن يقال أكلم اللَّه موسى إكلاماً كما يقال أقبر اللَّه الميت أي جعل له قبراً أو أرعى اللَّه الماشية جعلها ترعى في أشباه لهذا كثيرة لا تخفى على أهل اللغة . . . . وأما استشهادهم بالجعل على خلق القرآن في قوله تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ فإن الجعل يكون بمعنيين :

أحدهما خلق والآخر غير خلق . فإما الموضع الذي يكون فيه خلقاً فإذا رأيته متعدياً إلى مفعول واحد لا يجاوزه كقول اللَّه : ﴿ خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور . . ﴾ الأنعام : ١ ، فهذا بمعنى خلق وكذلك : ﴿ وجعل منها زوجها . . ﴾ النساء : ١ ، أي خلق منها . وأما الموضع الذي يكون غير الخلق فإذا رأيته متعدياً إلى مفعولين كقوله : ﴿ وقد جعلتم اللَّه عليكم كفيلاً . . ﴾ النحل : ٩١ ، أي صيرتم وكقوله : ﴿ فجعلناها نِكالاً لما بين يديها وما خلفها . . ﴾ البقرة : ٦٦ ، وكقول القائل : (جعل فلان أمر امرأته في يدها) فإن هم وجدوا في القرآن كلمة

---

(١) بتصرف من تأويل مشكل القرآن (ص ١٠٦ ـ ١١٢) .

جعل متعدية إلى القرآن وحده ليقضوا عليه بالخلق فنحن نتابعهم وكذلك المحدث ليس هو في موضع بمعنى مخلوق فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قول اللّه : ﴿ لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمراً . . . ﴾ الطلاق : ١ ، أنه يخلق وكذلك قوله : ﴿ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً . . ﴾ طه : ١١٣ ، أي ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك)[١] . وما يعتقده ابن قتيبة رحمه اللّه في كلام اللّه وفي القرآن هو اعتقاد السلف الذي أجمعوا عليه .

يقول ابن تيمية رحمه اللّه : (والسلف متفقون أن اللّه تكلم بالقرآن الذي أنزل على نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم حروفه ومعانيه وأنه ينادي عباده بصوته ومتفقون على أن الأصوات المسموعة من القراء هي أصوات العباد وعلى أنه ليس شيء من أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديماً)[٢] وقد نقل الشيخ محمد خليل هراس في شرحه للعقيدة الواسطية مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام للّه فقال : (وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن اللّه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وأن الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته فهو لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء وما تكلم اللّه به فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه كما تقول المعتزلة ولا لازماً لذاته لزوم الحياة لها كما تقول الأشاعرة بل هو تابع لمشيئته وقدرته واللّه سبحانه نادى موسى بصوت ونادى آدم وحواء بصوت وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت لكن الحروف والأصوات التي تكلم اللّه بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم كما أن علم اللّه القائم بذاته ليس مثل علم عباده فإن اللّه لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته)[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومذهب سلف الأمة وأئمتها من

---

(١) اختلاف اللفظ (ص ٢٣٣ ، ٢٣٤) .

(٢) شذرات البلاتين (ص ٣٩٥) .

(٣) شرح العقيدة الواسطية لمحمد هراس (ص ٨٩) .

الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام اللّه منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقاً منفصلاً عنه وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته لم يقل أحد منهم أن القرآن والتوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبداً وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته . وقالوا أن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية بل قالوا لم يزل اللّه متكلماً إذا شاء وكلمات اللّه لا نهاية لها واللّه سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية)[1] .

وقد أورد علماء السنة كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن جملة من الأحاديث المصرحة بأن اللّه ينادي جبريل وأنه نادى أيوب عليه السلام وأنه يسأل الملائكة الذين يصعدون إليه بأعمال عباده كيف تركتم عبادي ؟ إلى غير ذلك من الأحاديث وكلها تثبت أن اللّه يتكلم مع جملة من مخلوقاته بكلام مسموع يسمعونه ويفقهونه وقد بوب البخاري على ذلك عدة أبواب فقال : (باب كلام الرب تعالى مع جبريل ونداء اللّه الملائكة) وباب (كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) وباب (ما جاء في قوله تعالى وكلم اللّه موسى تكليماً) وباب (كلام الرب مع أهل الجنة)[2] . وكل ما تقدم يدل على مذهب السلف الصالح في كلام اللّه وفي القرآن وأن ابن قتيبة سائر على نهجهم في الاعتقاد ولم أتعرض لمذاهب الناس في كلام اللّه والردود على شبههم لأن ذلك وحده موضوع رسالة مستقلة وإنما غرضي إثبات موافقة إعتقاد ابن قتيبة لاعتقاد السلف من كلامه واللّه أعلم .

---

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (ص ٣٠٥) .

(٢) انظر هذه الأبواب وشرح ابن حجر لما ورد فيها من أحاديث في فتح الباري (١٣ : ٣٨٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦) .

مسألة اللفظ :

على أثر القول بخلق القرآن والمحنة التي حصلت لعلماء السلف بسبب ذلك حصل عند بعضهم حساسية ضد أي قول قد يفهم منه ولو من بعيد أن القرآن مخلوق فحصل نزاعٌ بين علماء السلف هل يقال لفظي بالقرآن مخلوق أم يقال غير مخلوق ولما قال البخاري رحمه اللَّه تعالى أن أصوات العباد من أفعالهم وأفعالهم مخلوقة ثار ضده بعض العلماء واتهموه بأنه يقول لفظي بالقرآن مخلوق وهو لم يقل ذلك رحمه اللَّه[1] .

ويبدو أن النزاع في هذه المسألة تطور في زمن ابن قتيبة حتى ألف في ذلك كتابه اختلاف اللفظ وحاول فيه الإعتذار لكل فريق وبين أن هذه المسألة لا توجب شقاقاً ونزاعاً ولا تقطع الإلفة فإن المختلفين في اللفظ مجمعون على أصل واحد وهو أن القرآن كلام اللَّه غير مخلوق في كل موضع وبكل جهة وعلى كل حال وإنما اختلفوا في قراءة القارىء ولفظه بالقرآن هل يقال قراءتي بالقرآن ولفظي به مخلوقة أم غير مخلوقة ولكل وجهة نظر فإن القراءة تشمل على فعل العبد لذا يقال قراءة فلان أحسن من قراءة فلان أي أداء فلان أحسن من أداء فلان وأفعال العباد باتفاق علماء السلف مخلوقة للَّه تعالى . فالذي قال لفظي وقراءتي بالقرآن مخلوقة أراد فعل العبد والذي قال قراءتي بالقرآن غير مخلوقة ، أراد أن القراءة تطلق على القرآن والعرب تسمى القراءة قرآناً قال أبو عبيد يقال قرأت قراءة وقرآناً بمعنى واحد فجعلها مصدرين لقرأت والقرآن غير مخلوق وابن قتيبة رحمه اللَّه تعالى يعذر كلاً من الفريقين ويقول إنما أراد كل منهما المعنى الصحيح فإن القراءة قرآن متصل بعمل فمن قال قراءتي مخلوقة أراد العمل ومن قال غير مخلوقة أراد القرآن وضرب لذلك مثلاً وهو أنه لو اختلف اثنان في نجم فقال أحدهما هو نار وقال الآخر هو نور

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧) وقارن بما في كتاب الإمام البخاري خلق أفعال العباد (ص ١٣٨) ضمن مجموعة عقائد السلف .

كانا صادقين لأن النجم اسم ذو معنيين نار ونور[1] . ويرى ابن قتيبة أنّ الجواب الصحيح لمن سأل عن القراءة بالقرآن واللفظ به أن يقال له سألتُ عن كلمة واحدة تحتها معنيان أحدهما مخلوق وهو العمل والآخر غير مخلوق وهو القرآن وهذا الذي قاله ابن قتيبة رحمه اللّٰه تعالى هو قول أئمة السلف وأهل الحديث . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (والمنصوص الصريح عن الإمام أحمد وأعيان أصحابه وسائر أئمة الحديث انهم لا يقولون الفاظنا بالقرآن مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطاقاً ولا غير المتلو مطلقاً كما لا يقولون الاسم هو المسمى ولا غير المسمى وذلك ان التلاوة والقراءة كاللفظ قد يراد به مصدر تلى يتلو تلاوة وقرأ يقرأ قراءة ولفظ يلفظ لفظاً ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة واللفظ مخلوق وليس ذلك هو القول المسموع الذي هو المتلو . وقد يراد باللفظ الملفوظ وبالتلاوة المتلو وبالقراءة المقروء وهو القول المسموع وذلك هو المتلو ومعلوم أن القرآن المتلو الذي يتلوه العبد ويلفظ به غير مخلوق وقد يراد بذلك مجموع الأمرين فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع[2] . وهذا الذي قرره ابن قتيبة وابن تيمية هو ما أراده الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّٰه حيث قال من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع[3] . لأن من قال لفظي بالقرآن مخلوق يوهم أن القرآن مخلوق ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق يوهم أن أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة فالمسألة المجملة لا يجاب عنها بالنفي المطلق ولا بالإثبات المطلق بل لا بد من الاستفسار فليس من العبد شيء غير مخلوق وليس من اللّٰه شيء مخلوق وقدو ضح الإمام أحمد هذه المسألة غاية التوضيح فقال:

---

(١) انظر اختلاف اللفظ لابن قتيبة (ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠) .

(٢) الفتاوى الكبرى (١٢ : ٣٧٣) .

(٣) مختصر الصواعق (٢ : ٣٠٧) .

يتوجه العبد للَّه تعالى بالقرآن بخمسة أوجه هو فيها غير مخلوق حفظ بقلب وتلاوة بلسان وسمع بإذن ونظرة ببصر وخط بيد فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق)[1] . وقد وافق قول ابن قتيبة رحمه اللَّه قول إمام أهل السنة غاية الإتفاق بل أن ألفاظه في هذه المسألة تكاد تكون ألفاظ أحمد بن حنبل حيث يقول : (وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين أحدهما عمل والآخر قرآن إلَّا أن العمل لا يتميز من القرآن والقرآن لا يقوم بنفسه وحده وإنما يقوم بواحدة من أربع كتابة أو قراءة أو حفظ أو استماع . فهو بالعمل في الكتابة قائم والعمل خط وهو مخلوق والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق وهو بالعمل في القراءة قائم والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق والمقروء قرآن وهو غير مخلوق وهو بحفظ القلب قائم في القلب والحفظ عمل وهو مخلوق والمحفوظ قرآن وهو غير مخلوق وهو بالإستماع قائم في السمع والإستماع عمل وهو مخلوق والمسموع قرآن وهو غير مخلوق)[2] . واللَّه تعالى أعلم .

(٧) صفة النزول للَّه جل جلاله :

ابن قتيبة رحمه اللَّه يثبت نزول اللَّه جلّ جلاله على ما يليق به يدل على ذلك قوله : (وعدل القول في هذه الأخبار ـ يعني أخبار الصفات ـ أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي وانه يعجب وينزل إلى السماء وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو حد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء اللَّه تعالى)[3] .

---

(١) مختصر الصواعق (٢ : ٣١٤) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٤٨) .

(٣) اختلاف اللفظ (ص ٢٤٣) .

وهو رحمه اللّٰه في إثبات النزول لم يـزد على ما ورد بـه النص فلم يقل ينزل بحركة وانتقال أو بغير حركة وانتقال أو يخلو منه العرش عند النزول أو لا يخلو منه العرش عند النزول بل أثبت ما ورد به النص وسكت عما سكت اللّٰه عنه وسكت رسولـه صلى اللّٰه عليه وسلم عنـه إذ يقول : (فـإن قيل لنـا كيف النـزول منه جـلّ وعـز قلنـا لا نحتم على النـزول منـه بشيء ولكنـا نبين كيف النـزول منا ومـا تحتمله اللغة من هـذا اللفظ واللّٰه أعلم بما أراد والنـزول منـا يكون بمعنيين .

أحدهما الإنتقال من مكان إلى مكان كنزولك من الجبل إلى الحضيض ومن السطح إلى الدار .

والمعنى الآخر : إقبالك على الشيء بالإرادة والنية)[1] .

وقد انتقد ابن تيمية رحمه اللّٰه هذا الـتفسير الثاني الذي أورده ابن قتيبة فقال : (وتأويل المجيء والإتيان والنزول ونحو ذلـك ـ بمعنى القصد والإرادة ونحو ذلك هـو قول طـائفة وتـأولوا ذلـك في قولـه تعالى : ﴿ ثم استـوى إلى السماء ﴾ وجعل ابن الزغواني وغيره ذلك هو إحدى الروايتين عن أحمد .

والصواب أن جميع هذه التأويـلات مبتدعـة لم يقل أحـد من الصحابـة شيئاً منها ولا أحد من التابعين لهم بإحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة)[2] .

وابن قتيبة رحمة اللّٰه عليه لم يفسر النزول الوارد به النص بهذا التفسيـر لعدم وجود القرينة الصارفة له إلى هذا المعنى ولم يفسـره بالإنتقـال والحركـة لعـدم ورود النص بذلـك بل لم يحتم على اللّٰه بشيء وبين معنى النـزول في اللغة العربية . وهو في هذا موافق لطائفة من الحنابلة بل صرح أبو يعلى بـأن

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٤) .

(٢) مجموع الفتاوى الكبرى (٥ : ٤٠٩) .

هذا هو المذهب فقال : (وحكى شيخنا عن طائفة أخرى من أصحابنا أنهم قالوا نثبت نزولاً ولا نعقل معناه هل هو بزوال أو بغير زوال كما جاء الخبر ومثل هذا ليس بممتنع في صفاته كما نثبت ذاتاً لا تعقل قال وهذه الطريقة هي المذهب وقد نص عليها أحمد في مواضع)[1] . وقد أثنى ابن القيم رحمه اللّٰه على هذه الطريقة فقال : (وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا لا نقول يتحرك وينتقل ولا ننفي ذلك عنه فهم أسعد بالصواب والإتّباع فإنهم نطقوا بما نطق به النص وسكتوا عما سكت عنه)[2] . ومجموع الأقوال في هذا ثلاثة كما ذكرها ابن تيمية فقال : (واختلف أصحاب أحمد وغيرهم من المنتسبين إلى السنة والحديث في النزول والإتيان والمجيء وغير ذلك . هل يقال بحركة وانتقال ؟ أم يقال بغير حركة وانتقال ؟ أم يمسك عن الإثبات والنفي ؟ على ثلاثة أقوال ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب (اختلاف الروايتين والوجهين) .

(فالأول) : قول أبي عبد اللّٰه بن حامد وغيره .

(والثاني) : قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته .

(والثالث) : قول أبي عبد اللّٰه بن بطة وغيره)[3] .

وكذلك مسألة خلو العرش فأهل الحديث فيها على ثلاثة أقوال :

(١) منهم من ينكر أن يقال يخلو أو لا يخلو كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني وغيره . وهو قول كثير من أهل الحديث .

(٢) ومنهم من يقول بل يخلو منه العرش وقد صنف عبد الرحمن بن منده مصنفاً في الإنكار على من قال لا يخلو من العرش أو لا يخلو منه العرش .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢ : ٢٥٤) .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢ : ٢٥٧) .

(٣)) مجموع الفتاوى الكبرى (٥ : ٤٠٢) .

(٣) ومنهم من يقول لا يخلو منه العرش مع نـزوله إلى السمـاء الدنيـا ودنوه وقـد رجح ابن تيميـة هذا القـول وقال هـو المأثـور عن سلف الأمة واللّه أعلم[١].

وإثبات النزول على ما يليق باللّه عزّ وجل من غير تشبيه ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تحريف هو مذهب عموم السلف الصالح رضي اللّه عنهم .

قال الإمام ابن خزيمة عند ذكره لـلأحاديث المثبتـة لنزول اللّه تعـالى : (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجـاز والعراق عن النبي صلى اللّه عليـه وسلم في نزول الـرب جلّ وعـلا إلى سماء الـدنيا كـل ليلة . نشهد شهادة مقر بلسانـه مصدق بقلبـه مستيقن بما في هـذه الأخبار من ذكـر نزول الـرب من غير أن يصف الكيفيـة لأن نبيّنا المصـطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنـه ينزل واللّه جـلّ وعلا لم يتـرك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصـدقون بمـا في هذه الأخبـار من ذكر النـزول غير متكلفين القـول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول)[٢] ثم أورد حديث أبي هريرة المشهور من طرق متعددة : (أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليـل الآخر يقـول من يدعـوني فأستجيب لـه من يسألني فـأعـطيـه ومن يستغفرني فأغفر له)[٣] وأورد معه جملة أحاديث تركنا ذكرها للإختصار[٤] .

ونختم هـذه الأقاويـل المبـاركـة بمـا ذكـره شيـخ الإسـلام أبـو عثمـان الصابوني[٥] في كتابه « عقيـدة السلف وأصحاب الحـديث » إذ قال : (فلمـا

---

(١) انظر مجموع الفتاوى الكبرى (٥ : ٤١٤ ـ ٤١٥) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ١٢٥) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات (٤ : ١٠١) .

(٤) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ١٢٦ ـ ١٣٦) .

(٥) هو ابو عثمان الصابوني شيخ الإسلام إسماعيل بن عبد الـرحمن النيسابـوري الشافعي الـواعظ =

صح خبر النـزول عن الرسـول صلى اللّه عليه وسلم أقـرّ به أهـل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولم يعتقـدوا تشبيهاً بنزول خلقه وعلموا وتحققـوا واعتقدوا أن صفـات اللّه سبحانـه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى اللّه عما يقـول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً)[1] .

(٨) حديث خلق اللّه آدم على صورته :

قـال ابـن قتيبـة رحمـه اللّه في حـديث : (خـلق اللّه آدم عـلى صورته)[2]: (والذي عندي واللّه تعالى أعلم ـ أن الصورة ليست بأعجب من اليـدين والأصابـع والعين وإنما وقـع الإلف لتلك لمجيئها في القـرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تـأتِ في القرآن ونحن نؤمن بـالجميع ولا نقـول في شيء منه بكيفية ولا حد)[3] .

وقد انتقد ابن قتيبة من أرجع الضمير في الحديث إلى غيـر اللّه تعالى فقـال : (وقد اضـطرب الناس في تـأويـل قـول رسـول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم : « انـه خلق آدم عليه السـلام على صـورتـه فقـال قـوم من اصحـاب الكلام اراد . خلق آدم على صورة آدم لم يـزد على ذلك . ولـو كان المـراد هـذا ما كـان في الكلام فـائدة . ومن يشـك في أن اللّه تعالى خلق الإنسـان على صورته والسباع على صورها والأنعام على صورها ؟ .

= المفسر المصنف أحد الأعلام . روى عن زاهر السرخسي وطبقته قـال ابن ناصـر الدين كـان إمـاماً حـافظاً عمـدة مقدمـاً في الوعظ والأدب وغيـرهما من العلوم وحفـظه للأحـاديث وتفسير القرآن معلوم ومن مصنفاتـه كتاب الفصـول في الأصول وقـال الذهبي كـان شيخ خـراسان في زمانه وقال البيهقي شيخ الإسلام صدقاً وإمام المسلمين حقاً أبو عثمان الصابوني . تـوفي سنة ٤٤٩هـ وله ٧٧ سنة . انظر شذرات الذهب (٣ : ٢٨٢) .

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١ : ١١٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان (٤ : ٨٥) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢١) .

وقال قوم : إن اللّه تعالى خلق آدم على صورة عنده .

وهذا لا يجوز لأن اللّه عز وجل لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال .

وقال قوم في الحديث : لا تقبحوا الوجه فإن اللّه تعالى خلق آدم على صورته . يريد أن اللّه جلّ وعزّ خلق آدم على صورة الوجه وهذا أيضاً بمنزلة التأويل الأول . لا فائدة فيه والناس يعلمون أن اللّه تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده ووجهه على وجوههم .

وزاد قوم في الحديث أنه عليه السلام مرَّ برجل يضرب وجه رجل آخر فقال : لا تضربه فإن اللّه تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته أي صورة المضروب وفي هذا القول من الخلل ما في الأول)[1] .

وقول ابن قتيبة في هذا الحديث موافق لقول كثير من علماء السلف الصالح رضي اللّه عنهم ومنهم الإمام أحمد بن حنبل فقد روي عنه أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد اللّه أبو العباس الفارسي الأصطخري أنه قال : (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى يومنا هذا وأدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق فكان قولهم أن الإيمان قول وعمل ونية . . . . وقلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد وخلق آدم بيده على صورته . . .)[2] .

وروى أبو جعفر محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي عقيدة أحمد بن حنبل رحمه اللّه وجاء فيها : (. . . وان آدم صلى اللّه عليه وسلم

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢١٩) .

(٢)) طبقات الحنابلة (١ : ٢٥ ـ ٢٩) .

خلق على صورة الرحمن كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .)[1] .

وقد عقد الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري[2] باباً في كتابه الشريعة بعنوان (الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف) وأورد الأحاديث المصرحة بذلك ثم قال : (هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال فيها كيف ولم ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر)[3] .

وقال الإمام ابن بطة[4] ـ عند ذكره لمسائل العقيدة التي يجب الإيمان بها ـ (. . . . ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقاها بالقبول ولا ترد بالمعاريض ولا يقال لم وكيف ؟ ولا تحمل على المعقول ولا تضرب لها المقاييس . . . مثل أحاديث الصفات والرؤية . . . ولا يقبح الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)[5] .

وقد أنكر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله على من قال أن الهاء في قوله على صورته عائدة على آدم فقال في رواية أبي طالب من قال أن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة لآدم قبل أن يخلقه وروى

---

(١) طبقات الحنابلة (١ : ٣١٣) .

(٢) هو محمد بن الحسين بن عبد الله ابو بكر الآجري سمع أبا مسلم الكجي وابا شعيب الحرّاني وخلقاً كثيراً كان ثقة صدوقاً ديناً له تصانيف كثيرة حدث ببغداد وبمكة توفي سنة ٣٦٠هـ .
انظر تاريخ بغداد (٢ : ٢٤٣) .

(٣) الشريعة للآجري (ص ٣١٥) .

(٤) هو الإمام الكبير الحافظ ابن بطة ابو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري الفقيه الحنبلي صنف كتاباً كبيراً في السنة وسمع من خلائق لا يحصون وكان عالماً زاهداً منكراً للمنكر أفتى وعمره خمسة عشر سنة ومصنفاته تزيد على المائة . توفي في المحرم سنة ٣٨٧هـ وعمره ٨٣ سنة . انظر شذرات الذهب (٣ : ١٢٢) .

(٥) الشرح والإبانة عن أصول الديانة لابن بطة (ص ١٠٧) .

ابن مندة عن عبد اللّٰه بن أحمد قال : قال رجل لأبي أن فلاناً يقول في حديث رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم خلق آدم على صورته فقال على صورة الرجل قال أبي كذب هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا وقال في رواية أخرى فأين الذي يروي « أن اللّٰه خلق آدم على صورة الرحمن » وقيل له عن رجل أنه يقول خلقه على صورة الطين فقال هذا جهمي وهذا كلام الجهمية[1] .

وقد شنع ابن خزيمة على من أعاد الضمير في حديث (أن اللّٰه خلق آدم على صورته) إلى اللّٰه تعالى فقال : (توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله على صورته يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر بل معنى قوله خلق آدم على صورته الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم أراد صلى اللّٰه عليه وسلم أن اللّٰه خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب والذي قبح وجهه فزجر صلى اللّٰه عليه وسلم أن يقول ووجه من أشبه وجهك لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم قبح اللّٰه وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحاً وجه آدم صلوات اللّٰه وسلامه عليه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجهه فتفهموا رحمكم اللّٰه معنى الخبر لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال) . وذكر رحمه اللّٰه أن في الحديث الذي رواه الثوري عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر : (أن اللّٰه خلق آدم على صورة الرحمن) ثلاث علل :

(١) أن الثوري خالف الأعمش في إسناده فارسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر .

(٢) أن الأعمش مدلس ولم يذكر أنّه سمعه من حبيب بن أبي ثابت .

---

(١) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢ : ٣١٦) .

(٣) إن حبيب بن أبي ثابت مدلس أيضاً ولم يعلم أنه سمعه من عطاء .

ثم قال فإن صحّ هذا الخبر مسنداً فهو من إضافة الخلق إليه لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذ اللَّه خلقه وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن اللَّه صورها)[١] وقال ابن فورك والمازري والقرطبي ما معناه (إنّ هذا الحديث ليس بثابت عند أهل النقل وكأن من رواه أورده بالمعنى فغلط في ذلك)[٢] .

وقال ابن حجر رحمه الله بعد حكايته لكلام القرطبي والمازري المتقدم آنفاً : (قلت الزيادة ـ يقصد على صورة الرحمن ـ أخرجها ابن أبي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات وأخرجها ابن أبي عاصم من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل قال من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جلّ جلاله)[٣] . وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين[٤] في هذا الحديث : (وصحح إسحاق بن راهويه اللفظ فيه على صورة الرحمن وأما أحمد فذكر أن بعض الرواة وقفه

---

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ٣٧ ـ ٣٩) .

(٢) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص ٦) وصحيح مسلم بشرح النووي (١٦ : ١٦٦) ، فتح الباري (٥ : ١٣٣) .

(٣) فتح الباري (٥ : ١٣٣) .

(٤) هو العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله البابطين من أشهر تلاميذ كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١٩٤هـ وتفقه على مجموعة كبيرة من العلماء من أشهرهم محمد عبد الله بن طراد الدوسري وعبد العزيز بن عبد الله الحصين وحمد بن ناصربن معمر وعبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد ولي قضاء الطائف والوشم والقصيم فترة من الزمن وله مؤلفات قيمة من أشهرها اختصار بدائع الفوائد لابن القيم وحاشية نفسية على شرح منتهى الإرادات ، وتأسيس التقديس في الرد على بن جرجيس وله فتاوى كثيرة مبثوثة في الدرر السنية . انظر علماء نجد للبسام (٢ : ٥٦٧) .

على ابن عمر وكلاهما حجة وروى ابن مندة عن ابن راهويه قال قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أن آدم خلق على صورة الرحمن » وإنما علينا أن ننطق به . قال القاضي أبو يعلى : (والوجه فيه أنه ليس في حملة على ظاهره ما يزيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور كما أطلقنا تسمية ذات ونفس لا كالذوات والأنفس)[1] . وقال الدكتور عبد المحسن التركي - وهو من العلماء المعاصرين - بعد حكايته لقول ابن قتيبة : (أقول ما ذكره ابن قتيبة هو الذي تميل إليه النفس وهو الذي يتمشى مع أصول أهل السنة والجماعة)[2] . قلت قد جاء وصف الله بالصورة في حديث صحيح أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . . . فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه)[3] .

والله سبحانه وتعالى أعلم بما أراد . .

---

(١) الدرر السنية في الاجوبة النجدية (٢ : ٣١٥) .

(٢) أصول الإمام أحمد للتركي هامش(ص٨١) .

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد ١٧٩/٨ .

المبحث الثالث

عقيدته في القضاء والقدر

القضاء والقدر له أربع مراتب فمن لم يؤمن بها جميعاً لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي :

(١) المرتبة الأولى : علم الله بالأشياء قبل كونها بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء .

(٢) المرتبة الثانية : كتابته سبحانه لها قبل كونها ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض أن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير . . ﴾ الحج : ٧٠ .

(٣) المرتبة الثالثة : مشيئته لها فما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن فلا يحدث في السموات ولا في الأرض حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه .

(٤) المرتبة الرابعة : خلقه لها وتكوينها وإيجادها[١] .

وعلى الجملة فالناس في القدر طرفان ووسط . فطرف أثبتوا قدر الله سبحانه وتعالى وغالوا فيه حتى جعلوا العبد مجبوراً على فعله فلم يثبتوا له فعلاً ولا كسباً على الحقيقة بل جعلوه كالريشة في الهواء وجعلوا نسبة الأعمال

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم (ص ٢٩ ـ ٤٩) ، وقارن بشرح الواسطية لمحمد هراس (ص ١٤٠) .

اليه في الكتاب والسنة كنسبتها الى الجماد كما يقال سقط الجدار ونحو ذلك وهؤلاء هم الجبرية. وطرف غالوا في النفي وقالوا لا قدر والأمر أنف وجعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله وهؤلاء هم القدرية وهدى الله أهل الحق وهم السلف الصالح الى طريق الصواب وهو الوسط[1] . ولنذكر الآن موقف ابن قتيبة رحمه الله تعالى من القدر ثم نذكر ردوده على المخالفين ثم نقارن بين موقفه وموقف علماء السلف من القدر .

فهو يقول : (ونحن نعلم أن كل شيء بقدر الله وقضائه غير أنّا ننسب الأفعال الى فاعليها ونحمد المحسن على إحسانه ونلوم المسيء بإساءته ونعتد على المذنب بذنوبه)[2] .

ويقول في موضع آخر من مصنفاته : (وليس لأحد على الله حجة ولا فبله حق ولا فيما خلق شرك بل له الحجة البالغة وهو الفعال لما يريد وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور كيف خلق وكيف قدر وكيف أعطى وكيف منع وأنه لا يخرج من قدرته شيء ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد وأنه لا دين لأحد عليه ولا حق لأحد قبله فإن أعطى فبفضل وإن منع فبعدل وأن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون وأنّ لله لطيفة يبتدى بها من أراد ويتفضل بها على من أحب يوقعها في القلوب فيعود بها الى طاعته ويمنعها من خفت عليه كلمته فهذه جملة ما ينتهي اليه علم ابن آدم من قدر الله عز وجل وما سوى ذلك مخزون عنه)[3] .

وابن قتيبة يرى أن اليقين بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك وليس على أحد النظر في القدر المغيب ولكن عليه العمل بالحزم فيقول (نحن

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم (ص ٣) .
(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٣٦) .
(٣) اختلاف اللفظ (ص ٢٣٢) .

نصدق بالقدر ونأخذ بالحزم)[1] .

وقد تعرض ابن قتيبة للفرق المخالفة ورد عليها من عدة وجوه أغلبها من طريق اللغة لأنها ميدانه الرحيب فانتقد رحمة الله عليه القدرية الذين يجعلون العباد يفعلون ما لا يشاء الله فقال ما معناه : (فإن القدرية قالوا في قوله تعالى : ﴿ يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ النحل : ٩٣ . أي ينسبهم الى الضلال وينسبهم الى الهداية فيتساءل ابن قتيبة متهكماً بهذا التفسير : (وما في نسبتهم الى ذلك حتى يعيد ويبدي ولو أراد النسبة لقال يضللهم كما يقال يخونهم ويفسقهم ويظلمهم أي ينسبهم الى ذلك ونحن لا نعرف في اللغة افعلت الرجل نسبته وإنما يقال إذا أردت هذا المعنى فعلت تقول شجعت الرجل وجبنته وسرقته وخطأته ولا يقال في شيء من هذا كله أفعلته وأنت تريد نسبته الى ذلك)[2] .

ويتعرض ابن قتيبة رحمه الله للقدرية في بعض آيات القرآن التي فسروها بما يوافق مذهبهم فينقض قولهم ومن ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلاّ بإذن الله ﴾ آل عمران : ١٤٥ ، قالوا فيها أي ما كان لها أن تؤمن إلا بعلم الله وعلموا ما يلزمهم أن جعلوا الأذن هنا المشيئة والإطلاق وذهبوا الى قول القائل أذنتك بالأمر أي أعلمتك وقد رد عليهم ابن قتيبة فقال لم يقل أحد من الناس أن شيئاً يحدث في الأرض لا يعلمه الله حتى يقول وما كان لنفس أن تؤمن إلاّ بعلم الله وإنما اختلفوا في الإذن الذي هوالمشيئة والإطلاق فقال المثبتون لم يشأ الله أن يؤمن جميع الناس ولو شاء لآمنوا فليس لنفس أن تؤمن حتى يشاء الله ذلك ويطلقه .

وقال أهل القدر قد شاء الله هذا لكل نفس وأطلقه فلها أن تؤمن إن شاءت وفي صدر هذا الكلام دليل على ما قال أهل الإثبات لأن النبي صلى

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٣٠) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٢٦) وقارن بتأويل مشكل القرآن (ص ١٢٤) .

الله عليه وسلم كان يحب إيمان قريش فأنزل الله عليه : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . . ﴾ يونس : ٩٩ . ثم قال على أثر ذلك وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله يريد بمشيئته وإطلاقه فأول الكلام دليل على آخره والناس مجمعون لا يختلفون على أن القائل إذا قال لو شئت لأتيتك أنه لم يشأ إتيانه ولو شئت لحججت أنه لم يشأ الحج ولو شئت لتزوجت أنه لم يشأ التزوج فكذلك يلزم في لو شاء الله لهدى الناس جميعاً وفي قوله ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها وأما اللغة فإنه لا يجوز فيها أن يجعل الإذن العلم فإن الإذن في الشيء أن تشاءه تقول : (أذنت له في الخروج إذناً) هذا ما ليس به خفاء على من نظر في اللغة وفهمها[1] . ومن ذلك قول الله عزّ وجل : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً . . ﴾ الأنعام : ١٤٥ جعل القدرية الإرادة في الهداية والإضلال للعبد لا لله وقد رد ابن قتيبة عليهم فقال : (قد ركبوا في ذلك أفحش غلط وأحول كلام والإرادة لا تجوز أن تكون للعبد وقد وليها إسم الله وهو مرفوع بإجماع القراء)[2] ومن ذلك قول الله عزّ وجل : ﴿ وقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس . . ﴾ الأعراف : ١٧٩ ، فقد فسر القدرية ذرأنا بمعنى دفعنا وألقينا لكي يصح مذهبهم وقد رد ابن قتيبة عليهم من طريق اللغة أيضاً فقال : (هذا جهل باللغة فلا يجوز أن يكون ذرأنا في هذا الموضع إلاّ خلقنا كما قال : ﴿ ذرأكم في الأرض . . ﴾ المؤمنون : ٧٩ ، وقال : ﴿ يذرؤكم فيه . . ﴾ الشورى : ١١ ، أي يخلقكم في الرحم[3] . ومثل هذه الآيات المتقدمة كثير قد حرفها القدرية لكي توافق مذهبهم وقد تتبعهم علماء السلف وأبطلوا تحريفاتهم الزائفة وعلى رأسهم ابن قتيبة فقد خصص جانباً كبيراً من كتابيه الجليلين

---

(١) اختلاف اللفظ (ص ٢٢٧) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٢٨) .

(٣) بتصرف من اختلاف اللفظ (ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

تأويل مشكل القرآن وغريب القرآن لـدحض تفسيراتهم المنحـرفة وكـذلك في كتابه إختلاف اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة عند ذكره للقـدرية فقـد ذكر كثيراً من الآيات التي حرفوا تفسيرها إذ يقـول : (وشيء لم نزل نسمعـه منهم على قـديم الأيام قـد ارتضوه لأنفسهم ودونـوه في كتبهم وأجمع عليـه عالمهم وجاهلهم وكهلهم وحدثهم في تأويل قول الله عزّ وجل : ﴿ أفرأيت من اتخـذ الهـه هـواه وأضله الله على علم وختم على سمعـه وقلبـه وجعـل على بصـره غشـاوة فمن يهديـه من بعد الله أفـلا تذكـرون . . ﴾ الجاثيـة : ٢٣ ، وقولـه تعالى : ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون . . ﴾ يس : ٩ ، وقـولـه تعـالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصـارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . . ﴾ البقرة : ٧ ، وأشباه هذا أنه حكم عليهم فإذا نحن تدبرنا هذا التأويل وقابلنا به التنزيل لم نجد هذا المتأول حمل كتاب الله على مثل هذه التأويلات إلا لإقامة مذهبه وحـاول بعضهم إبدال بعض حـروفه بغيرها فقرأ : ﴿ عذابي أصيب بـه من أشاء . . ﴾ الأعـراف : ١٥٦ ، بالسين غير المعجمة والنصب . وقرأ جميع ما في القرآن المخلصين بكسر اللام يريد أن يجعل الإخلاص لهم وألا يكـون لله في ذلك صنـع . فكيف يصنع بقـوله تعالى : ﴿ إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الـدار . . ﴾ ص : ٤٦ ، وقد حمـل بعضهم نفسـه على أن قرأ : ﴿ ليـزدادوا إيمـانـاً ﴾ في قـولـه تعـالى : ﴿ ولا يحسبنَّ الـذين كفـروا إنّمـا نملي لهم خيـر لأنفسهم إنمـا نملي لهم ليـزدادوا إثمـاً . . ﴾ آل عمران : ١٧٨ ، وألحقهـا في بعض المصاحف طمعـاً في أن تبقى على الـدهـر ويجعلهـا النـاس وجهـاً وكيف لـه مـا قـدر والله يقـول الى جنبهـا : ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ آل عمـران : ١٧٨[١] . وكما بين ابن قتيبـة رحمه الله فساد مذهب القدرية بين فساد مـذهب الجبريـة فقال : (ولمـا رأى قوم من أهل الإثبات إفراط هؤلاء في القدر وكثر بينهم التنـازع حملهم البغض

---

(١) اختلاف اللفظ (ص ٢٣٠) .

لهم واللجاج على أن قابلوا غلوهم بغلو وعارضوا افراطهم بإفراط فقالوا بمذهب جهم[1] في الجبر المحض وجعلوا العبد المأمور المنهي المكلف لا يستطيع من الخير والشر شيئاً على الحقيقة ولا يفعل شيئاً على الصحة وذهبوا الى أن كل فعل ينسب إليه فإنّما ينسب إليه على المجاز كما يقال في الموات مال الحائط وإنما يراد أميل وذهب البرد وإنما ذهب به . وكلا الفريقين غالط وعن سواء الحق حائد)[2] .

وابن قتيبة رحمه الله لم يطل في الرد على الجبرية كما فعل مع القدرية مع العلم أن قول الجبرية أخبث من قول القدرية لأن قولهم ينبني عليه إسقاط التكاليف الشرعية وإنما ألمح الى ذلك بإشارات وهي أن الله قد أمر العبد ونهاه وكلفه ونسب الأعمال إليه فدل على أن له فعلاً على الحقيقة وأنه يستطيع الفعل والترك ولولا ذلك لما أمره ونهاه وسقوط مذهب الجبرية لا يحتاج الى الإطالة في الرد عليه لأن الإنسان يشعر من نفسه الإختيار ويفرق بين الأمور الاضطرارية كنبض العروق وارتعاش اليد وبين الأمور الإختيارية وأنه يستطيع أن يفعلها أو يمتنع عنها وأن جعل الإنسان كالريشة في الهواء مكابرة للعقول[3] . وهذا الإعتقاد من ابن قتيبة في باب قدر الله تعالى هو اعتقاد السلف الصالح بحمد الله تعالى ولنذكر الآن معتقد السلف في القدر كما رواه عنهم ابن القيم وابن تيمية ليظهر للقارىء انطباق قول ابن قتيبة على

---

(١) هو جهم بن صفوان مولى بني راسب أبو محرز السمرقندي . كان كاتباً للحارث بن سريج الذي خرج في خراسان على الخلافة الأموية سنة ١٢٨هـ وقد تتلمذ على الزنديق جعد بن درهم الذي ابتدع القول بخلق القرآن واليه تنسب الجهمية يقول عنه الذهبي: (جهم بن صفوان ابو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً) انظر ميدان الاعتدال : (١ : ٤٢٦) ، البداية والنهاية (١٠ : ٢٦) .

(٢) اختلاف اللفظ (ص ٢٣١) .

(٣) انظر ان شئت التوسع في الرد على القدرية والجبرية شفاء العليل لابن القيم والجزء الثامن من الفتاوي الكبرى لابن تيمية .

قولهم حذو القذة بالقذة .

يقول ابن القيم : (وأما حزب الله ورسوله وأنصار سنته . . . فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ومشيئته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنه لا يشاؤون إلا أن يشاء الله ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه)[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد . وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ما يصيرون اليه من سعادة وشقاوة . فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابه إياها قبل أن تكون . . . وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده . . . ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ـ مع ايمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يضل من

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (ص ١١٥) .

يشاء ويهدي من يشاء ـ أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقـدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قـولهم أن العبـاد لا يشـاؤون إلا أن يشـاء الله . . . والقـرآن قد أخبـر بـأن العبـاد يؤمنـون ويكفـرون ويفعلون ويعملون ويكسبـون ويطيعون ويعصون ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون ويعتمرون ويقتلون ويزنون ويسرقون فلم يكن من السلف والأئمة من يقول أن العبـد ليس بفاعـل ولا مختار ولا مريد ولا قادر ولا قال أحد منهم أنه فاعل مجازاً بل متفقون على أن العبد فاعل حقيقة والله خالق ذاته وصفاته وأفعاله)[1] .

---

(١) الفتاوى الكبرى (٨ : ٤٥٠ ـ ٤٥٨) .

المبحث الرابع

عقيدته في النبوات

(١) عصمة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم :

الناس في العصمة على مذاهب متعددة :

(١) ففريق أجازوا وقوع الكبائر بل والكفر من الأنبياء عليهم السلام وهم الفضيلية من الخوارج ومن نحا نحوهم .

(٢) وفريق يرى وجوب العصمة للأنبياء من الكبائر والصغائر مطلقاً وهم أكثر المتكلمين من معتزلة وأشاعرة وشيعة غير أن الشيعة يجوزون وقوع المعاصي من الأنبياء تقية .

(٣) وفريق يرون أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكفر والكبائر وفي كل ما يتعلق بالتبليغ وصغائر الخسة كسرقة لقمة ويجوزون ما عدا ذلك من صغائر الذنوب والسهو والنسيان غير أنهم يقولون أن الأنبياء عليهم السلام لا يقرون على خطأ وإذا وقع منهم ذنوب فإنهم يتوبون منها ويحصل لهم بالتوبة خير كثير وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة[١] .

---

(١) انظر الشفاء للقاضي عياض (٢ : ٣٢٧) وقارن بما في كتاب عصمة الأنبياء للدكتور محمد الحديدي (ص ١٢١) وصحيح مسلم بشرح النووي (٣ : ٥٣) ، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ١٣٠) .

وابن قتيبة رحمه اللّه تعالى يقر بعصمة الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم ويجوز وقوع بعض الذنوب منهم لورود ذلك في كتاب اللّه تعالى وفي سنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم ولا يتحرج من إطلاق ما أطلقه اللّه على بعض الأنبياء من الخطأ والعصيان كما يفعل بعض أهل التأويل الذين وصل بهم الغلو في العصمة إلى إنكار ما يثبت في الكتاب والسنة من وقوع بعض الذنوب من الأنبياء والتماس المخارج الهزيلة التي لا تصح في لغة ولا معقول . ويدل على اعتقاد ابن قتيبة لعصمة الأنبياء من الشرك والكبائر قوله في الرد على من ظن أن إبراهيم عليه السلام لما قال للكوكب (هذا ربي) كان يتكلم عن اعتقاده في قرارة نفسه : (ومن الناس من يذهب إلى أن إبراهيم صلى اللّه عليه وسلم كان في تلك الحال على ضلال وحيرة وكيف يتوهم ذلك على من عصمه اللّه وطهره في مستقره ومستودعه واللّه سبحانه يقول : ﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ أي لم يشرك به قط . ويقول في صدر الآية : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . . ﴾ الانعام : ٧٥ ، ثم قال إثر ذلك : ﴿فلما جن عليه الليل . . ﴾ الانعام : ٧٦ ، فروى أنه رأى في الملكوت عبداً على فاحشة فدعا الله عليه ثم رأى آخر على فاحشة فدعا الله عليه فقال له الله يا ابراهيم اكفف دعوتك عن عبادي فإن عبدي بين خلال ثلاث إما أن أخرج منه ذرية طيبة أو يتوب فاغفر له أو النار من ورائه[1] . أفترى اللّه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكباً فقال هذا ربي على الحقيقة والاعتقاد . .)[2] .

وابن قتيبة يجوز النسيان على الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم فيقول : (. . . والنبي صلى اللّه عليه وسلم نفسه ربما سها وكان ينسى الشيء من القرآن حتى قال اللّه تعالى : ﴿ سنقرئك فلا تنسى . . ﴾ الأعلى : ٦ ، وقبل الفدية في يوم بدر فنزل : ﴿ لولا كتاب من اللّه سبق لمسكم فيما

---

(١) روى هذا الأثر ابن جرير الطبري باختلاف يسير من ثلاث طرق (٧ : ١٦١) .

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص ٣٣٨) .

أخذتم عذاب عظيم . . ﴾ الأنفال : ٦٨ ، وقال : لو نزل عذاب ما نجا إلاَّ عمر وذلك لأنه أشار عليه بالقتل وترك أخذ الفداء وأراد يوم الأحزاب أن يتقي المشركين ببعض ثمار المدينة حتى قال له بعض الأنصار ما قال[١] وكاد يجيب المشركين إلى شيء مما أرادوه يتألفهم بذلك فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً . . ﴾ الإسراء : ٧٤ ، ٧٥ ، وهكذا الأنبياء المتقدمون عليهم السلام في السهو والنسيان وتعداد هذا يطول ويكثر وليس به خفاء على من علمه)[٢] .

وقد انتقد ابن قتيبة رحمه اللَّه بعض أهل الكلام الذين يحرفون النصوص الشرعية لكي توافق ما ذهبوا إليه من عصمة الأنبياء من كل صغيرة وكبيرة على الإطلاق قائلاً : (يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً ويحملهم التنزيه لهم صلوات اللَّه عليهم على مخالفة كتاب اللَّه جلّ ذكره واستكراه التأويل وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة)[٣] ويبين جانباً من تحريفاتهم ويرد عليهم فمن ذلك تأويلهم قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى . . ﴾ طه : ١٢١ ، أي بشم من أكل الشجرة[٤] وذهبوا إلى قول العرب غوى الفصيل . ويرد عليهم بأن غوى في الآية بفتح الواو يغوي غياً . أما البشم فهو من غَوِي بكسر الواو يغوي غوي ويسخر منهم في تحريفهم هذا فيقول : (. . ولو وجد أيضاً في عصى مثل هذا السنن لركبوه وليس في غوى شيء إلاَّ ما في عصى من معنى الذنب لأن

---

(١) ملخص القصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد الصلح مع غطفان بثلث ثمار المدينة ويرجعوا عن الحرب مع الأحزاب فرفض سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ذلك لما عرفا أنه مجرد رأى لا وحياً إلّهياً ، الروض الأنف للسهيلي (٣ : ٢٦٢) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥٨ ، ١٥٩) .

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٢) .

(٤) ذكر هذا القول الشوكاني في فتح القدير (٣ : ٣٩٠) ولم ينسبه لأحد .

العاصي للّه التارك لأمره غاوٍ في حاله تلك والغاوي عاصٍ والغي ضد الرشد كما أن المعصية ضد الطاعة وقد أكل آدم صلى اللّه عليه وسلم من الشجرة التي نهي عنها باستزلال إبليس وخدائعه إياه باللّه والقسم به أنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء اللّه . فنحن نقول عصى وغوى كما قال اللّه تعالى ولا نقول آدم عاصٍ ولا غاوٍ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدمٍ ولا نية صحيحة كما تقول لرجل قطع ثوباً وخاطه قد قطعه وخاطه ولا تقل خائط ولا خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به[1] .

ومن ذلك تأويلهم لقوله تعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها ﴾ يوسف : ٢٤ ، أنها همت بالمعصية وهم هو بالفرار منها وقال بعضهم وهم بضربها . ويتعجب ابن قتيبة من هذا التأويل قائلاً أن اللّه تعالى يقول : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه . . ﴾ يوسف : ٢٤ ، أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها . . هذا ما ليس به خفاء ولكنها همت منه بالمعصية هم نية واعتقاد وهم نبي اللّه صلى اللّه عليه وسلم هماً عارضاً بعد طول المراودة وعند حدوث الشهوة التي أتى أكثر الأنبياء في هفواتهم منها وقد روي في الحديث أنه ليس من نبي إلّا وقد أخطأ أو هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا عليهما السلام لأنه كان حصوراً لا يأتي النساء ولا يريدهن[2] . فهذا يدلك على أن أكثر زلات الأنبياء من هذه الجهة وإن كانوا لم يأتوا في شيء منها فاحشة بنعم اللّه عليهم ومنه فإن الصغير منهم كبير لما أتاهم اللّه من المعرفة واصطفاهم له من الرسالة وأقام عليهم من

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٣) .

(٢) رواه ابن كثير في تفسيره عن ابن ابي حاتم مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم وموقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص وقال أن الموقوف أقوى إسناداً من المرفوع بل في صحة المرفوع نظر .

تفسير ابن كثير (٢ : ٣١) .

الحجة ولذلك قال يوسف صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء . . ﴾ يوسف : ٥٣ ، (يريد ما أضمره وحدث، به نفسه عند حدوث الشهوة وقد وضع اللَّه الحرج عمن هم بخطيئة ولم يعملها)[١] .

ومن ذلك تأويلهم قوله تعالى : ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً ﴾ الأنبياء : ٨٧ ، أنه غاضب قومه إستيحاشاً من أن يكون مع تأييد اللَّه وعصمته وتوفيقه وتطهيره يخرج مغاضباً لربه[٢] . وينقض ابن قتيبة هذا التأويل بقوله : (فإن كان نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ذهب مغاضباً على قومه قبل أن يؤمنوا فإنما راغم من استحق في اللَّه أن يراغم وهجر من وجب أن يهجر واعتزل من علم أن قد حقت عليه كلمة العذاب فبأي ذنب عوقب بالتهام الحوت والحبس في الظلمات والغم الطويل ؟ وما الأمر الذي ألام فيه فنعاه اللَّه عليه إذ يقول : ﴿ فالتقمه الحوت وهو مليم ﴾ا لصافات : ١٤٢ ، والمليم الذي أجرم جرماً استوجب به اللوم ولم أخرجه من أولي العزم من الرسل حين يقول لنبيه صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت . . ﴾ ق : ٤٨ . وان كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا فهذا أغلظ مما أنكروا وأفحش مما استقبحوا كيف يجوز أن يغضب علّى قومه حين آمنوا ولذلك انتجب وبه بعث وإليه دعا . .) .

ويبين ابن قتيبة الذنب الذي ارتكبه نبي اللَّه يونس فيقول : (فكان نبي اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لما أخبرهم عن اللَّه أنه منزل العذاب عليهم لأجل ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم خشي أن ينسب إلى الكذب ويعير به ويحقق عليه لا سيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه فدخلته الأنفة والحمية وكان مغيظاً بطول ما عاناه من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر اللَّه مشتهياً لأن ينزل بأس اللَّه بهم هذا إلى

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٥) .

(٢) انظر تفسير الطبري (١٧ : ٦١) .

ضيق صدره وقلة صبره على ما صبر على مثله أولو العزم من الرسل وقد روي في الحديث أنه كان ضيق الصدر فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل[1] فمضى على وجهه مضي الآبق الناد يقول اللّه سبحانه : ﴿ وان يونس لمن المرسلين إذ أبقّ إلى الفلك المشحون . . ﴾ الصافات : ١٤٠ ، فعاقبه اللّه عن حميته وأنفته وإباقته وكراهيته العفو عن قومه وقبول إنابتهم بالحبس له والتضييق عليه في بطن الحوت)[2] وكذلك يرد ابن قتيبة على الذين ينكرون أن يكون رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد سحر ظناً منهم أن ذلك ينافي العصمة ويطعنون في النصوص المثبتة لذلك فيقول : (. . . وليس هذا مما يجتر الناس به إلى أنفسهم نفعاً ولا يصرفون عنها ضراً ولا يكسبون به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثناء ومدحاً ولا حملة هذا الحديث كذابين ولا متهمين ولا معادين لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وما ينكر أن يكون لبيد بن الأعصم هذا اليهودي سحر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وقد قتلت اليهود قبله زكريا بن إذن في جوف شجرة قطعته قطعاً بالمناشير وقتلت بعده إبنه يحيى بقول بغي واحتيالها في ذلك[3] وقتلت الأنبياء وطبختهم وعذبتهم بألوان العذاب ولو شاء اللّه جلّ وعز لعصمهم منهم وقد سم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في ذراع شاة مشوية سمته يهودية[4] والسحر أيسر خطباً من القتل والطبخ والتعذيب)[5] .

وما يعتقده ابن قتيبة رحمه اللّه تعالى في باب عصمة الأنبياء هو ما عليه جمهور السلف الصالح . يقول ابن تيمية : (والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى أنه

---

(١) روى هذا الأثر ابن جرير الطبري عن وهب بن منبه (١٧ : ٦١) .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٥ ـ ٤٠٩) ، تفسير الطبري (١٧ : ٦١) .

(٣) انظر قصص الأنبياء للنجار (ص ٣٦٨ ، ٣٦٩) حول مقتلهما عليهما السلام .

(٤) البخاري كتاب المغازي (٣ : ٥٦) .

(٥) بتصرف من تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٠ ، ١٨١) .

قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلّا ما يوافق هذا القول)[1] .

ويقول أيضاً في موضع آخر : (السلف متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن اللّه تعالى . . . ومتفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً ولا على فسق ولا كذب ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن اللّه تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون أنهم معصومون من الإقرار عليها . . . وأما النسيان والسهو في الصلاة فذلك واقع منهم وفي وقوعه حكمة استنان المسلمين بهم كما روي في موطأ مالك إنما أنسي أو أنسى لا سن)[2] . وروى البخاري في صحيحه قال : حدَّثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : قال عبد اللّه صلَّى النبي صلّى اللّه عليه وسلم قال إبراهيم : لا أدري زاد أو نقص فلما سلَّم قيل له : يا رسول اللّه أحدث في الصلاة شيء قال : وما ذاك قالوا : صليت كذا وكذا فثنى رجله واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلَّم فلما أقبل علينا بوجهه قال إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحرّ الصوابِ فليتم ثم يسلم ثم يسجد سجدتين[3] . وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث فيه دليل على جواز وقوع السهو من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأفعال قال ابن دقيق العيد وهو قول عامة العلماء والنظّار وشذَّت طائفة فقالوا لا يجوز على النبي السهو وهذا الحديث يرد عليهم لقول النبي صلى اللّه عليه وسلم فيه أنسى كما تنسون ولقوله فإذا نسيت فذكروني أي بالتسبيح)[4] . ويقول ابن القيم رحمه اللّه

---

(١) الفتاوى الكبرى (٤ : ٣١٩) .

(٢) منهاج السنة النبوية (١ : ١٣٠) والحديث رواه مالك في الموطأ (ص ٧٦) .

(٣) صحيح البخاري ـ كتاب الصلاة (١ : ٨٢) . (٤) انظر فتح الباري (١ : ٤٢٢) .

عن حديث سحر النبي صلى اللَّه عليه وسلم : (وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيحه ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء أعلم بأحوال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلَّم والأمة من المتكلمين وقد أجاب ابن القيم على شبه أهل الكلام ـ القائلين بأنه لو ثبتَ أن الرسول صلَّىٰ اللَّه عليه وسلم سحر لكان تصديقاً للكفار القائلين ﴿ أن تتبعون إلَّا رجلاً مسحوراً . . ﴾ الإسراء : ٤٧ ، وإن السحر يحطُّ منصب النبوة وتجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ـ بكلام نفيس ملخصه أن السحر الذي أصاب الرسول صلَّىٰ اللَّه عليه وسلم مرض من الأمراض عارض شفاه اللَّه منه ولا نقص في ذلك فإن المرض يجوز على الأنبياء وكذلك الإغماء وهذا من البلاء الذي يزيده اللَّه به رفعة في درجاته وأشد الناس بلاء الأنبياء وقول الكفَّار أن تتبعون إلَّا رجلاً مسحوراً أي سحر حتى جنَّ فكأنهم قالوا أن تتبعون إلَّا رجلاً زائل العقل لا يعقل ما يقول وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان وإنما قذفوهم بما يحذِّرون به سفهاءهم من أتباعهم وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين[١] . أما قولهم بأنه لو ثبت سحر الرسول صلَّىٰ اللَّه عليه وسلم لما وثق بالشريعة فهو قول باطل يدل على جهلهم بمقصود الرسالة وجهلهم بمواضع الإجماع ـ فقد أجمع المسلمون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن اللَّه وأجمعوا بأنه لا يجوز أن يستقر في الشريعة شيء من الخطأ)[٢] .

وليس مع من خالف السلف وادعى العصمة للأنبياء من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها دليل بل القرآن محشو من الدلائل على وقوع الذنوب منهم

---

(١) ملخصاً من تفسير المعوذتين لابن القيم (ص ٣٢ ـ ٣٦) .

(٢) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١ : ١٣٠) .

صلّىٰ اللّه عليهم وسلم كقوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى . . ﴾ طه : ٢١ ، وقوله عن موسى عليه السلام : ﴿ ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾ القصص : ١٦ ، وقول يونس عليه السلام : ﴿ لا إلٰه إلَّا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين . . ﴾ الأنبياء : ٨٧ وقول نوح عليه السلام : ﴿ وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين . . ﴾ هود : ٤٧ ، وقوله عن آدم عليه السلام : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا . . ﴾ الآية ، الأعراف : ٢٣ ، وقول إبراهيم عليه السلام : ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين . . ﴾ الشعراء : ٨٢ وقوله عن داود عليه السلام : ﴿ فاستغفر ربه . . ﴾ الآية ، ص : ٢٤ ، وقول موسى عليه السلام : ﴿ ربي اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك . . ﴾ الأعراف : ١٥١ ، وقوله عن نبيه محمد صلَّىٰ اللّه عليه وسلم : ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾ وقوله : ﴿ ليغفر لك اللّه ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر . . ﴾ الفتح : ٢ .

واللّه تعالى أعلم . .

(٢) معجزات النبي صلّى الله عليه وسلّم :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى له كتاب في معجزات النبي صلّى الله عليه وسلم لم يعثر عليه كما مرَّ معنا في مؤلفاته وغالباً أنه استقصى فيه جميع المعجزات النبوية أما في مؤلفاته التي بين أيدينا فقد تكلم عن الإسراء وشكوى البعير إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وحادثة انشقاق القمر بعبارة موجزة فهو ينتقد الذين يجعلون الإسراء بالروح دون الجسد قائلاً : « وكيف يكون ذلك كما تأولوا والله جلّ وعز يقول : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾ الآية . الإسراء : ١ ، وهذا لا يجوز أن يتأول فيه هذا التأويل ونحن نعوذ بالله أن نتعسف فنتأول فيما يجعله الله فضيلة لمحمد صلّى الله عليه وسلم ونحن نسلّم للحديث ونحمل الكتاب على ظاهره »[1] .

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢١٧) .

وحديث الإسراء مجمع على صحته وقد رواه البخاري وغيره وقد تركت إيراده لشهرته وطوله[1] .

ويقول رحمه الله عندما ذكر حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه دخل يوماً حائش نخل فرأى بعيراً فلما رآه البعير حنَّ وذرفت عيناه فمسح النبي صلّى الله عليه وسلّم سراته وذفراه فسكن فقال لصاحبه أحسن إليه فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه[2] (ومن الناس من يرى أن شكوى البعير لرسول الله صلّى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيَّن أثر الضرب والإتعاب فقضى عليه بأنه لو كان متكلماً لاشتكى ما ذكر يذهب إلى قول عنترة في فرسه :

فأزور من وقع القنا بلبانه وشكا الي بعبرة وتحمم

وهذا تعسف في القول وبخس لعلم النبوة فلو كان الأمر على ما ذكر لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم فضل على غيره في هذا الخبر لأن الناس قد يفهمون عن البهائم من هذا الوجه والقول في هذا أن الله جلّ وعزّ أفهمه عن البعير من الوجه الذي أفهم به سليمان عليه السلام كلام النمل والنمل مما لا يصوّت ومن الوجه الذي يتفاهم منه البهائم وليس شكوى البعير بأعجب من قصده إليه بالحنين وذروف العين[3] .

ويقول أيضاً (أن من حمل أمر الدين على ما شاهد فجعل البهيمة لا تقول والطائر لا يسبح والبقعة من الأرض لا تشكو إلى أختها والذباب لا يعلم موضع السم وموضع الشفاء واعترض على ما جاء في الحديث مما لا يفهمه فقال كيف يكون قيراط مثل أحد وكيف يتكلم بيت المقدس وكيف يأكل الشيطان بشماله ويشرب بشماله وأي شمال له وكيف لقي آدم موسى

---

(١) انظر صحيح البخاري (٢ : ٣٢٨) باب حديث الإسراء .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه (١ : ٢٠٥) .

(٣) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (١ : ٤٣٨) .

صلّى الله تعالى عليهما وسلم حتى تنازعا في القدر وبينهما أحقاب وأين تنازعا . فإنه منسلخ من الإسلام معطّل غير أنه يستتر بمثل هذا وشبهه من القول واللغو والجدال . ودفع الأخبار والآثار مخالف لما جاء به الرسول صلّى الله عليه وسلم ولما درج عليه الخيار من صحابته والتابعون ومن كذّب ببعض ما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان كمن كذّب به كله . . . وما علمت أحداً ينكر هذا إلا قوماً من الدهرية وقد أتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية)[1] .

وقد ذكر ابن قتيبة عن النظام المعتزلي أنه أنكر انشقاق القمر في زمن النبي صلّى الله عليه وسلم وأكذب ابن مسعود لروايته لهذا الحديث وقال فكيف لم تعرف العامة بذلك ولم يؤرخ الناس بذلك العام ولم يذكره شاعر ولم يسلم عنده كافر ولم يحتجّ . مسلم على ملحد ثم ردَّ عليه بقوله :(وهذا ليس بإكذاب لابن مسعود ولكنه بخس لعلم النبوة وإكذاب للقرآن العظيم لأن الله تعالى يقول : ﴿ إقتربت الساعة وانشق القمر . . ﴾ القمر : ١ ، فإن كان القمر لم ينشق في ذلك الوقت وكان مراده سينشق القمر فيما بعد فما معنى قوله : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . . ﴾ القمر : ٢ ، بعقب هذا الكلام . أليس فيه دليل على أن قوماً رأوه منشقاً فقالوا هذا سحر مستمر من سحره وحيلة من حيله كما كانوا يقولون في غير ذلك من أعلامه)[2] . وما يعتقده ابن قتيبة رحمة الله عليه فيما ذكره من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يعتقده السلف الصالح يقول ابن كثير رحمه الله تعالى : والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا مناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق فلما انتهى الى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلّى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى المعراج فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢٩) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٢١ ـ ٢٥) .

بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها وسلم عليه الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتهما صلى الله عليه وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام . . . . واختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه وروحه او بروحه فقط على قولين . فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناماً ولا ينكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعده يقظة لأنه عليه السلام كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ولو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم وايضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال : ﴿ أسرى بعبده ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس . . ﴾ الإسراء : ٦٠ ، قال ابن عباس : (هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري[١] . وقال تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان وإنّما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها الى مركب تركب عليه)[٢] . وقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[٣] .

وروى عن عبد الله بن مسعود وابن عباس نحو هذا[٤] . ومن طريق

---

(١) انظر صحيح البخاري (٢ : ٣٢٨) باب حديث الإسراء .

(٢) تفسير ابن كثير (٥ : ٤٠ ، ٤١) .

(٣) صحيح البخاري (٢ : ٢٨٦) باب سؤال المشركين ان يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم إنشقاق القمر .

(٤) المصدر السابق .

أخرى عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حرّاء بينهما[1] .

وقال القاضي عياض : (أخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وقد روى انشقاق القمر من الصحابة ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي بن أبي طالب وجبير بن مطعم)[2]

وبهذا يتبين للقارىء الكريم أن ابن قتيبة رحمه الله تعالى لم . ذ في باب النبوات بشيء عن معتقدات السلف الصالح وأنه موافق لهم وداع الى منهجهم ومنافح عن الحق بلسانه وقلمه .

---

(١) صحيح البخاري باب إنشقاق القمر (٢ : ٣٢٤) .

(٢) الشفاء للقاضي عياض (١ : ٥٤٣) .

المبحث الخامس

عقيدته في السمعيات

(١) السحر :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يعتقد بإثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة فقد ذكره الله في كتابه وذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الصحاح وشاهده كثير من العقلاء في أنفسهم وفي أولادهم . يدل على هذا قوله ـ في رده على المنكرين بأن للسحر حقيقة ـ : (وذهبوا في السحر إلى أنه حيلة يصرف بها وجه المرء عن أخيه ويفرق بها بين المرء وزوجه كالتمائم والكذب ومنه السم يسقاه الرجل فيقطعه عن النساء ويغير خلقه وينتر شعره ولحيته وإلى أن سحرة فرعون خيلوا لموسى صلى الله عليه وسلم ما أروه قالوا ومثل ذلك أنا نأخذ الزئبق فنفرغه في وعاء كالحية ثم نرسله في موضع حار فينساب إنسياب الحية . . . . . ونحن نقول أن الذي يذهب هذا مخالفٌ للمسلمين واليهود والنصارى وجميع أهل الكتب ومخالف للأمم كلها . الهند وهي أشدها إيماناً بالرقى والروم والعرب في الجاهلية وفي الإسلام ومخالف للقرآن معاند له بغير تأويل لأن الله جلّ وعزّ قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد﴾ فأعلمنا أن السواحر ينفثن في عقد يعقدنها لما يتفل الراقي والمعوذ ولعَن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة . يعني بالعاضهة الساحرة وبالمستعضهة التي تسألها أن

تسحر لها . وقال الشاعر : (أعوذ بربي من النافثات في عقد العاضة المعضة . يعني السواحر . وقد روى ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ـ وهذا طريق مرضي صحيح ـ أنه قال حين سحر جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما ما وجع بالرجل ؟ قال مطبوب . فقال من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم قال في أي شيء ؟ قال في مشط ومشاطه وجف طلعة ذكر قال وأين هو ؟ قال في بئر ذي أروان[1] . . . . . . قال أبو محمد وهذا شيء لم نؤمن به من جهة القياس ولا من جهة العقل وإنّما آمنا به من جهة الكتب وأخبار الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وتواطؤ الأمم في كل زمان عليه خلا هذه العصابة التي لا تؤمن إلا بما أوجبه النظر ودل عليه القياس فيما شاهدوا ورأوا)[2] . وما يعتقده ابن قتيبة في باب السحر هو ما عليه علماء السلف الصالح . يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :(وقد دل قوله تعالى : ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ وحديث عائشة في سحر النبي صلى الله عليه وسلم على تأثير السحر وأن له حقيقة وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وقالوا أنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد وقالوا إنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وما يعرفه عامة العقلاء والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وعقداً وحباً وبغضاً ونزيفاً وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس وكثير منهم قد علمه ذوقاً بما أصيب به منه . . . . وأما ما يقوله المنكرون من أن سحرة فرعون فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها مثل الزئبق وغيره حتى سعت فهذا باطل من وجوه كثيرة فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالاً بل حركة حقيقية . ولم يكن ذلك سحراً لأعين الناس ولا يسمى ذلك سحراً بل صناعة من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب السحر (٤ : ٢٠) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٧٩ ، ١٨٧) وقارن بما في تأويل مشكل القرآن (ص ١١٦) .

الصناعات المشتركة وقد قال تعالى : ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى . . ﴾ طه : ٦٦ ، ولو كانت تحركت بنوع حيلة كما يقول المنكرون لم يكن هذا من السحر في شيء ومثل هذا لا يخفى وأيضاً لو كان ذلك بحيلة كما قال هؤلاء لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق وبيان ذلك المحال ولم يحتج إلى القاء العصا لابتلاعها وأيضاً فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها الى الاستعانة بالسحرة بل يكفي فيها حذاق الصناع ولا يحتاج في ذلك الى تعظيم فرعون للسحرة وخضوعه لهم ووعدهم بالتقريب والجزاء وأيضاً فإنه لا يقال في ذلك إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها وبالجملة فبطلان هذا أظهر من أن يتكلف[1] .

ويقول القرطبي في تفسيره ما ملخصه :

ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له وإنما هو تمويه وتخييل ولا حجة لهم فقد ثبت أمور جوّزها العقل وورد بها السمع فمن ذلك ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . . ﴾ البقرة : ١٠٢ . فلو لم يكن له حقيقة لن يمكن تعليمه ولا أخبر سبحانه أنهم يعلمون الناس فدل على أن له حقيقة ومن ذلك سورة الفلق مع إتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم ـ الحديث . وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لما حل السحر أن الله شفاني .

والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض فدلّ على أن له حقاً وحقيقة فهو مقطوع به بأخبار الله ورسوله على وجوده ووقوعه وعلى هذا أهل

(١) تفسير المعوذتين لابن القيم ص ٣٧ ، ٣٨ وقارن بما في تفسير أضواء البيان للشنقيطي ٤/٤٥٥ والبحر المحيط ١/٣٢٧ وفتح الباري لابن حجر ١٠/٢٠١ .

الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم للحق[1] .

(٢) سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه :

ابن قتيبة رحمه الله تعالى يعتقد أن الإنسان في قبره أما منعَّم او معذَّب وأنه يأتيه فيه ملكان فيسألونه كما ورد بذلك الكتاب والسنة الصحيحة يدل على هذا قوله في الإنكار على المعتزلة : (وبمثل هذا النظر أنكروا عذاب القبر ومساءلة الملكين وحياة الشهداء عند ربهم يرزقون وأنكروا إصابة العين ونفع الرقي والعوذ وعزيف الجنان وتخبط الشيطان وتغول الغيلان . . . وأخشى أن يكون معتقد هذا والقائل به يرقق عن صبوح ويسر حسواً في ارتغاء[2] وما على من آمن بالبعث بعد الممات ان يؤمن بعذاب البرزخ وقد خبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله قاضٍ على الكتاب[3] وبمساءلة الله يوم القيامة أن يؤمن بمساءلة الملكين في القبر)[4] .

وقوله : (ونحن نقول أنه إذا جاز في المعقول وصح في النظر وبالكتاب والخبر أن الله تعالى يبعث من في القبور بعد أن تكون الأجساد قد بليت والعظام قد رمت جاز أيضاً في المعقول وصح في النظر وبالكتاب والخبر أنهم يعذبون بعد الممات في البرزخ . فأما الكتاب فإن الله تعالى يقول : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب .﴾ غافر : ٤٦ ، فهم يعرضون بعد مماتهم على النار غدواً وعشياً قبل يوم القيامة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب . . . وأما الخبر فقول النبي صلى الله عليه وسلم في جعفر بن أبي طالب أنه يطير مع الملائكة في

---

(١) بتصرف من تفسير القرطبي (٢ : ٤٤) .

(٢) يضرب مثلاً لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره . انظر اللسان (١٩ : ٤٦) .

(٣) يعني أنه مبين له وموضح .

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص ١١٦ ـ ١٢٠) .

الجنة وتسميته له ذا الجناحين[1] وكثرة الأخبار عنه في منكر ونكير[2] وفي عذاب القبر وفي دعائه : (أعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال[3] وهذه الأخبار صحاح لا يجوز على مثلها التواطؤ وإن لم يصح مثلها لم يصح شيء من أمور ديننا)[4] . ومعتقد ابن قتيبة في هذا الباب هو معتقد السلف الصالح فإن الذين رووا عن الإمام أحمد بن حنبل عقيدته كأحمد بن جعفر بن يعقوب وعبدوس بن مالك ومحمد ابن عوف كلهم يذكرون عنه أنه كان يقول : (وعذاب القبر حق وسؤال الملكين حق)[5] .

ويقول الإمام الأشعري في كتابه الإبانة الذي رجع فيه الى معتقد السلف : (وأنكرت المعتزلة عذاب القبر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة وروي عن أصحابه رضي الله عنهم وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[6] والأدلة الثابتة على عذاب القبرِ أشهر من أن تذكر لكثرتها وشهرتها فمنها ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)[7] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال على شرط الشيخين (٣ : ٢٠٩) .

(٢) أخرج الترمذي وابي حاتم حديث تسمية الملكين بمنكر ونكير وقال الألباني إسناده حسن وفيه رد على من أنكر من المعاصرين تسمية الملكين بمنكر ونكير . انظر هامش (ص ٤٥٠) من شرح العقيدة الطحاوية تحقيق الألباني .

(٣) صحيح البخاري كتاب الدعوات (٤ : ١٠٨) .

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥١ ـ ١٥٢) .

(٥) انظر طبقات الحنابلة (١ : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣١٠) .

(٦) الإبانة للأشعري (ص ٦٥) .

(٧) صحيح البخاري باب النميمة من الكبائر (٤ : ٥٩) .

ومنها حديث قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أنه ليسمع خفق نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقولان أنظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعاً وأما الكافر والمنافق فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين[١] .

وهذه الأحاديث صحيحة بإجماع علماء الحديث[٢] وقد قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه : (باب ما جاء في عذاب القبر)[٣] وباب التعوذ من عذاب القبر[٤] وباب (عذاب القبر من الغيبة والبول)[٥] وأورد تحت هذه العناوين جملة من الأحاديث الصحيحة المثبتة لذلك تركنا إيرادها بكاملها لأجل الاختصار . والله تعالى أعلم .

(٣) العرش والكرسي :

إبن قتيبة رحمه الله تعالى يؤمن بأن لله عرشاً قد آستوى عليه سبحانه وأن له كرسياً كما جاء في الكتاب والسُّنة يدل على هذا ما قاله رحمه الله تعالى في رده على المعتزلة ومن نهج نهجهم الذين يؤولون العرشَ بالملك والكرسي بالعلم إذ يقول : (. . . . ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن الله تعالى هو العلي

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز (١ : ٢٣١) .
(٢) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣ : ١٨٣ - ١٩٢) .
(٣) صحيح البخاري كتاب الجنائز (١ : ٢٣٧) .
(٤) صحيح البخاري (١ : ٢٣٩) .
(٥) صحيح البخاري (١ : ٢٣٩) .

وهو الأعلى وهو بالمكان الرفيع وأن القلوب عند الذكر تسمو نحوه والأيدي ترفع بالدعاء إليه ومن العلو يرجى الفرج ويتوقع النصر وينزل الرزق وهنالك الكرسي والعرش والحجب والملائكة)[1] .

ويقول عنهم وطلبوا للعرش معنى غير السرير والعلماء باللغة لا يعرفون للعرش معنى إلا السرير وما عرش من السقوف وأشباهها قال تعالى : ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ يوسف : ١٠٠ ، وقال أمية بن الصلت :

مجدوا الله فهو للمجد أهل   ربنا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذي سبق النا   س وسوى فوق السماء سريرا
-شرجعا ما يناله بصر العـ   ـن ترى دونه الملائك صورا

وطلبوا للكرسي غير ما نعلم وجاءوا بشطر بيت لا يعرف ما هو ولا يدري من قائله وهو قول الشاعر : ولا يكرسىء علم الله مخلوق .

كأنه عندهم ولا يعلم علم الله مخلوق والكرسي غير مهموز بإجماع الناس ويكرسىء مهموز[2] . واعتقاد إبن قتيبة هذا في العرش والكرسي هو اعتقاد السلف الصالح رضوان الله عليهم . يقول الإمام أحمد بن حنبل : (وخلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى)[3] .

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (العرش ثابت بالكتاب والسنة

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧٢) .

(٢) ملخصاً من اختلاف اللفظ لابن قتيبة (ص ٢٤٠) ، تأويل مختلف الحديث (ص ٦٧ ، ٢٧٤)

(٣) طبقات الحنابلة لابي يعلى (١ : ٢٨) .

وإجماع سلف الأمة وأئمتها وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف وقد نقل عن بعضهم[1] أن كرسيه علمه وهو قول ضعيف فإن علم الله وسع كل شيء كما قال . ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ غافر : ٧ ، والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن فلو قيل وسع علمه السموات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسباً لا سيما وقد قال تعالى : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، أي لا يثقله ولا يكرثه وهذا يناسب القدرة لا العلم . والآثار المأثورة تقتضي ذلك ولكن الآيات والأحاديث في العرش أكثر من ذلك وهي صريحة متواترة وقال بعضهم أن الكرسي هو العرش لكن الأكثرون على أنهما شيئان)[2] . والآيات والأحاديث في إثبات العرش والكرسي كثيرة مشهورة منها قوله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ هود : ٧ ، وقوله : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ الزمر : ٧٥ ، . وقوله : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ﴾ غافر : ٧ ، . وقوله : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ الحاقة : ١٧ ، وقوله : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ! ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، ومن الأحاديث ما رواه جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم إهتز له عرش الرحمن . وهذا الحديث رواه كثير من أهل السنة منهم البخاري ومسلم ورواه غير جابر بن عبد الله عشرة من الصحابة[3] وروي عن ابن عباس أنه قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله وعن

---

(١) هو ابن عباس رضي الله عنه . انظر تفسير ابن كثير (١ : ٤٥٧) وعنه رواية أخرى بأن الكرسي موضع القدمين للرحمن وهذه الرواية قال عنها الحاكم صحيحة على شرط الشيخين ولم يخالفه الذهبي رحمه الله . انظر المستدرك (٢ : ٢٨٢) ولعل الرواية الأولى لم تصح عن ابن عباس والله أعلم .

(٢) الفتاوى الكبرى (٦ : ٥٨٤) .

(٣) انظر الكلام مستوفى على هذا الحديث في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١٠ : ٣٤٧) وهو في باب مناقب سعد بن معاذ في الصحيح (٢ : ٣١٣)

إبن مسعود أنه قال بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي الى الماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه(١) . والله تعالى أعلم .

(٤) نزول عيسى عليه السلام :

إبن قتيبة رحمة الله عليه يعتقد أن عيسى عليه السلام في السماء حي لم يمت وأنه ينزل آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليهما وسلم يدل على هذا قوله : ﴿ أن عيسى ينزل في آخر الزمان علماً للساعة ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وأنه لعلم للساعة ﴾ الزخرف : ٦١ ، وإذا نزل المسيح عليه السلام لم ينسخ شيئاً مما أتى به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقدم الإمام من أمته بل يقدمه ويصلي خلفه(٢) . وقوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي . ﴾ آل عمران : ٥٥ ، أي قابضك من الأرض من غير موت وقوله تعالى : ﴿ وأن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته . ﴾ النساء : ١٥٩ ، يريد ليس من أهل الكتاب في آخر الزمان عند نزوله أحد إلا آمن به حتى تكون الملة واحدة ثم يموت عيسى(٣) .

وما يعتقده إبن قتيبة رحمة الله عليه في عيسى عليه السلام هو اعتقاد السلف الصالح رضوان الله عليهم وليتضح ذلك أختصر من أقوال أشهرهم ما يلي :

قال الإمام أحمد بن حنبل (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء بهم وترك البدع . . . والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي

---

(١) رد الدارمي عثمان بن سعيد علي المريسي العنيد ضمن مجموعة عقائد السلف (ص ٤٢٨) .
(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٨) .
(٣) انظر غريب القرآن (ص ١٠٦ ، ١٣٧) .

جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى ينزل فيقتله بباب لد)[1] .

ويقول الأشعري : (عند كلامه عن عقيدة أهل السنة والجماعة « ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه السلام يقتله »[2] .

ويقول الإمام الطحاوي [3] : (ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء)[4] .

ويقول القاضي عياض في شرح صحيح مسلم : (نزول عيسى وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردوده بقوله تعالى : ﴿ وخاتم النبيين ﴾ وبقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن شريعته مؤبدة الى يوم القيامة وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبياً بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صحت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيره أنه ينزل حكماً مقسطاً يحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس . ا . هـ

نقل قول القاضي عياض النووي في شرح مسلم ووافقه عليه[5] .

---

(١) طبقات الحنابلة (١ : ٢٤٣) .

(٢) مقالات الإسلاميين (١ : ٣٤٨) .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي نسبة إلى قرية بصعيد مصر ولد سنة ٢٣٩ وتفقه على خاله إسماعيل بن يحيى المزني أفقه أصحاب الإمام الشافعي . قال عنه الذهبي الفقيه المحدث الحافظ أحد الأعلام وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً وقال ابن كثير هو أحد الأثبات الثقات والحفاظ الجهابذة من مصنفاته العقيدة الطحاوية وكتاب مشكل الآثار . توفي سنة ٣٢١هـ . انظر ترجمته في مقدمة شرح الطحاوية بتحقيق الألباني (ص ١٠) .

(٤) شرح الطحاوية (ص ٥٦٤) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي . كتاب الفتن (١٨ : ٧٥) .

ونختم لأقوال السلف بما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (فإنه سئل عن رجلين تنازعا في أمر نبي الله عيسى بن مريم فقال أحدهما أن عيسى بن مريم توفاه الله ثم رفعه إليه وقال الآخر بل رفعه حياً فما الصواب في ذلك وهل رفعه بجسده أو روحه ؟ فأجاب الحمد لله عيسى عليه السلام حي وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل فيكم إبن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وثبت في الصحيح عنه أنه قال ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال[1] . ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره . وأما قوله تعالى : ﴿ إني متوفيك ورافعك الى . . . ﴾ آل عمران : ٥٥ ، فهذا دليل على أنه لم يعنِ بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء ولم يكن له في ذلك خاصية ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء وقد قال في الآية الأخرى : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهِ لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه . . ﴾ النساء : ١٥٧ .

فقوله هنا بل رفعه الله إليه يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه إذ لو أريد موته لقال وما قتلوه وما صلبوه بل مات فقوله بل رفعه الله إليه يبين أنه رفع بدنه وروحه[2] وقال في موضع آخر : (وعيسى حي في السماء لم يمت بعد وإذا نزل من السماء لم يحكم إلا بالكتاب

---

(١) انظر هذه الأحاديث مع شرحها في صحيح مسلم للنووي في كتاب الفتن . باب ذكر الدجال (ص ٦٦ - ٧٦) وفي صحيح البخاري باب نزول عيسى عليه السلام (٢ : ٢٥٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٢) الفتاوى الكبرى (٤ : ٣٢٣) .

والسنة لا بشيء يخالف ذلك)[1] والأحاديث المثبتة لنزول عيسى وحكمه بشريعة محمد وقتله للدجال كثيرة جداً تركت ذكرها إيثاراً للإختصار فقد قال عنها محدث الديار الشامية في العصر الحاضر ناصر الدين الألباني والشيخ عبد الله بن محمد الصديق الغماري بأنها بلغت حد التواتر . وتتبع الغماري طرقها فقال إنها بلغت أربعين حديثاً وأثراً[2] . والله تعالى أعلم .

---

(١) الفتاوى الكبرى (٤ : ٣١٦) .

(٢) انظر عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام للغماري ، وهامش شرح الطحاوية بتحقيق الألباني (ص ٥٦٥) .

المبحث السادس

عقيدته في الامامة

(١) إمامة قريش :

إبن قتيبة رحمة الله عليه يعتقد أن من شرط الإمام أن يكون قرشياً يدل على هذا المعتقد قوله : (. . . ومن ذا من المسلمين يصح عقده يقدم على قريش أو يعادل بها وقد قضى الله لها بالفضل على جميع الخليقة اذ جعل الأئمة منها والإمامة فيها مقصورة عليها لا تكون لغيرها وهذا نص ليس فيه حيلة لمتأول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش . .)[١] .

وما يعتقده ابن قتيبة في الإمامة هو عقيدة جماهير المسلمين يقول الإمام النووي عند شرحه للأحاديث التي أوردها الإمام مسلم في كتاب الإمارة وهي حديث : (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم) وحديث : (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس إثنان) هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك

---

(١) رسالة الرد على الشعوبية ضمن رسائل البلغاء لمحمد كرد علي (ص ٣٧٤) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ : (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان) مناقب قريش (٢ : ٢٦٥) .

من بعدهم ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج باجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبالأحاديث الصحيحة قال القاضي عياض إشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار ولا اعتداد يقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش)[1] .

وقال إبن حجر رحمه الله : (ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشياً ونقل قول القاضي عياض المتقدم)[2] .

وقد نقل إبن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح معتقد أهل السنة والجماعة عن (حرب) ـ صاحب الإمام أحمد ـ وجاء فيه : (. . . والخلافة في قريش ما بقي من الناس إثنان وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة . . .)[3] .

ونقل أحمد بن جعفر الإصطخري عن الإمام أحمد هذا المعتقد بحروفه[4] .

(٢) الخروج على السلطان :

ابن قتيبة رحمة اللّٰه عليه يرى عدم الخروج على السلطان وأن جار كما يرى أنه لا يطاع في معصية اللّٰه تعالى فهو يقول : (. . . إنهم إن أطيعوا في الذي يأمرون به من معصية اللّٰه تعالى وظلم الرعية وسفك الدماء بغير حقها غوى مطيعهم وأن عصوا فخرج عليهم وشقت عصا المسلمين كما فعل

---

(١) النووي بشرح مسلم (١٢ : ٢٠٠) .

(٢) فتح الباري (١٣ : ١٠٦) .

(٣) حادي الأرواح (ص ٢٩٥) .

(٤) انظر طبقات الحنابلة (١ : ٢٦) .

الخوارج ضل عاصيهم . . . فلا يعمل لهم ولا يخرج عليهم)[١] . ويقـول : (. . . وأما قوله صلوا خلف كل بر وفاجر ولا بد من إمام بر أو فاجر فإنه يريد السلطان الذي يجمع الناس ويؤمهم في الجمع والأعياد يريد لا تخرجوا عليه ولا تشقوا العصا ولا تفارقوا جماعة المسلمين وإن كان سلطانكم فاجراً فإنه لا بد من إمام بر أو فاجر ولا يصلح الناس إلّا على ذلك ولا ينتظم أمرهم)[٢] وما ذهب إليه ابن قتيبة رحمه اللّه من إعتقاد ترك الخروج على الإمام الجائر هو مذهب أهل الحديث وطائفة من العلماء . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح بر أو يستراح من فاجر)[٣] . وهذا الإعتقاد هو ما حكاه ابن القيم عن حرب صاحب الإمام أحمد وذكر حرب أن هذا اعتقاد أهل السنة والحديث إذ قال : (والجهاد ماضٍ قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والإنقياد لمن ولاه اللّه عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل اللّه لك فرجاً ومخرجاً ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة وإن أمرك السلطان بأمر فيه للّه معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه)[٤] .

ومثل هذا قول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لمّا سأله أهل القصيم عن عقيدته فقال : (. . . وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو فاجراً وصلاة الجماعة خلفهم جائزة والجهاد ماضٍ منذ بعث اللّه محمداً

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠٤) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٥٤) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٤ : ٤٤٤) .

(٤) حادي الأرواح لابن القيم (ص ٢٩٥) .

صلى اللَّه عليه وسلم إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية اللَّه ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه)[1] .

ونقل النووي رحمه اللَّه تعالى عن القاضي عياض ما ملخصه : (أن الأمة أجمعت على وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وعلى تحريمها في معصية اللَّه تعالى وأجمعت الأمة على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وأنه لو طرأ عليه الكفر أو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها أو طرأ عليه تغيير للشرع خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك فإن لم يقع ذلك إلَّا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلَّا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحققوا العجز لم يجب القيام ويهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه ولا تنعقد لفاسق ابتداء فلو طرأ على الخليفة فسق قال بعضهم يجب خلعه إلَّا أن تترتب عليه فتنة وحرب وقال جماهير أهل السنة لا ينعزل بالفسق ولا يجوز الخروج عليه بل يجب وعظه وتخويفه باللَّه)[2].

وبهذا يتضح أن ابن قتيبة رحمه اللَّه سائر على مذهب أهل السنة والحديث في باب الخروج على السلطان الجائر وأنه يطاع في طاعة اللَّه ولا يطاع في معصيته ولا يعان على معصية ولا يخرج عليه . واللَّه تعالى أعلم .

(٣) القتال في الفتنة :

ابن قتيبة رحمه اللَّه تعالى يرى وجوب الكف في الفتنة وعدم القتال لأنه لا يعرف المحق من المبطل في الفتنة ويجب على العبد أن يجعل دمه دون

---

(١)) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١ : ٣٠) .

(٢)) ملخصاً من شرح النووي على مسلم (١٢ : ٢٢٢ ، ٢٢٩) .

دينه إذ يقول ـ في الرد على من زعم أن حديث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد[1] مناقض لقوله صلى اللَّه عليه وسلم كن حلس بيتك فإن دخل عليك فأدخل مخدعك فإن دخل عليك فقل بؤ بإثمي وكن عبد اللَّه المقتول ولا تكن عبد اللَّه القاتل ـ (ونحن نقول أن لكل حديث موضعاً غير موضع الآخر فإذا وضعا بموضعيهما زال الإختلاف لأنه أراد بقوله: (من قتل دون ماله فهو شهيد)[2] من قاتل اللصوص عن ماله حتى يقتل في منزله وفي أسفاره . وأراد بقوله (كن حلس بيتك فإن دخل عليك فأدخل مخدعك فإن دخل عليك فقل بؤ بإثمي وإثمك وكن عبد اللَّه المقتول ولا تكن عبد اللَّه القاتل أي إفعل هذا في زمن الفتنة واختلاف الناس على التأويل وتنازع سلطانين كل واحد منهما يطلب الأمر ويدعيه لنفسه بحجة يقول فكن حلس بيتك في هذا الوقت ولا تسل سيفاً ولا تقتل أحداً فإنك لا تدري من المحق من الفريقين ومن المبطل واجعل دمك دونْ دينك وفي مثل هذا الوقت قال : (القاتل والمقتول في النار)[3] فأما قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر اللَّه . . ﴾ الحجرات : ٩ ، فإنه أمر بذلك الجميع منا بعد الإصلاح وبعد البغي وأمر الواحد والإثنين والثلاثة إذا لم يجتمع ملؤنا على الإصلاح بينهما أن نلزم منازلنا ونقي أدياننا بأموالنا وأنفسنا)[4] . وهذا الإعتقاد وهو ترك القتال في الفتنة إذا لم يتضح المحق من المبطل هو مذهب أهل الحديث وأكثر أهل العلم . يقول ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى : (. . . والذين قعدوا عن القتال هم جملة أعيان الصحابة كسعد وزيد وابن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة وهم يروون النصوص عن النبي

---

(١) صحيح البخاري (٢ : ٧٣) ، سنن أبي داود (٥ : ١٢٨) .
(٢) مسند احمد بن حنبل (٤ : ٤٠٨) ، ابو داود داود (٤ : ٤٥٦) .
(٣) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب الايمان (١ : ١٥) .
(٤) تأويل مختلف الحديث (ص١٥٥ ، ١٥٦) .

صلى اللَّه عليه وسلم في القعود عن القتال في الفتنة . . . . وهذا مذهب أهل الحديث وعامة أئمة السنة)[١] . ويقول أيضاً : (ولهذا كـان من أصول أهـل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة)[٢] .

ويقـول حرب صـاحب الإمام أحمـد بن حنبـل في نقله لمـذهب أهـل الحديث والسنة : (. . . والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامهـا فإن ابتليت فقدِّم نفسك دون دينـك ولا تعن على الفتنة بيـدٍ ولا لسان ولكن أكفف لسانك ويدك وهواك واللَّه المعين)[٣].

وقال ابن حجر رحمه اللَّه تعالى ـ في شـرحه لقـول الرسـول صلى اللَّه عليه وسلم ـ الذي رواه البخـاري في باب الفتن : (ستكـون فتن القاعـد فيها خير من القائم والقـائم خير من المـاشي والماشي فيهـا خير من السـاعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به) ، (. . . وفيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الـدخول فيهـا وأن شرَّهـا يكون بحسب التعلق بهـا والمـراد بـالفتنـة مـا ينشـأ عن الإختـلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطـل . قال الـطبري اختلف السلف فحمـل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول في القتـال بين المسلمين مطلقـاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة وآخرين وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها ثم اختلف هؤلاء فقـالت طائفـة بلزوم البيوت وقـالت طائفـة بالتحـول عن بلد الفتن أصلاً ثم اختلفوا فمنهم من قال إذا هجم عليه شيء من ذلـك يكف يده ولو قتل ومنهم من قال بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معـذور ان قتل أو قتل . وقـال آخرون إذا بغت طـائفة على الإمـام فامتنعت من الـواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل

---

(١) الفتاوى الكبرى (٤ : ٤٣٩) .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيميـة نشرهـا الدكتـور صلاح الـدين المنجد في مجلة التوعية الإسلامية العدد الثاني في ١٣ ذي القعدة ١٣٩٩هـ (ص ٣٧) .

(٣) حادي الأرواح لابن القيم (ص ٢٩٥) .

قـادر الأخذ على يـد المخطىء ونصـر المصيب وهذا قـول الجمهـور وفصـل آخرون فقالوا كل قتال وقع بين طـائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجمـاعة فالقتال حينئذ ممنوع وتنزل الأحاديث في هذا الباب وغيره على ذلك وهو قول الاوزاعي . قال الطبـري والصواب أن يقـال أن الفتنة أصلهـا الإبتلاء وإنكـار المنكـر واجب على كل من قـدر عليـه فمن أعـان المحق أصـاب ومن أعـان المخـطىء أخـطأ وإن أشكـل الأمـر فهي الحـالـة التي ورد النهي عن القتـال فيها)[1] .

---

(١) فتح الباري (١٣ : ٢٦) .

الباب الرابع

دفاعه عن مصادر العقيدة

تمهيد :

الفصل الأول : دفاعه عن الكتاب العزيز .

الفصل الثاني : دفاعه عن السُّنَّة المطهرة .

تمهيد

الصراع بين الحق والباطل مستمر حتى يرثَ اللَّه الأرض ومنْ عليها ولأصحاب الباطل خطط وأساليب لمحاربة الحق فإن قوي ساعدهم نازلوه في الميدان واجتهدوا في تحطيمه وإن ظهر الحق رغم أنوفهم وكانوا في حال ضعف رجعوا إلى أساليب ملتوية . من أخطرها أن يلبسوا لباس الحق ويتظاهروا بمظهر أهله المدافعين عنه ثم ينفثوا حقد قلوبهم في طيات حديثهم وقد يحاربونه جهرة باللسان إن أمنوا العاقبة وقد راع ابن قتيبة أن يجد هذا الصنف من الناس ـ أصحاب القلوب المريضة ـ يشككون في مصادر العقيدة ـ الكتاب والسُّنّة ـ ويطعنون على حملتها من الصحابة الاجلاء والمحدثين الفضلاء وغرضهم الخبيث إسقاط ثقة الناس بكتاب اللَّه العزيز وبالسنّة المطهرة وبالسند الحامل لهما ولكنَّ اللَّه ردَّ كيدهم في نحورهم فدين اللَّه محفوظ ولن يمحى هذا الدين من الأرض حتى تقوم الساعة وإن كانوا قد أضلُّوا خلقاً كثيراً .

والحقيقة أن الطعن في كتاب اللَّه أو في سنُّة رسوله صلَّىٰ اللَّه عليه وسلم طعن في الدين بأكمله وقد جعل اللَّه تعالى الردّ إليهما شرط الإيمان فقال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى اللَّه والرسولَ إن كنتم تؤمنون باللَّه واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ النساء : ٥٩ ، والرد إلى الرسول صلَّى اللَّه عليه وسلّم بعد وفاته هو الرد إلى سنّته . يقول ابن القيم في هذه

الآية : (أن قوله فإن تنازعتم في شيء نكرة في سياق الشرط تعمُّ كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليه وخفيه ولو لم يكن في كتاب اللّه ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكنِ كافياً لم يأمر بالرد إليه إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع . . . واللّه قد جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان . ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم وأن عاقبته أحسن عاقبة ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير اللّه ورسوله أو يعبدونه من دون اللّه أو يتبعونه على غير بصيرة من اللّه أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة للّه)[1] .

والذي نقل إلينا القرآن الكريم والسنُّة النبوية المطهَّرة هم أصحاب رسول اللّه صلَّىٰ اللّه عليه وسلم ورضي عنهم فهم السند الذي انتقل إلينا الدين به والطعن فيهم طعن في الدين . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى : (فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام كما قال مالك وغيره من أئمة العلم (هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول اللّه صلَّىٰ اللّه عليه وسلَّم إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل : رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين) وأيضاً فهؤلاء هم الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي صلَّىٰ اللّه عليه وسلم . . . فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين)[2] .

وقد استهدف الإسلام للأعداء ـ كما أسلفت ـ وكان لهم في عصر ابن

---

(١) أعلام الموقعين لابن القيم (١ : ٥٠) .

(٢) الفتاوى الكبرى (٤ : ٤٢٩) .

قتيبة نشاط ملحوظ وهم فئات مختلفة فمنهم الزنادقة الذين صرَّحوا بالطعن في كتاب اللّه ورموه بالتناقض والاختلاف وباللحن بل اتَّهموا اللّه في حكمته فقالوا ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن من أراد لعباده الهدى والبيان ومنهم الرافضة الذين لم يجرؤوا على التصريح بتكذيب القرآن لشناعة هذا عند الناسْ فسلكوا مسلك التفسير للقرآن بمعان لا تحتملها أساليب اللغة العربية ولم تعرف لا عن اللّه ولا عن رسوله صلى اللّه عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ومنهم الجهمية ومن نهج منهجهم من أهل الكلام فإنهم فسَّروا القرآن بأعجب تفسير لتصحيح ما ذهبوا إليه من معتقدات وإن كان يوجد من بين هؤلاء من أولوا القرآن على غير تأويله باجتهاد منهم وحسن نية إلَّا أنه قد دخل معهم كثير من الزنادقة والرافضة بخبث طوية لأن المنهج الذي سار عليه الجهمية يخدم أغراض الزنادقة والرافضة وذلك لتوسعهم في التأويل والتحاكم إلى العقل البشري واعتماد قواعد المنطق في الجدال وقد تصدَّىٰ لهؤلاء على اختلاف طوائفهم كثير من علماء الإسلام من قبل ابن قتيبة وبعده ومن أشهرهم امام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل في كتابه القيم الرد على الزنادقة والجهمية وعثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي العنيد[1] وقد حذا ابن قتيبة رحمه اللّه تعالى حذو أحمد بن حنبل في الدفاع عن مصادر العقيدة (الكتاب والسنة) فألف كتابيه تأويل مشكل القرآن وغريب القرآن وتعرض لطعن الزنادقة في كتاب اللّه بالابطال وألف كتابه تأويل مختلف الحديث وتعرض لطعن الرافضة والجهمية في السنة المطهّرة والصحابة الكرام والمحدِّثين وأهل السُّنّة بالنقض والإبطال وألّف أيضاً كتابه في الرد على الشعوبية الذين يبغضون العرب لأنهم هم الذين حملوا الإسلام وفتحوا به البلدان وأزالوا امم الشرك عن أماكنها وقد كان دفاعه رحمه اللّه يتخذ أشكالاً مختلفة نعرض لبعضها فيما يأتي .

---

(١) طبع هذان الكتابان ضمن مجموعة عقائد السلف التي جمعها علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي عام ١٩٧١م ونشرتها منشأة المعارف بالإسكندرية .

الفصل الأول

دفاعه عن الكتاب العزيز

أولاً :

إن الزنادقة استغلوا بعض الأساليب العالية الواردة في القرآن الكريم والتي لا يفهمها إلاَّ العلماء خاصة بعد تفشي العجمة في الناس فأخذوا يطعنون على القرآن بوجود هذه الأساليب ولكن ابن قتيبة رحمة اللّٰه تعالى عليه قطع الطريق على الزنادقة فأحصى قدراً كبيراً من غريب القرآن وشرحه في كتاب أسماه غريب القرآن حتى يكون الناس على معرفة تامة بمعاني كتاب اللّٰه تعالى فلا تروج عليهم شبه المبطلين وكذلك فعل في كتابه القيم تأويل مشكل القرآن وهذه الطريقة التي اتبعها ابن قتيبة من أحسن الطرق في قمع الباطل فإن من وضَّح للناس الحق فقد أعطاهم مناعة ضد الباطل فلا يؤثر فيهم غالباً . ولنضرب على ذلك مثالاً ليتضح للقارىء طريقة ابن قتيبة رحمة اللّٰه عليه في تزييف باطل الزنادقة فهو يقول : (وقد قال قوم بقصور العلم وسوء النظر في قوله تعالى : ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ الكهف : ١٧ ، وما في هذا الكلام من الفائدة ؟ وما في الشمس إذا مالت بالغداة والعشي عن الكهف من الخبر ؟) .

ونحن نقول وأي شيء أولى بأن يكون فائدة من هذا الخبر وأي معنى

ألطف مما أودع اللّه هذا الكلام ؟ وإنما أراد عزّ وجل أن يعرِّفنا لطفه للفتية وحفظه إياهم في المهجع وإختياره لهم أصلح المواضع للرقود فأعلمنا أنه بوأهم كهفاً في مقنأة الجبل مستقبلاً بنات نعش فالشمس تزور عنه وتستدبره طالعةً وجارية وغاربةً ولا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرِّها وتلفحهم بسمومها وتغيِّر ألوانهم وتبلي ثيابهم وإنهم كانوا في فجوة من الكهف أي متسع منه ينالهم فيه نسيم الريح وبردها وينفي عنهم غمة الغار وكربه)[1] .

ثانياً :

إستغل الزنادقة خلاف الصحابة رضوان اللّه تعالى عليهم في قراءة بعض الحروف كقراءة ابن عباس ﴿ وادكر بعد امه . . ﴾ يوسف : ٤٥ ، وغيره يقرأ (وادكر بعد امة) وكقراءة عائشة ﴿ إذ تلقونه . . ﴾ النور : ١٥ ، وغيرها يقرأ (إذ تلقونه) فقالوا إن في كتاب اللّه اختلافاً وقد كذبوا وخسئوا فإن اللّه تعالى يقول : ﴿ ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . . ﴾ النساء : ٨٢ ، ويقول : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . ﴾ فصلت : ٤٢ ، وقد ردَّ عليهم ابن قتيبة رحمه اللّه تعالى من وجوه عدة منها :

(أ) ان الإختلاف نوعان اختلاف تغاير واختلاف تضاد فاختلاف التضاد لا يجوز ولست واجده بحمد اللّه في شيء من القرآن إلَّا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ . وإختلاف التغاير جائز وذلك مثل قوله : (وادكر بعد أمة أي بعد حين وبعد أمه أي بعد نسيان له والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان لأنه ذكر أمر يوسف عليه السلام بعد حين وبعد نسيان له فأنزل اللّه على لسان نبيه صلى اللّه عليه وسلم بالمعنيين جميعاً في غرضين . وكقوله إذ تلقونه بألسنتكم أي تقبلونه وتقولونه وتَلِقونه من

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٩) .

الـولق وهو الكـذب والمعنيان جميعـاً وإن اختلفا صحيحـان لأنهم قبلوه وقالوه وهو كذب فأنزل اللّه على نبيه بالمعنيين جميعاً في غرضين .

(ب) إن اختلاف الصحابة في القراءة لا يدل على أن في كتاب اللّه اختـلافاً كمـا زعمت الزنـادقة لأن القـرآن نزل على سبعـة أحـرف كمـا جـاء في الحـديث[1] وكل هـذه الحروف كـلام اللّه تعالى نـزل به الـروح الأمين على رسوله عليه السلام وذلك أنه كـان يعارضـه في كل شهـر من شهور رمضان وينسخ اللّه ما يشاء وييسر على عباده ما يشاء فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرىء كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلي يقرأ عتى حين يـريد حتى حين لأنـه هكـذا يلفظ بهـا ويستعملهـا والأسـدي يقـرأ تعلمون وتعلم وتسود وجوه والم أعهد إليكم . والتميمي يهمـز والقرشي لا يهمز ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جـرى عليه اعتياده طفلاً ونـاشئاً وكهـلاً لاشتد ذلـك عليه وعـظمت المحنة فيـه ولـم يمكنه إلاّ بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة فـأراد اللّه بـرحمتـه ولـطفـه أن يجعـل لهم متسعـاً في اللغـات ومتصـرفـاً في الحركات[2] .

ثـالـثـاً :

لقـد رد ابن قتيبة على الـزنادقـة برد عقلي مفحم لـو كانـوا يعقلون فهـو يقول : (وقد اعترض كتاب اللّه بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تـأويله بأفهـام كليلة وأبصار عليلة ونـظر مدخـول فحـرفـوا الكلم عن مـواضعـه وعـدّلـوه عن سبله ثم قضـوا عليـه بـالتنـاقض والإستحالة واللحن وفساد النظم والإختلاف وأولوا في ذلك بعلل ربما أمـالت

---

(١) صحيح البخاري باب انزال القرآن على سبعة أحرف (٣ : ٢٢٦) .
(٢) ملخصاً من تأويل مشكل القرآن (ص ٣٦ ، ٣٨) .

الضعيف الغمر والحدث الغرّ واعترضت بالشبه في القلوب وقدحت بالشكوك في الصدور ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأولهم لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وسلم يحتج عليه بالقرآن ويجعله العلم لنبوته والدليل على صدقه ويتحداه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله . وهم الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد واللدد في الخصام مع اللب والنهي وأصالة الرأي وقد وصفهم اللّٰه بذلك في غير موضع من الكتاب وكانوا مرة يقولون هو سحر ومرة يقولون هو قول الكهنة ومرة أساطير الأولين ولم يحك اللّٰه تعالى عنهم ولا بلغنا في شيء من الروايات أنهم جدبوه من الجهة التي جدبه منها الطاعنون)[1] .

رابعــاً :

زعم الزنادقة أن كتاب اللّٰه متناقض وقد تعلقوا بعدة آيات مثل قوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان . . ﴾ الرحمن : ٣٩ ، قالوا : انه مناقض لقوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون . . ﴾ الحجر : ٩٢ ، وقالوا أن قوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون . . ﴾ المرسلات : ٣٥ ، مناقض لقوله : ﴿ ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون . . ﴾ الزمر : ٣١ ، وقالو : إن قوله تعالى : ﴿ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون . . ﴾ الصافات : ٢٧ ، مناقض لقوله تعالى : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . . ﴾ المؤمنون : ١٠١ ، وقالوا أن قوله تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلاَّ من ضريع . . ﴾ الغاشية : ٦ ، مناقض لقوله تعالى : ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلاَّ من غسلين ﴾ الحاقة : ٣٦ ، إلى غير هذه من الآيات التي

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٢٢) .

قال عنها الزنادقة بفهمهم المدخول وأبصارهم الكليلة إنها متناقضة[1] وقد ردَّ عليهم ابن قتيبة رحمه الله في جملة ما قالوه وبين وجه الصواب فيما حاولوا التشكيك فيه فقال : (فأما ما نحلوه من التناقض في مثل قوله تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان . . ﴾ الرحمن : ٣٩ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون . . ﴾ الحجر : ٩٢ ، فالجواب في ذلك أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى : ﴿ مقداره خمسين ألف سنة . . ﴾ المعارج : ٤ ، ففي مثل هذا اليوم يسألون وفيه لا يُسألون لأنهم حين يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجة وانشقت السماء فكانت وردة كالدهان انقطع الكلام وذهب الخصام واسودت وجوه قوم وابيضت وجوه آخرين وعرف الفريقان بسيماهم وتطايرت الصحف من الأيدي فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان . . ﴾ الرحمن : ٣٩ ، قال هو موطن لا يسألون فيه ومثله ﴿ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون . . ﴾ القصص : ٧٨ ، وقوله : ﴿ لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد . . ﴾ ق : ٢٨ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون . . ﴾ الموسلات : ٣٥ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون . . . ﴾ الزمر : ٣١ ، ويقول : ﴿ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . . ﴾ البقرة : ١١١ ، فالجواب عن هذا كله نحو جوابنا الأول لأنهم يختصمون ويدعي المظلومون على الظالمين ففي تلك الحال يختصمون فإذا وقع القصاص وثبت الحكم قيل لهم لا تختصموا ولا تنطقوا ولا تعتذروا فليس ذلك بمغن عنكم ولا نافع لكم فيخسئون .

وأما قوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . . ﴾

(١) انظر شبه الزنادقة ورد ابن قتيبة عليهم في تأويل مشكل القرآن (ص ٥ : ١٣٤) .

الصافات : ٢٧ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . . ﴾ المؤمنون : ١٠١ ، فإنه إذا نفخ في الصور نفخة واحدة تقطعت الأرحام وبطلت الأنساب وشغلوا بأنفسهم عن التساؤل وصعق من في السموات ومن في الأرض إلاَّ من شاء اللّه فإذا نفخ فيه أخرى قاموا ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقالوا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

وأما قوله تعالى : ﴿ ليس لهم طعام إلاَّ من ضريع . . ﴾ الغاشية : ٦ ، وهو يقول في موضع آخر : ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلاَّ من غسلين . . ﴾ الحاقة : ٣٦ ، فإن النار دركات والجنة درجات وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات فمن أهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه غسلين ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد)[1] وبنحو جواب ابن قتيبة هذا أجاب الإمام أحمد في رده على الزنادقة[2] .

خامساً :

لقد طعن الزنادقة على كتاب اللّه بوجود المتشابه فيه فقالوا : ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن من أراد بالقرآن لعباده الهدى والتبيان فدافع ابن قتيبة عن كتاب اللّه بما ملخصه (إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الإيجاز والاختصار والإطالة والتوكيد والإشارة إلى الشيء وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلاَّ سريع الفهم وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس

---

(١) بتصرف من تأويل مشكل القرآن (ص ٦٥ ـ ٦٨) .

(٢) انظر كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لابن حنبل (ص ٥٤، ٦١) ضمن مجموعة عقائد السلف .

وسقطت المحنة وماتت الخواطر وكل باب من أبواب العلم من الفقه والحساب والفرائض والنحو فمنه ما يجلُّ ومنه ما يدق ليرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ويدرك أقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الإستخراج ولتقع المثوبة من اللّٰه على حسن العناية ولو كان كل من المعلوم شيئاً واحداً لم يكن عالم ولا متعلم ولا خفي ولا جلي لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها فالخير يعرف بالشر والنفع بالضر والقليل بالكثير والصغير بالكبير وعلى هذا المثال كلام رسول اللّٰه صلَّىٰ اللّٰه عليه وسلَّم وكلام صحابته والتابعين وأشعار الشعراء وكلام الخطباء ليس منه شيء إلَّا وقد يأتي فيه المعنى اللطيف الذي يتحير فيه العالم المتقدم ويقرّ بالقصور عنه النقاب المبرز ولسنا ممَّن يزعم إن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى ولم ينزل اللّٰه شيئاً من القرآن إلَّا لينفع به عباده ويدل به على معنى أراده فلو كان متشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال وتعلق علينا بعلة وهل يجوز لأحد أن يقول أن رسول اللّٰه صلَّىٰ اللّٰه عليه وسلَّم لم يكن يعرف المتشابه إذا جاز أن يعرفه جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته فقد علم عليا التفسير ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلَّا أن يقولوا : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا . . ﴾ آل عمران : ٧ ، لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين بل على جهلة المسلمين لأنهم جميعاً يقولون ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ ولم نر المفسِّرين توقفوا عن شيء عن القرآن فقالوا هذا متشابه لا يعلمه إلَّا اللّٰه بل أمروه كله على التفسير حتى فسروا الحروف المقطعة في أوائل السور مثل الر ، وحم ، وطه ، وأشباه ذلك[1] . وقد ذهب إلى قول ابن قتيبة هذا في تفسير المتشابه وإنه يعلمه العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية وقال أن هذا القول اختيار كثير من أهل السُّنة[2] . واللّٰه تعالى أعلم .

---

(١) مختصراً من تأويل مشكل القرآن (ص ٨٦ ـ ١٠٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ : ٣٩١) .

سادساً :

زعم الزنادقة ان كتاب اللّه قد نقص منه وغيّر محتجين بحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (أنه قام إليه رجل فقال : يا رسول اللّه نشدتك باللّه إلاَّ قضيت بيننا بكتاب اللّه فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : صدق أقض بيننا بكتاب اللّه وائذن لي فقال : قل قال : أن أبني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم ثم سألت رجلاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم فقال : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللّه المائة الشاة والخادم رد عليك وعلى إبنك جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم فأغدو يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فأرجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها)[1] فقالوا : إنا لا نجد الرجم والتغريب في كتاب اللّه فدلَّ على أنه نقص منه وغير ويردُّ عليهم ابن قتيبة بقوله : (إن رسول اللّه صلَّىٰ اللّه عليه وسلّم لم يرد بقوله لأقضين بينكما بكتاب اللّه ههنا القرآن وإنما أراد لأقضين بينكما بحكم اللّه تعالى والكتاب يتصرف على وجوه منها الحكم والفرض كقوله عزّ وجل : ﴿ كتاب اللّه عليكم وأحلَّ لكم ما وراء ذلكم . . ﴾ النساء : ٢٤ ، أي فرض اللّه عليكم وكقوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القصاص . . ﴾ البقرة : ١٧٨ ، أي فرض عليكم وكقوله تعالى : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ أي حكمنا وفرضنا)[2] وليس غرضي هنا البحث في حكم الرجم والتغريب حتى أبيّن من أين أخذ الحكم وإنما غرضي عرض صور من دفاع ابن قتيبة عن الكتاب العزيز ضد هجمات الزنادقة وكافة المغرضين سواء استكمل الدفاع أم قصَّر في شيء منه فحسبه أنه دافع بما استطاع .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود (٤ : ١٧٨) .

(٢) غريب الحديث (١ : ٢٦٨) ، تأويل مختلف الحديث (ص ٩٤) .

سابعاً :

كما دافع ابن قتيبة عن كتاب اللّه ضد الزنادقة دافع عنه ضد الجهمية والرافضة فإنهم حرّفوه وأولوه على غير تأويله فهو يقول عن الجهمية : (وفسّروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردُّوه إلى مذاهبهم ويحملوا التأويل على نحلهم فقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿وسع كرسيه السموات والأرض . .﴾ البقرة : ٢٥٥ ، أي علمه[1] وقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿ ولقد همَّت به وهمَّ بها . . ﴾ يوسف : ٢٤ ، إنها همَّت بالفاحشة وهمَّ هو بالفرار منها أو الضرب لها واللّه تعالى يقول : ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها فلما رأى البرهان أقام عندها وقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى أنه اتخم من أكل الشجرة ﴾[2] إلى غير هذه من الآيات التي حرفها الجهمية عن معناها الصحيح وقد تعرضنا لردوده عليهم رحمة اللّه عليه في ثنايا هذا البحث ويقول عن الرافضة وأعجب من هذا التفسير (يعني تفسير الجهمية) تفسير الروافض للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر وهو جلد جفر ادَّعوا إنه كتب فيه لهم الإمام كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة فمن ذلك قولهم في قول اللّه عزّ وجل : ﴿ وورث سليمان داود . . ﴾ النمل : ١٦ ، أنه الإمام وورث النبي صلّىٰ اللّه عليه وسلم علمه وقولهم في قول اللّه عز وجل : ﴿ ان اللّه يأمركم أن تذبحوا بقرة . . ﴾ البقرة : ٦٧ ، انها عائشة رضي اللّه عنها وفي قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها . . ﴾ البقرة : ٧٣ ، أنه طلحة والزبير وقولهم في الخمر والميسر أنهما أبو بكر وعمر رضي اللّه عنهما والجبت والطاغوت إنهما معاوية وعمرو بن العاص مع

---

(١) ونقل هذا التأويل عن ابن عباس ولكن الراجح عنه أنه قال الكرسي موضع القدمين للرحمن . انظر مبحث الكرسي فيما تقدم .

(٢) ملخصاً من تأويل مختلف الحديث (ص ٦٧ ، ٦٨) .

عجائب أرغب عن ذكرها وهم أكثر أهل البدع افتراقاً ولا نعلم في أهل البدع والأهواء أحداً ادعى الربوبية لبشر غيرهم فإن عبد اللّٰه بن سبأ ادعى الربوبية لعلي ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم ، فإن المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه وقال إن جبريل وميكائيل يأتيان إلى جهته فصدقه قوم واتبعوه وهم الكيسانية[1] .

وبعد فهذا الذي ذكرته عن دفاع ابن قتيبة عن الكتاب العزيز إنما هو غيض من فيض يوضح للقارىء منهج ابن قتيبة في الرد على الزنادقة الزاعمين بأن كتاب اللّٰه يناقض بعضه بعضاً أو المؤولين له على غير تأويله واللّٰه تعالى أعلم .

---

(١) ملخصاً من تأويل مختلف الحديث (ص ٧٠ ، ٧١، ٧٢، ٧٣) .

الفصل الثاني

دفاعه عن السنة المطهرة

كما حاول الزنادقة وأعداء الإسلام التشكيك في كتاب الله الكريم ورموه بالتناقض والإختلاف وانساق وراءهم أغمار من الناس لا علم لهم بالكتاب الكريم كذلك فعلوا مع السنة المطهرة فزعموا أن كثيراً من الأحاديث يناقض بعضها بعضاً وأنّ كثيراً منها تخالف العقل والنظر ولكي يلغوا حجة السنة قدحوا في خبر الآحاد وقالوا لا نقبل إلَّا الخبر المتواتر واشترطوا للتواتر شروطاً لا تنطبق إلَّا على النزر اليسير من أحاديث المصطفى صلى اللّٰه عليه وسلم كقولهم أن من شروط اليقين بالخبر أن يكون رواته عشرون أو ثلاثون أو سبعون[1] . ونحو هذه الإشتراطات التي لم يدل عليها دليل .

وحرفوا معاني الأحاديث الثابتة لكي توافق أهواءهم ونظروا في سند الشريعة الإسلامية فإذا هم الصحابة وأهل الحديث الذين تلقوا الشريعة مشافهة وحفظوها ونقلوها للناس فقدحوا في الصحابة وقدحوا في أهل الحديث ليشككوا في سند الشريعة الإسلامية فإذا شك الناس في السند شكوا في المتن ولما رأوا أن كتاب اللّٰه محفوظ بحفظ اللّٰه من الزيادة والنقصان عمدوا إلى السنة الغراء فشوهوا جمالها بالأحاديث الموضوعة على رسوله صلى اللّٰه عليه وسلم ولكن اللّٰه رد كيدهم في نحورهم فقيض لدينه من يذب

---

(١) مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص ١٠٠) .

عنه وينفي عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ومنهم ابن قتيبة رحمه اللّٰه فإنه ذو غيرة إسلامية على معتقده . ونلخص دفاعه عن السنة المطهرة فيما يلي :

أولاً :

إن من منهج الزنادقة انهم يستغلون بعض الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث والتي يدق فهمها إلا على العلماء فيحرفونها عن معناها الصحيح الذي أراده رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مستغلين لطف العبارة ودقة الإشارة في التلبيس على الجهال وعلى عوام المسلمين من اجل هذا وغيره صنف ابن قتيبة كتابه غريب الحديث وشرح فيه مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي قد يستعصي فهمها على العامة . فإن توضيح المعنى الصحيح للناس يكون سداً منيعاً في وجوه خفافيش الشبه والتأويلات الزائفة .

ثانياً :

إن ابن قتيبة تتبع الأحاديث التي غالباً ما يذكرها أصحاب الأهواء في موضع التناقض وبين معانيها الصحيحة وأفسد محاولتهم إرباك أفهام الناس والتشويش عليهم من ذلك قولهم رويتم أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال لا تسبوا الدهر فإن اللّٰه تعالى هو الدهر[١] . فوافقتم في هذه الرواية الدهرية ويبين ابن قتيبة رحمه اللّٰه تعالى ما المراد من الحديث وأنه على خلاف ما ظنوه فيقول : (ونحن نقول أن العرب في الجاهلية كانت تقول أصابني الدهر في مالي بكذا ونالتني قوارع الدهر وبوائقه ومصايبه . ويقول الهرم حناني الدهر فينسبون كل شيء تجري به أقدار اللّٰه عز وجل عليهم من موت

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥ : ٢٩٩) .

أو سقم أو ثكل أو هرم إلى الدهر ويقولون لعن الله الدهر ويسمونه المنو لأنه جالب المنون عليهم عندهم والمنون المنية) . قال أبو ذؤيب :

أمن المنون وريبة تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

. . . وقد حكى الله عن أهل الجاهلية ما كانوا عليه من نسب أقدار الله عزّ وجلّ وأفعاله إلى الدهر فقال : ﴿ وقالوا أن هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم إلاَّ يظنون ﴾ الجاثية : ٢٤ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا الدهر إذا أصابتكم المصائب وتنسبوها إليه فإن الله عز وجل هو الذي أصابكم بذلك لا الدهر فإذا سببتم الفاعل وقع السب بالله عز وجل الا ترى أن الرجل منهم إذا أصابته نائبة أو جائحة في مال أو ولد أو بدن فسب فاعل ذلك به وهو ينوي الدهر أن المسبوب هو الله عزّ وجل)[1] وابن قتيبة له في هذا اللون من الدفاع عن السنة النبوية اليد الطولى فإن كتابه تأويل مختلف الحديث من أشهر ما ألّف في هذا المضمار وفيه يبين بأن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتناقض لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وإنما أُوتي - الذين تصوروا تناقضها من أهل الأهواء - من سوء فهمهم أو سوء معتقدهم فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

ثالثاً :

لقد دأب أصحاب الأهواء على أطراح الأحاديث التي تخالف أهواءهم محتجين لذلك بأن حجة العقل أو القياس والنظر تقضي بعدم قبولها فبين ابن قتيبة بأن الفساد في عقولهم وفي مقاييسهم وأنظارهم لا في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك قولهم حديث يكذبه النظر رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأصواع من شعير فيا

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٢٣) .

سبحان اللّٰه أما كان في المسلمين مواس ولا مؤثر ولا مقرض وقد أكثر اللّٰه عزّ وجل الخير وفتح عليهم البلاد وجبوا ما بين أقصى اليمن إلى أقصى البحرين وأقصى عمان ثم بياض نجد والحجاز وهذا مع أموال الصحابة كعثمان وعبد الرحمن وفلان وفلان فأين كانوا قالوا وهذا كذب وقائله أراد مدحه النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بالزهد والفقر وليس هكذا تمدح الرسل وكيف يجوع من يجهز الجيوش ومن يسوق الممئن من البدن وله مما أفاء اللّٰه عليه مثل فدك وغيرها . . وقد رد عليهم ابن قتيبة بقوله :ونحن نقول أنه ليس في هذا ما يستعظم بل ما ينكر لأن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم كان يؤثر على نفسه بأمواله ويفرقها على المستحقين من أصحابه وعلى الفقراء والمساكين وفي النوائب التي تنوب المسلمين ولا يرد سائلاً ولا يعطي إذا وجد إلاّ كثيراً ولا يضع درهماً فوق درهم وقالت له أم سلمة : يا رسول اللّٰه أراك ساهم الوجه أمن علة فقال : لا ، ولكنها السبعة الدنانير التي أتينا بها أمس نسيتها في خصم الفراش فبت ولم أقسمها[1] . . . . . وقد يأتي على البخيل الموسر تارات لا يحضره فيها مال وله الضيعة والأثاث والديون فيحتاج إلى أن يقترض وإلى أن يرهن فكيف بمن لا يبقى له درهم ولا يفضل عن مواساته ونوائبه زاد وكيف يعلم المسلمون وأهل اليسار من صحابته بحاجته إلى الطعام وهو لا يعلمهم ولا ينشط في وقته ذلك اليهم وقد نجد هذا بعينه في أنفسنا وأشباهنا من الناس ونرى الرجل يحتاج إلى الشيء فلا ينشط فيه إلى ولده ولا إلى أهله ولا إلى جاره ويبيع العلق[2] ويستقرض من الغريب والبعيد وإنما رهن درعه عند يهودي لأن اليهود في عصره كانوا يبيعون الطعام ولم يكن المسلمون يبيعونه لنهيه عن الاحتكار فما الذي أنكروه من هذا حتى أظهروا التعجب منه وحتى رمى بعض المرقة الأعمش بالكذب من أجله)[3] وقال بعض العلماء

---

(١) رواه احمد في المسند (٦ : ٢٩٣ ، ٣١٤) .

(٢) العلق : النفيس . مختار الصحاح (ص ٤٧٥) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١٤٣ ، ١٤٦) .

والحكمة في عدوله صلى اللّه عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود إما لبيان الجواز أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجتهم أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً[1] ومن ذلك قولهم أيضاً حديث يكذبه النظر فقد رويتم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: « اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن اللّه تعالى لا يمل حتى تملوا فجعلتم اللّه تعالى يمل إذا ملوا واللّه تعالى لا يمل على كل حال ولا يكل » ويرد عليهم ابن قتيبة قائلاً: ونحن نقول أن التأويل لو كان على ما ذهبوا إليه كان عظيماً من الخطأ فاحشاً ولكنه أراد أن اللّه سبحانه لا يمل إذا مللتم ومثل هذا قولك في الكلام هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل لا تريد بذلك أنه يفتر إذا فترت ولو كان هذا هو المراد ما كان له فضل عليها لأنه يفتر معها فأية فضيلة له وإنما تريد أنه لا يفتر إذا فترت وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه والمكثار الغزير فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه تريد أنه لا ينقطع إذا انقطعوا ولو أردت أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره ولا وجبت له به مدحه[2].

وقال بعض العلماء أنّ معناه أن الله سبحانه لا يغضب عليكم ولا يقطع عنكم ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهدوا في سؤاله والرغبة إليه[3] والظاهر أن قوله صلى الله عليه وسلم لن يمل الله حتى تملوا مثل قوله تعالى: ﴿ نسوا الله فنسيهم أن المنافقين هم الفاسقون.. ﴾ التوبة: ٩، وهذا في القرآن والسنة كثير والله تعالى أعلم.

رابعاً:

بين ابن قتيبة أن خبر الواحد الصادق مقبول وأن الذين أنكروا حجيته

---

(١) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٤ : ٤٠٦).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٣٥٠).

(٣) كتاب مشكل الحديث لابن فورك (ص ١٢٢).

إنما غرضهم إسقاط معظم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسخر من أقوالهم واختلافاتهم في هذا الصدد إذ يقول : (.... وقال آخر يثبت بعشرين رجلاً) لقول الله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين .. ﴾ الأنفال : ٦٥ ، وقال آخر يثبت بسبعين رجلاً كقول الله عز وجل : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا .. ﴾ الأعراف : ١٥٥ ، فجعلوا كل عدد ذكر في القرآن حجة في صحة الخبر . ولو قال قائل أن الخبر لا يثبت إلا بثمانية لقول الله تعالى في أصحاب الكهف وهم الحجة على أهل ذلك الزمان : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم .. ﴾ الكهف : ٢٢ ، ولا يجوز أن يكونوا ثمانية حتى يكون الكلب ثامنهم أو قال لا يثبت الخبر إلا بتسعة عشر لقول الله تعالى في خزنة جهنم حين ذكرها فقال : ﴿ عليها تسعة عشر .. ﴾ المدثر : ٣٠ ، لكان أيضاً قولاً وعدداً مستخرجاً من القرآن .. وهذه الإختيارات إنما اختلفت هذا الإختلاف لاختلاف عقول الناس وكل يختار على قدر عقله ولو رجعوا الى أن الله تعالى إنّما أرسل الى الخلق كافة رسولاً واحداً وأمرهم باتباعه وقبول قوله وأنه لم يرسل اثنين ولا أربعة ولا عشرين ولا سبعين في وقت واحد لدلهم ذلك على أن الصادق العدل صادق الخبر كما أن الرسول الواحد المبلغ عن الله تعالى صادق الخبر[1] .

يقول الشنقيطي : والتعبد بخبر الواحد سمعاً فهو قول الجمهور خلافاً لأكثر القدرية وبعض أهل الظاهر ... وأن للجمهور دليلين قاطعين على التعبد به شرعاً :

الأول : إجماع الصحابة رضي الله عنهم في وقائع لا تنحصر على قبوله .

الثاني : ما تواتر من إنفاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه ورسله وقضاته وسعاته الى الأطراف لتبليغ الأحكام والقضاء وتبليغ رسالته ومن

---

(١) تاويل مختلف الحديث (ص ٦٦) .

المعلوم أنه كان يجب عليهم تلقي ذلك بالقبول ليكون مفيداً والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بتبليغهم الرسالة ولم يكن ليبلغها بمن لا يكتفي به وهذا دليل قاطع على قبول أخبار الآحاد[1] . ويقول الشافعي لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد[2] وقد بوب البخاري على ذلك في صحيحه فقال : (باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق وأورد رحمه الله ما يدل على ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية)[3] .

خامساً :

دافع ابن قتيبة رحمه الله عن سند الشريعة الإسلامية فأنكر على الذين يطعنون في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسقطوا عدالتهم كما فعل النظام المعتزلي[4] الذي طعن في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال كيف يقول أجرؤكم على الفتيا في الجد أجرؤكم على النار ثم يقضي فيه بمائة قضية مختلفة . وقال في أبي بكر الصديق رضي الله عنه كيف لما سئل عن آية من كتاب الله قال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني أم أين أذهب أم كيف أصنع إذا أنا قلت في آية من كتاب الله تعالى بغير ما أراد الله ثم سئل عن الكلالة فقال أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني (هي ما دون الولد والوالد) وأكذب ابن مسعود رضي الله عنه لروايته حادثة إنشقاق القمر في مكة معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم[5] . وقد رد عليه ابن قتيبة قائلاً : هذا قوله في جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كأنه لم يسمع بقول الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿ محمد

---

(١) مذكرة أصول الفقه للأمين الشنقيطي (ص ١٠٩) .

(٢) الرسالة للشافعي (ص ٤٥٨) .

(٣) صحيح البخاري (٤ : ٢٥٢) .

(٤) تقدمت ترجمته في (ص ١٢٧) .

(٥) انظر تأويل مختلف الحديث (ص ٢٠ ، ٢١)

رسول الله والذين معه . . ﴾ الفتح : ٢٩ ، الى آخر السورة ولم يسمع بقوله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم . . ﴾ الفتح : ١٨ ، . . . ولا شيء أعجب عندي من ادعائه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قضى في الجد بمائة قضية مختلفة وهو من أهل النظر وأهل القياس فهلا اعتبر هذا ونظر فيه ليعلم أنه يستحيل أن يقضي عمر في أمر واحد بمائة قضية مختلفة فأين هذه القضايا وأين عشرها ونصف عشرها أما كان في حملة الحديث من يحفظ منها خمساً أو ستاً ولو اجتهد مجتهد أن يأتي من القضاء في الجد بجميع ما يمكن فيه من قول وحيلة ما كان يتيسر له أن يأتي فيه بعشرين قضية وكيف لم يجعل هذا إذ كان مستحيلاً مما ينكر من الحديث ويدفع وما ذاك إلا لضغن يحتمله على عمر رضي الله عنه وعداوة . وأما طعنه على أبي بكر رضي الله عنه بأنه سئل عن آية من كتاب الله تعالى فاستعظم ذلك ثم قال في الكلالة برأيه فإن أبا بكر رضي الله عنه سئل عن شيء من متشابه القرآن العظيم الذي لا يعلم تأويله إلا الراسخون في العلم . فأحجم عن القول فيه مخافة أن يفسره بغير مراد الله تعالى[1] . وأفتى في الكلالة برأيه لأنه أمر ناب المسلمين واحتاجوا اليه في مواريثهم وقد أبيح له إجتهاد الرأي فيما لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء ولم يأتِ له في الكتاب شيء كاشف وهو إمام المسلمين ومفزعهم فيما ينوبهم فلم يجد بداً من أن يقول . وكذلك قال عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم حين سئلوا وهم الأئمة والمفزع إليهم عند النوازل . فماذا كان ينبغي لهم أن يفعلوا عنده أيدعون النظر في الكلالة وفي الجد الى أن يأتي هو وأشباهه فيتكلموا فيها ؟ ثم طعنه على عبد

---

(١) قال ابن كثير : (وقال ابو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال : سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ وفاكهة وابا ﴾ فقال اي سماء تظلني وأي ارض إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم وهذا منقطع بين ابراهيم التيمي والصديق .

انظر تفسير ابن كثير (٨ : ٣٤٨) .

الله بن مسعود رضي الله عنه بالكذب . ليس إكذاباً لابن مسعود ولكنه بخس لعلم النبوة وإكذاب للقرآن العظيم لأن الله تعالى يقول اقتربت الساعة وانشق القمر)[1] .

سادساً :

لقد اتهم المعتزلة ومن سار سيرهم من أهل الأهواء أهل الحديث بأنهم حملوا الكذب والمتناقض ونبذوهم بألفاظ شائنة كقولهم الحشوية والنابتة والغثاء والغثر لينفروا الناس منهم فإذا نفر الناس منهم كرهوا ما أتوا به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دافع ابن قتيبة عن أصحاب الحديث الذين حملوا السنة المطهرة فقال : فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته وتتبعوه من مظانه وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبهم لآثاره وأخباره براً وبحراً وشرقاً وغرباً يرحل الواحد منهم راجلاً مقوياً في طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة ثم لم يزالوا في التنقير عن الأخبار والبحث لها حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها وعرفوا من خالفها من الفقهاء الى الرأي فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً وبسق بعد أن كان دارساً واجتمع بعد أن كان متفرقاً وانقاد للسنن من كان عنها معرضاً وتنبه لها من كان عنها غافلاً وحكم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان وإن كان فيه خلاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم الغرائب وفي الغريب الداء ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوهما حقاً بل جمعوا الغث والسمين والصحيح والسقيم ليميزوا بينهما ويدلوا عليهما وقد فعلوا ذلك . . . وكذلك هذه الأحاديث التي يشنع بها عليهم من عرق الخيل وزغب الصدر وقفص الذهب وعيادة الملائكة هي كلها باطل لا طرق

---

(١) ببعض تصرف من تأويل مختلف الحديث (ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) .

لهـا ولا رواة[1] . ولا نشك في وضـع الزنـادقة لهـا[2] . وقد انتقـد ابن قتيبـة الطاعنين في أهل الحديث وبين أن طعنهم على أهل الحـديث ليس لمصلحة الإسلام وليس هدف الـطاعنين الغيرة على الإسـلام ، فإنهم هم غيـر ملتزمين بالإسلام في أنفسهم . فهو يقول عن النظام أنه شاطـر من الشطار يغـدو على سكـر ويروح على سكـر ويبيت على جرائـرها ويـدخل في الأدنـاس ويرتكب الفواحش والشائنات وهو القائل :

مـا زلت آخذ روح الـزق في لـطف ... واستبيـح دمـاً من غيـر مجـروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي ... والـزق مـطرح جسم بـلا روح[3]

ويقول عن أبي الهذيل العلاف[4] ثم نصير الى قول ابن الهذيل العلاف فنجده كذاباً أفّاكاً[5] .

ويقـول ثم نصير الى ثمـامة[6] فنجـده من رقـة الـدين وتنقص الإسـلام والإستهزاء به وإرساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله تعالى ويؤمن به ومن المحفوظ عنه المشهور أنـه رأى قومـاً يتعادون يـوم الجمعة الى

---

(١) هذه أحاديث وضعها الزنادقة كقولهم أن الله أجرى الخيـل حتى عرقت ثم خلق نفسـه من ذلك العرق وقولهم أن الله خلق الملائكة من شعر ذراعيه وصدره وقولهم أن الله ينـزل عشية عـرفة على جمـل أورق في قفص من الذهب وقصـدهم التشنيع على أهـل الحديث على الـزنادقـة لعائن الله الى يوم يلقونه ومن لـه مسكة من عقـل يعرف أن هـذه أحاديث مـوضوعـة تخالف الشرع والعقل ولا يرويها من له ذرة من عقل أو أيمان .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ١٧) .

(٤) انظر ترجمته (ص ١٤٧) من هذا البحث .

(٥) تأويل مختلف الحديث (ص ٤٣) .

(٦) ثمامة بن أشرس ابو معين النميري أحد المعتـزلة البصـريين ورد بغداد واتصـل بهارون الـرشيد وغيره من الخلفاء وله أخبار ونوادر يحكيها عنه الجاحظ وغيـره . قال عنـه الذهبي : (أنـه من كبار المعتزلة ورؤوس الضلالة) قال ابن حزم كان ثمامة يقول أن العالم فعـل الله بطبـاعه وأن المقلدين من أهل الكتاب وعباد الأصنام لا يدخلون النار بل يصيرون تراباً وأن من مـات مصراً على كبيرة خلد في النار وأن أطفال المؤمنين يصيرون تراباً) .

انظر تاريخ بغداد (٧ : ١٤٥) ، ميزان الاعتدال (١ : ٣٧١) .

المسجد لخوفهم فوت الصلاة فقال: انظروا الى البقر أنظروا إلى الحمير ثم قال لرجل من إخوانه ما صنع هذا العربي بالناس[1] . ثم نصير الى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين وأحسنهم للحجة استثارة وأشدهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم وتصغير العظيم حتى يصغر ويبلغ به الإقتدار الى أن يعمل الشيء ونقيضه . . . ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين فإذا صار الى الرد عليهم تجوز في الحجة كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين ويستهزىء من الحديث إستهزاء لا يخفي على أهل العلم . . . وهو مع هذا من أكذب الأمة وأوضعهم للحديث وأنصرهم لباطل)[3] .

ولم يكن ابن قتيبة رحمه الله متحاملاً على رؤساء أهل الكلام والإعتزال كالجاحظ والنظام والعلاف بل من رجع الى ما قيل عنهم في كتب الرجال يجد مصداق ذلك وقد ذكرتَ طرفاً من ضلالاتهم في ثنايا هذا البحث .

سابعاً :

إن السَنَدَ الذي وصل إلينا الإسلام عن طريقه هم الصحابة الأَجِلَّاء والتابعون الفضلاء وأهل الحديث والعلماء وأغلب هؤلاء من العرب بعد أن شرح الله صدورهم للإسلام والطعن في العرب المسلمين طعن في الدين والدفاع عنهم دفاع عن الدين وقد نبت في عصر ابن قتيبة نابتة من الزنادقة وأصحاب الأهواء يبغضون العرب ويؤلفون المؤلفات في مثالبهم ويصورونهم تصويراً مزرياً لكي ينفروا الناس منهم ومما جاءوا به وهو الإسلام فإن من سنة الله في خلقه أنهم إذاأبغضوا شخصاً أبغضوا ما جاء به وإذا أحبوا شخصاً أحبوا ما جاء به وابن قتيبة رحمة الله عليه وإن كان عجمي النسب فإنه يحجزه

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص ٤٩) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ٦٠) .

دينه عما لا يحل فهو يعتقد بعقيدةالسلف وهي حب العرب المسلمين واعتقاد أن جنسهم أفضل من غيره كما دلت على ذلك الأدلة ولما ميزهم الله به من حسن البيان وكرم الأخلاق وشجاعة القلب والثبات وأن أفضل العرب قريش قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل قريش بنو هاشم فهو يقول : (. . . وكذلك الأمم فيها أمة كرم بلبانها كالعرب فإنها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والحياء والتذمم وتتعاير بالبخل والغدر والسفه وتتنزه من الدناءة والمذمة وتتدرب بالنجدة والصبر والبسالة وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما توجبه للحميم . . . ولهم الضيافة عامة شاملة والإيثار على النفس والجود بالمؤجود ـ وأفضل العطاء جهد المقل ـ . . . وأما الشجاعة فإن العرب في الجاهلية أعز الأمم أنفساً وأعزهاحريماً وأحماها أنوفاً وأخشنها جانباً وكانت تغير في جنبات فارس وتطرقها حتى تحتاج الملوك الى مداراتها وأخذ الرهن منها . . . وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق . . . وكان فيهم بقايا من الحنفية يتوارثونها عن إسماعيل صلى الله عليه وسلم منها حج البيت الحرام وزيارته والختان والغسل والطلاق والعتاق وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر . . . ثم أتى الله بالإسلام فابتعث منها النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وخاتم الرسل وناسخ كل شرعة وجائز كل فضيلة ونشر عددها وجمع كلمتها وأمدها الله بملائكته وأيَّدها بقوته ومكن لها في البلاد وأوطاها رِقاب الأمم وجعل فيها خلافة النبوة ثم الإمامة خالدة تالدة حتى يأتي المسيح صلى الله عليه وسلم فيصلي خلف الإمام منها فاردة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها . وروى أبو نعيم عن الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث عن المطلب بن أبي وداعة والمطلب بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم فرقة وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً[1] . وبمثل قول ابن قتيبة قال علماء السلف.

---

(١) انظر رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي (ص ٢٨٢ ـ ٢٩٣) والحديث الذي أورده ابن قتيبة =

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة إعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم رومهم وفرسهم وغيرهم وأن قريشاً أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً)[١].. ويقول رحمه الله في سوضع آخر وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم كما أن جنس قريش خير من غيرهم وجنس بني هاشم خير من غيرهم . وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا[٢] .

لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد فإن في غير العرب خلق كثير خير من أكثر العرب وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أن خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[٣] وفي القرون المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثاني والثالث)[٤] .

ويقول ابن تيمية في بيان الدليل على فضل العرب : (. . . ولما وضع عمر الديوان للعطاء كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ بالأقرب فالأقرب الى رسول الله فلما انقضت العرب ذكر العجم هكذا كان الديوان على عهد

أخرجه الترمذي وقال حديث حسن . انظر ابواب المناقب (١٠ : ٢٦) من تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ص ١٤٨) .

(٢) صحيح البخاري باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى . . ﴾ الآية (٢ : ٢٦٤) .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (٢ : ٢٨٧) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٩ : ٢٩) .

الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس الى أن تغير الأمر بعد ذلك والآثار في ذلك كثيرة . . . وسبب ما اختصوا به من الفضل ـ والله أعلم ما جعل الله لهم من العقول والألسنة والأخلاق والأعمال وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع أو العمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ وتمام وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة فالعرب هم أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتمييزاً للمعاني . وأما العمل فإن مبناه على الأخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس فغرائزهم أطوع من غرائز غيرهم فهم أقرب الى الحلم والسخاء والشجاعة والوفاء من غيرهم ولكن حازوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ليس عندهم علم منزل ولا شريعة مأثورة ولا اشتغلوا ببعض العلوم بخلاف غيرهم فإنهم كانت بين أظهرهم الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء فضلوا لضعف عقولهم وخبث غرائزهم . . . .)[1] .

ونقل ابن القيم عقيدة أهل الحديث والسنة في ذلك عن حرب صاحب الإمام أحمد وهي قوله : (ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله علي وسلم فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق[2] . ولا نقول بقول الشعوبية واراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة)[3] .

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (ص ٢٨٩) .

(٢) قال ابن تيمية إسناد هذا الحديث فيه نظر . ولكن لعله روي من وجه آخر وهو موافق في المعنى لحديث سلمان إذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله قال تبغض العرب فتبغضني رواه الترمذي وقال حسن غريب انظر اقتضاء الصراط (ص ١٥٥ ، ١٥٦) قلت أخرج الحاكم في مستدركه حديث سلمان (٤ : ٨٦) وقال انه صحيح الاسناد فتعقبه الذهبي وقال في سنده قابوس بن أبي ظبيان متكلم فيه وأخرج كذلك حديث حب العرب إيمان وبغضهم نفاق (٤ : ٨٧) فقال حديث صحيح الإسناد فتعقبه الذهبي أيضاً وقال في سنده معقل بن مالك ضعيف والهيثم بن حماد متروك والله اعلم .

(٣) حادي الأرواح (ص ٢٩٨) .

وقد رد ابن قتيبة رحمة الله عليه على الشعوبية وبين أن الحامل لهم على بغض العرب هو الحسد وبغضهم للإسلام وإنما يتسترون خوفاً من القتل فهو يقول : (. . . وأعاذنا الله من فتنة العصبية وحمية الجاهلية وتحامل الشعوبية فإنها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بهم كل رذيلة وتغلوا في القول وتسرف في الذم وتبهت بالكذب وتكابر العيان وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف وتغص من النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر بالشجا وتطرف منه على القذى وتبعد من الله بقدر بعدها ممن قرب واصطفى وفي الإفراط الهلكة وفي الغلو البوار والحسد هو الداء وأول ذنب عصى الله به في الأرض والسماء ﴾[1] والمراد بقول السلف نحب العرب ونقر لهم بالفضل هو محبة جنس العرب إذا أسلموا لما لهم من الخصائص والميزات . أما إذا كفروا فإن حبهم كفر لقول الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . . . ﴾ الآية . . المجادلة : ٢٢ . ورسوله الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح قتلوا العرب الأقحاح - بل فيهم من بني هاشم شر قتله لما كفروا في بدر واحد وغيرها فإن العربي إذا كفر بالله تعالى فقد قضى على خصائصه ومميزاته فأصبح عدواً لله وللمسلمين وبهذا يتضح ضلال القوميين الذين ابتلى المسلمون بهم في هذا العصر اذ نسمع نباحهم في وسائل إعلامهم يرددون قول أحد طواغيتهم :

أنا عربي عربي أحب كل العربي

فهو يحب العربي المسيحي والعربي اليهودي والعربي الاشتراكي فهؤلاء براء من السلف الصالح والسلف الصالح منهم بريء فلا يظن ظان أن محبة السلف للعرب مثل محبة هؤلاء أو أن القوميين في تمجيدهم للعرب كافرهم ومؤمنهم مقتدون بالسلف الصالح . حاشا وكلا . والله أعلم .

---

(١) رسائل البلغاء (ص ٣٤٤) .

خاتمة البحث

تم بحمد الله ومنه وكرمه هذا البحث المتواضع على الصورة التي يراها القارىء وقد توصلت الى النتائج الآتية :

(١) دراسة عصر ابن قتيبة دراسة نقدية ومركزة .

(٢) ترجمة وافية له ـ قدر الإمكان ـ وإحصاء مؤلفاته وبيان أماكن المخطوط منها مع إعطاء صورة كاملة عن كل واحد منها .

(٣) بيان القول الفصل فيما نسب اليه في جوانب من صفاته وإيضاح أنه لم يصح ما نسب إليه .

(٤) أن ما نسب إليه من طعن في عقيدته لم تثبت نسبته الى الدارقطني والبيهقي ولم أجد في مؤلفاته ما يصدق ذلك بل على العكس فيها ما يكذب ذلك الطعن الزائف .

(٥) إبطال نسبة كتاب الإمامة والسياسة اليه من وجوه عديدة .

(٦) إن ابن قتيبة جار على طريقة أهل السنة والجماعة في منهجه العقدي .

(٧) إنه خطيب أهل السنة والجماعة فقد سخر قلمه للذود عن أهل السنة وأثرى المكتبة الإسلامية بكتب مفيدة كثيرة شاملة لفنون جمة .

هذا آخر ما تيسر تسطيره عن ابن قتيبة وموقفه من عقيدة السلف والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الباحث



الفهارس



١ فهرس الأعلام المترجم لها

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف العين)

(حرف القاف)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

٢| فهرس مصادر البحث

(حرف الالف)

(١) الإبانة عن أصول الديانة .
تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري .
من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٥م .
(٢) ابن تيمية حياته وعصره آراؤه وفقهه .
تأليف محمد أبو زهرة .
دار الفكر العربي بمصر سنة ١٩٧٧م .
(٣) ابن حنبل حياته وعصره آراؤه وفقهه .
تأليف الشيخ محمد أبو زهرة .
دار الفكر العربي بمصر .
(٤) ابن الرومي .
تأليف عباس محمود العقاد .
الطبعة السادسة ـ الناشر المكتبة التجارية بمصر .
(٥) ابن قتيبة الناقد الأديب .
تأليف الدكتور عبد الحميد سند الجندي .
رقم (٢٢) من سلسلة أعلام العرب طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر .

(٦) ابن قتيبة .
تأليف الدكتور محمد زغلول سلام .
رقم (١٨) من سلسلة نـوابغ الفكـر العربي ـ دار المعـارف بمصـر سنـة ١٩٦٥م .
(٧) ابن قتيبة ونـ . الشعر .
تأليف محمد مريس الحارثي .
رسالة مـاجستير قـدمت لفرع الأدب بجـامعة الملك عبـد العزيـز بمكة تحت إشراف الدكتور عبد الحكيم حسان .
(٨) ابو الحسن الأشعريِ وعقيدته .
تأليف حماد بن محمد الأنصاري .
الطبعة الثانية ـ مطبعة الفجالة الجديدة بمصر ١٣٩٥هـ .
(٩) ابو الحسن الأشعري بين السلف والمتكلمين .
تأليف هادي أحمد طالبي .
رسالة ماجستير قـدمت لفرع العقيـدة بجامعـة الملك عبد العـزيز بمكـة بإشراف الدكتور محمد يوسف الشيخ .
(١٠) الإتقان في علوم القرآن .
تأليف عبد الرحمن السيوطي وبهـامشه إعجـاز القرآن للقـاضي أبي بكر الباقلاني ـ الطبعة الثالثة مصطفى الحلبي وشركاه .
(١١) إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .
تأليف ابي الحسن أحمد بن الحسين الحسني الزبيدي .
تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج ـ دار الباز للطباعة والنشر .
(١٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي .
تأليف الدكتور محمد زغلول سلام .
الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر .
(١٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .
تأليف ابن القيم الجوزية ـ دار المعرفة .

(١٤) الإحتجاج بالقدر .
تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية .
من منشورات المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٣هـ .

(١٥) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
ضمن مجموعة عقائد السلف جمع علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ـ منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١م .

(١٦) أدب الكاتب .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثالثة ـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٧هـ .

(١٧) الأدب المفرد .
تأليف محمد بن اسماعيل البخاري .
دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(١٨) إسلام بلا مذاهب .
تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .
الطبعة الرابعة ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٩٢هـ .

(١٩) الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .
تصحيح محمد زاهد الكوثري ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

(٢٠) إصلاح غلط أبي عبيد .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
مخطوط منه صورة على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة المكرمة برقم ٥٢ .

(٢١) أصول الدين .
تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادي .
الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠هـ .

(٢٢) أصول مذهب الامام أحمد بن حنبل .
تأليف الدكتور عبد المحسن التركي .
مكتبة الرياض الحديثة ـ الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ .
(٢٣) الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها .
رسالة ماجستير قدمت لفرع العقيدة بمكة من صالح زين العابدين الشيبي بإشراف عوض الله حجازي .
(٢٤) الإسلام والحضارة العربية .
تأليف محمد كرد علي .
الطبعة الثالثة ـ لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٦٨م .
(٢٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .
تأليف محمد الأمين الشنقيطي .
مطبعة المدني .
(٢٦) الأشربة .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق محمد كرد علي ـ المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٦٦هـ .
(٢٧) الأعلام .
تأليف خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثالثة .
(٢٨) الإعتصام .
تأليف ابراهيم بن موسى الشاطبي .
تحقيق محمد زيد رضا ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .
(٢٩) أعلام الموقعين عن رب العالمين .
تأليف ابن القيم ومراجعة طه عبد الرؤوف سعد ـ دار الجيل لبنان ـ ١٩٧٣م .
(٣٠) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ .
تأليف محمد بن عبد الرحمن السخاوي .
دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٩٩هـ .

(٣١) إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم .
لشيخ الإسلام ابن تيمية .
بتصحيح محمد علي الصابوني ـ مطابع المجد التجارية ـ توزيع إدارات البحوث والإفتاء السعودية .

(٣٢) الإمامة والسياسة .
المنسوب زوراً لابن قتيبة ـ تحقيق الدكتور طه محمد الزيني مؤسسة الحلبي وشركاه .

(٣٣) امالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد .
لشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي المرتضى .
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(٣٤) الأنساب .
تأليف عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني .
تحقيق السيد شرف الدين أحمد ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ـ الدكن ١٣٩٩هـ .

(٣٥) أنباه الرواة على أنباء النحاة .
تأليف علي بن يوسف القفطي .
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ .

(٣٦) الأنواء في مواسم العرب .
تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
الطبعة الأولى ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيد آباد الدكن ـ ١٣٧٥هـ .

(٣٧) الإيمان .
تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية .
تصحيح محمد خليل هراس ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة .

(٣٨) الإيمان بالقضاء والقدر على طريقة أهل السنة والأثر .
تأليف عبد الله بن زيد آل محمود .
مطابع علي بن علي ـ الدوحة ١٣٩٦هـ .

(حرف الباء)

(٣٩) البداية والنهاية لحافظ ابن كثير .
الطبعة الثانية ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ١٩٧٧م .
(٤٠) بغداد في تاريخ الخلافة العباسية .
تأليف أحمد بن طاهر بن طيفور .
مكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٨هـ .
(٤١) بغية الوعاة في طبقات النحاة .
للحافظ عبد الرحمن السيوطي .
تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ مطبعة الحلبي وشركاه .
(٤٢) بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .
لشيخ الإسلام ابن تيمية على هامش منهاج السنة النبوية .
الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق .
(٤٣) البيان والتبيين .
تأليف عمرو بن بحر الجاحظ .
دار الكتب العلمية ـ بيروت .
(٤٤) البحر المحيط .
تأليف محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي
الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩هـ .

(حرف التاء)

(٤٥) تاريخ الأمم والملوك .

تأليف محمد بن جرير الطبري .

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر .

(٤٦) تاريخ دول الإسلام .

تأليف الحافظ الذهبي .

مخطوط منه صورة في جامعة الرياض برقم ٤٧٥ .

(٤٧) تاريخ الأدب العربي .

تأليف كارل بروكلمان .

نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ـ نشر دار المعارف الطبعة الرابعة .

(٤٨) تاريخ بغداد .

للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب .

دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(٤٩) تاريخ الخلفاء .

للحافظ عبد الرحمن السيوطي .

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٨هـ .

(٥٠) تاريخ المذاهب الإسلامية .

تأليف محمد ابو زهرة ـ دار الفكر العربي .

(٥١) تاريخ عصر الخلافة العباسية .

للدكتور يوسف العش .

تحقيق محمد ابو الفرج العش ـ دار الكتاب .

(٥٢) تاريخ الإسلام السياسي .

للدكتور حسن إبراهيم حسن .

الطبعة السابعة ١٩٦٥م ـ مكتبة النهضة العربية .

(٥٣) تاريخ الحضارة الإسلامية .
ابو زيد شلبي .
الطبعة الثالثة ـ مكتبة وهبة ١٣٨٣هـ .

(٥٤) تأويل مختلف الحديث .
عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تصحيح محمد زهري النجار ـ دار الجيل بلبنان ١٣٩٣هـ .

(٥٥) تأويل مشكل القرآن .
عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق أحمد صقر ـ الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ دار التراث ـ القاهرة .

(٥٦) التجسيم عند المسلمين .
تأليف سهير بنت مختار ـ رسالة دكتوراه قدمت لكلية البنات بالقاهرة بإشراف الدكتور سامي النشار .

(٥٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي .
محمد بن عبد الرحمن المباركفوري .
تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ـ دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ .

(٥٨) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي .
الطبعة الأولى ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ـ الطبعة الرابعة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

(٥٩) ترتيب المدارك لمعرفة أعلام الامام مالك للقاضي عياض .
تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود ـ دار مكتبة الحياة ببيروت ومكتبة الفكر بليبيا .

(٦٠) تفسير غريب القرآن .
عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق أحمد صقر ـ دار الكتب العلمية .

(٦١) التفسير والمفسرون .
للدكتور محمد حسين الذهبي .
الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ ـ دار الكتب الحديثة بمصر .

(٦٢) تفسير القرآن العظيم .
للحافظ ابن كثير .
تحقيق محمد ابراهيم البناء وجماعة ـ دار الشعب .

(٦٣) تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) .
لمحمد بن جرير الطبري .
دار الفكر ـ بيروت سنة ١٣٩٨هـ .

(٦٤) تفسير المعوذتين للإمام ابن قيم الجوزية .
الطبعة الخامسة ـ نشر قصي محب الدين الخطيب ١٣٩٧هـ .

(٦٥) تقريب التهذيب .
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ـ دار نشر الكتب الإسلامية كوجرانواله بباكستان .

(٦٦) تهذيب الأسماء واللغات .
لأبي زكريا بن شرف النووي .
طبع إدارة الطباعة المنيرية بمصر ونشر مكتبة الأسدي بطهران .

(٦٧) تهذيب التهذيب .
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى ـ دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ١٣٢٥هـ وتصوير دار صادر ـ بيروت .

(٦٨) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري .
تحقيق عبد السلام محمد هارون ومحمد علي النجار ـ المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ .

(٦٩) التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين .
تأليف عبد الله بن السيد البطليوس .
تحقيق الدكتور أحمد حسن كحيل والدكتور حمزة عبد الله النشرتي
الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ـ دار الإعتصام .
(٧٠) التوحيد وإثبات صفات الرب .
تأليف محمد بن إسحاق بن خزيمة .
تعليق محمد خليل هراس ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٧هـ .

(حرف الجيم)

(٧١) جامع الأصول في احاديث الرسول .
لابن الأثير الجزري .
تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ مكتبة الحلواني ودار البيان بدمشق ١٣٩٢هـ .
(٧٢) جامع بيان العلم وفضله .
لحافظ المغرب يوسف بن عبد البر الأندلسي .
دار الفكر ـ بيروت .
(٧٣) جامع الرسائل لابن تيمية .
تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة المدني ١٣٨٩هـ .
(٧٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي .
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .
(٧٥) الجامع الفريد يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية .
الطبعة الثانية تقديم عبد الرزاق عفيفي ـ توزيع رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام .

(٧٦) جريدة المدينة المنورة .
جريدة يومية تصدرها مؤسسة المدينة للصحافة .
(٧٧) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين .
تأليف نعمان خير الدين الألوسي .
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة .
(٧٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية .
مطابع المجد التجارية ـ توزيع دار الإفتاء السعودية .
(٧٩) جوانب التفكير في العقيدة الإسلامية في العصر الأموي .
رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الملك عبد العزيز بمكة من أحمد علي عبد العال بإشراف الدكتور محمد يوسف الشيخ .

(حرف الحاء)

(٨٠) حادي الأرواح الى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية .
الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ تصحيح محمود حسن ربيع ـ مكتبة النهضة الحديثة .
(٨١) الحاوي للفتاوى .
لعبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي .
الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(حرف الخاء)

(٨٢) خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب دار الشروق .
(٨٣) الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية .
للدكتور فاروق عمر ـ الطبعة الثانية ١٩٧٧م ـ مكتبة المثنى ببغداد .
(٨٤) الخلافة والإمامة .
لعبد الكريم الخطيب .
الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

(٨٥) خلق أفعال العباد .

للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

نشرة الدكتور سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ضمن عقائد السلف منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١م .

(حرف الدال)

(٨٦) دائرة المعارف الإسلامية .

لمجموعة من المستشرقين ـ مطبعة الشعب بالقاهرة ـ الطبعة الثانية .

(٨٧) دائرة المعارف .

للمعلم بطرس البستاني .

مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان ـ طهران .

(٨٨) الدرر السنية في الأجوبة النجدية .

جمع عبد الرحمن بن قاسم .

الطبعة الثانية من مطبوعات المكتب الاسلامي ببيروت . توزيع دار الإفتاء السعودية .

(٨٩) دولة بني العباس .

للدكتور شاكر مصطفى .

الطبعة الأولى ١٩٧٣م ـ وكالات المطبوعات الكويت .

(٩٠) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب .

للقاضي ابراهيم بن علي بن فرحون المالكي .

تحقيق الدكتور محمد الأحمدي ابو النور ـ دار التراث بمصر سنة ١٣٩٤هـ .

(حرف الذال)

(٩١) ذيل مرآة الزمان .

لأبي الفتح موسى بن محمد البعلبكي .

الطبعة الأولى ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الدكن .

(٩٢) ذيل تاريخ بغداد .

للحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد .

(حرف الراء)

(٩٣) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد للإمام عثمان بن سعيد الدارمي .

نشره سامي النشار وعمار الطالبي ضمن عقائد السلف ـ منشأة المعارف بمصر سنة ١٩٧١م .

(٩٤) الرد على الزنادقة والجهمية .

للإمام أحمد بن حنبل .

نشره سامي النشار وعمار الطالبي ضمن مجموعة عقائد السلف منشأة المعارف بمصر ١٩٧١م .

(٩٥) رسائل البلغاء .

اختيار وتصنيف محمد كرد علي ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٩٦) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية .

نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة التوعية الإسلامية التي تصدرها المملكة العربية السعودية ـ العدد الثاني في ذي القعدة ١٣٩٩هـ .

(٩٧) الرسالة .

للإمام محمد بن ادريس الشافعي .

تحقيق أحمد محمد شاكر ـ طبعت سنة ١٣٠٩هـ .

نشرها محمد حامد الفقي سنة ١٣٧٤هـ ضمن مجموعة نفائس الطبعة الثالثة مطبعة السنة المحمدية .

(٩٩) رفع الإصر عن قضاة مصر .
تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
بتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ومحمد المهدي ابو ستة ـ طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧م .

(حرف السين)

(١٠٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة .
محمد ناصر الدين الألباني .
من منشورات المكتب الإسلامي .
(١٠١) السنة للإمام أحمد بن حنبل .
مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٥هـ ـ نشر محمد حامد الفقي .
(١٠٢) السنن الكبرى .
لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي .
دار الفكر .
(١٠٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي .
للدكتور مصطفى السباعي .
الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ـ مطبعة السعادة .
(١٠٤) سنن ابن ماجه .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ .
(١٠٥) سنن أبي داود .
إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ـ دار الحديث السورية . الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ .
(١٠٦) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي .
مخطوط منه صورة مكبرة في عدة مجلدات في مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمكة تصوير دار المأمون بدمشق .

(حرف الشين)

(١٠٧) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة .

لعبد الرحيم بن الحسين العراقي .

المطبعة الجديدة بفاس ـ نشر الحاج محمد عبد السلام الحلو ١٣٥٤ هـ .

(١٠٨) شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية .

الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ من منشورات المكتب الإسلامي .

(١٠٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

لعبد الحي بن العماد الحنبلي .

منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

(١١٠) شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي .

تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ من منشورات المكتب الإسلامي .

(١١١) الشريعة للإمام الآجري .

تحقيق محمد حامد الفقي ـ مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩هـ .

(١١٢) شرح الكوكب المنير .

لمحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار .

تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد ـ نشر مركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة .

(١١٣) الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة .

للإمام ابن بطة .

تحقيق رضا نعسان معطي رسالة ماجستير قدمت الى فرع العقيدة بمكة بإشراف الدكتور عثمان عبد المنعم .

(١١٤) شرح العقيدة الواسطية .

لمحمد خليل هراس .

الطبعة الرابعة ـ توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(١١٥) شرح قصيدة الإمام ابن القيم .
لأحمد بن ابراهيم بن عيسى .
الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ـ المكتب الإسلامي ببيروت .
(١١٦) شرح العقيدة الطحاوية .
تحقيق مجموعة من العلماء ـ خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ المكتب الإسلامي .
(١١٧) الشعر والشعراء .
لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ ـ دار المعارف بمصر .
(١١٨) الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول .
الدكتورة زاهية قدورة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٢ م .
(١١٩) شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين .
جمع وتحقيق محمد حامد الفقي ـ مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ .
(١٢٠) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية .
تصحيح السيد محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي ـ دار الفكر ١٣٩٨ هـ .
(١٢١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى .
للقاضي عياض بن موسى الأندلسي .
تحقيق محمد أمين قرة علي ومجموعة من العلماء ـ مكتبة الفارابي بدمشق .
(١٢٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية
الأحمد بن حجر آل أبو طامي ـ تصحيح عبد العزيز بن باز ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ .

(حرف الصاد)

(١٢٣) الصاحبي لأحمد بن فارس .
تحقيق مصطفى الشويمي .
(١٢٤) الصراع بين الموالي والعرب .
للدكتور محمد بديع شريف ـ طبع سنة ١٩٥٤ م .
(١٢٥) صحيح البخاري بحاشية السندي .
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .
(١٢٦) صحيح الجامع الصغير .
لمحمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الاسلامي .
(١٢٧) صحيح مسلم بشرح النووي .
الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
(١٢٨) الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل .
رسالة ماجستير مقدمة لفرع العقيدة بمكة المكرمة من عثمان عبد الله
آدم الأثيوبي بإشراف كمال أبو النجا .

(حرف الضاد)

(١٢٩) ضحى الإسلام .
لأحمد أمين .
الطبعة العاشرة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(حرف الطاء)

(١٣٠) طبقات الحنابلة .
للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى .
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

(١٣١) طبقات الشافعية الكبرى .
لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي .
تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناحي ـ الطبعة الأولى عيسى الحلبي وشركاه .
(١٣٢) طبقات فحول الشعراء .
لمحمد بن سلام الجمحي .
شرح محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني بالقاهرة .
(١٣٣) طبقات المفسرين للحافظ محمد بن علي بن أحمد الداودي .
تحقيق علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة بمصر ـ الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ .
(١٣٤) طبقات النحويين واللغويين .
لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي .
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ ـ الناشر .
محمد سامي الخانجي الكتبي بمصر .

(حرف العين)

(١٣٥) عبد الله بن المبارك الإمام القدوة .
لمحمد عثمان جمال .
الطبعة الثانية ـ دار القلم بدمشق .
(١٣٦) العصر العباسي الأول .
للدكتور شوقي ضيف .
دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .
(١٣٧) العصر العباسي الثاني .
للدكتور شوقي ضيف ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ١٩٧٥ م .
(١٣٨) عصمة الأنبياء والقرآن الكريم .
رسالة دكتوراه قدمت لكلية أصول الدين بالأزهر من محمد أبو النور .
الحديدي ـ بإشراف د . عبد الغني عوض الراجحي .

(١٣٩) عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام .
لعبد الله بن محمد الصديق العماري .
مكتبة القاهرة .

(١٤٠) عقيدة ابن جرير الطبري .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة الأولى ـ مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

(١٤١) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدس .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة الأولى ـ مطبعة النهضة بمكة .

(١٤٢) عقيدة ابن قدامة .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة الأولى ـ مطبعة النهضة بمكة .

(١٤٣) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية الطبعة الأولى .

(١٤٤) عقيدة الطحاوي نشرها عبد الله بن حميد ضمن المجموعة العلمية السعودية .

(١٤٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث .
لشيخ الإسلام الصابوني ـ وهي الرسالة السادسة من المجلد الأول من مجموعة الرسائل المنيرية ـ نشر محمد أمين دمج ١٩٧٠ م ـ بيروت .

(١٤٦) عقائد السلف للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي .
جمعها علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي ـ الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م .

(١٤٧) العقيدة في الله .

لعمر بن سليمان الأشقر .

الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ مكتبة الفلاح بالكويت .

(١٤٨) عقيدة المؤمن .

لأبي بكر جابر الجزائري .

الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ـ مكتبة الكليات الأزهرية .

(١٤٩) عقيدة المسلم .

لمحمد الغزالي .

دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٩٨ هـ .

(١٥٠) العقائد الاسلامية .

لسيد سابق .

دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(١٥١) علماء نجد .

لعبد الله بن عبد الرحمن البسام .

الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ـ طبع مكتبة النهضة بمكة .

(١٥٢) العلو للعلي الغفار .

للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .

تقديم عبد الرحمن محمد عثمان ـ مطبعة العاصمة بالقاهرة .

الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ ـ الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(١٥٣) العواصم من القواصم .

للقاضي أبي بكر بن العربي .

تحقيق محب الدين الخطيب ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ ـ المطبعة السلفية .

(١٥٤) عيون الأخبار لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .

نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ـ المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر ـ طبع سنة ١٣٨٣ هـ .

(حرف الغين)

(١٥٥) الغرر المثلثة والدرر المبثثة .
لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي .
تحقيق ودراسة سليمان ابراهيم العائد ـ رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور راشد بن راجح الشريف ـ قدمت لجامعة الملك عبد العزيز بمكة ـ فرع اللغة العربية .

(١٥٦) غريب الحديث .
لعبد الله بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري ـ مطبعة العاني ببغداد ١٩٧٧ م .

(حرف الفاء)

(١٥٧) الفاخر .
لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم .
تحقيق عبد العليم الطحاوي ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

(١٥٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري .
لابن حجر العسقلاني ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت .

(١٥٩) فتح الباقي على الفية العراقي .
للحافظ زكريا بن محمد الأنصاري .
منشور بذيل شرح الفية العراقي ـ المطبعة الجديدة بفاس ـ نشر الحاج محمد عبد السلام الحلو سنة ١٣٥٤ هـ .

(١٦٠) فتح القدير .
لمحمد بن علي الشوكاني .
الطبعة الثانية ـ ١٣٨٣ هـ ـ الحلبي وشركاه .

(١٦١) الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
نشرها محمد حامد الفقي مع رسائل أخرى ضمن مجموعة نفائس .
الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ ـ بمطبعة السنة المحمدية .
(١٦٢) الفرق بين الفرق .
لعبد القاهر بن طاهر البغدادي .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مكتبة محمد علي صبيح وأولاده .
(١٦٣) فقه اللغة .
للدكتور علي عبد الواحد وافي ـ الطبعة السادسة ـ دار نهضة مصر .
(١٦٤) فهرسة ما رواه عن شيوخه للشيخ أبي بكر محمد بن خير الأشبيلي .
الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ضمن منشورات دار الآفاق الحديثة ببيروت .
(١٦٥) الفهرست .
لمحمد بن إسحاق النديم .
دار المعرفة ببيروت ـ وطبعة أخرى بتحقيق رضا بجدد مطبوعة في طهران .
(١٦٦) فوات الوفيات .
لمحمد بن شاكر الكتبي .
تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .
(١٦٧) في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة .
للدكتور محمود أحمد خفاجي .
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ مطبعة الأمانة بالقاهرة .
(١٦٨) فهارس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد .
إعداد الدكتور عبد الله الجبوري .

(حرف القاف)

(١٦٩) قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين .
تأليف محمد عبد الفتاح عليان .
الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧٠ م .

(١٧٠) القرطين .
لابن مطرف الكناني .
دار المعرفة للطباعة والنشر - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة .

(١٧١) قصص الأنبياء .
لعبد الوهاب النجار .
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٣٨٦ هـ .

(١٧٢) قواعد المنهج السلفي والنسق الاسلامي في مسائل الألوهية .
والعالم والإنسان عند شيخ الإسلام ابن تيمية .
للدكتور مصطفى حلمي .
الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - توزيع دار الأنصار بمصر .

(حرف الكاف)

(١٧٣) الكامل في التاريخ .
لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير .
الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - دارالكتاب العربي ببيروت .

(١٧٤) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار .
للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة .
الدار السلفية بمباي ١٣٩٩ هـ .

(١٧٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة .
مكتبة المثنى ببغداد .

(١٧٦) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية .
لعبد العزيز بن محمد السلمان .
الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ـ مطبعة السعادة .

(حرف اللام)

(١٧٧) اللباب في تهذيب الأنساب .
لابن الأثير الجزري .
مكتبة المثنى ببغداد .
(١٧٨) لسان الميزان .
تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
الطبعة الأولى ـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الدكن .
(١٧٩) لسان العرب المحيط .
لابن منظور .
ترتيب يوسف خياط ـ دار لسان العرب ببيروت .

(حرف الميم)

(١٨٠) مجموعة الرسائل والمسائل .
لشيخ الإسلام ابن تيمية .
تحقيق محمد رشيد رضا ـ لجنة التراث العربي .
(١٨١) مجموعة الرسائل المنيرية .
تشتمل على مجموعة كتب قيمة في العقيدة وغيرها ـ عنيت بطبعها إدارة الطباعة المنيرية ـ الناشر محمد أمين دمج ـ بيروت ١٩٧٠م .
(١٨٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمي وابنه محمد ـ مطابع الرياض سنة ١٣٨٢هـ .

(١٨٣) مجموعة الأحاديث النجدية .
تشتمل على تسع رسائل مهمة في العقائد والأحكام جمعها رشيد رضا ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(١٨٤) المجروحين .
للحافظ محمد بن حبان البستي .
تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ دار الوعي بحلب .

(١٨٥) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة العباسية .
تأليف محمد الخضري بك .
المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٧٠م .

(١٨٦) المحبر .
لأبي جعفر محمد بن حبيب .
تصحيح الدكتورة إيلزة ليمتن ـ حيدر آباد ـ الدكن ١٣٦١هـ .

(١٨٧) مختصر منهاج السنة لابن تيمية .
إختصره الحافظ الذهبي ـ تحقيق محب الدين الخطيب ـ مكتبة دار البيان بدمشق .

(١٨٨) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم .
اختصره محمد بن الموصلي .
توزيع دار البحوث العلمية بالرياض .

(١٨٩) مختار الصحاح .
لمحمد بن أبي بكر الرازي .
الطبعة الأولى ١٩٦٧م ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(١٩٠) مختصر صحيح مسلم للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ المكتب الإسلامي .

(١٩١) مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية .
لمحمد بن علي بن سلوم .
الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ـ تحقيق محمد زهري النجار .
(١٩٢) المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء عماد الدين اسماعيل أبي الفداء .
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ لبنان .
(١٩٣) مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .
من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
(١٩٤) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الثانية ـ مطبعة السعادة بمصر .
(١٩٥) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .
لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي .
تحقيق محمد علي البجاوي ـ الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ ـ عيسى الحلبي وشركاه .
(١٩٦) مرآة الجنان وعبرة اليقظان .
لعبد اللّه بن أسعد بن سليمان اليافعي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
(١٩٧) مرآة الزمان .
لسبط بن الجوزي يوسف بن قزوغلي .
مخطوط منه صورة بمركز البحث العلمي بمكة على ميكروفيلم برقم ٦٧٦٥ تاريخ .
(١٩٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها .
لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الثانية ـ عيسى الحلبي وشركاه .

(١٩٩) المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
نشر مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٤٩هـ .
(٢٠٠) المستدرك على الصحيحين.
للحافظ أبي عبد اللَّه الحاكم النيسابوري .
وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ـ دار الفكر ببيروت ١٣٩٨هـ.
(٢٠١) مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال .
المكتب الإسلامي ودار صادر ـ بيروت .
(٢٠٢) مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد اللَّه التبريزي .
تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ المكتب الإسلامي .
(٢٠٣) مصرع الشرك والخرافة .
لخالد محمد علي الحاج .
تحقيق عبد اللَّه إبراهيم الأنصاري ـ طبع الشؤون الدينية بدولة قطر سنة ١٣٩٨هـ .
(٢٠٤) معالم في الطريق لسيد قطب دار الشروق .
(٢٠٥) المعاني الكبيرة في أبيات المعاني لابن قتيبة .
تصحيح المستشرق سالم الكرنكوي ـ دار النهضة الحديثة ببيروت .
(٢٠٦) المعتزلة لزهدي الجار اللَّه .
الطبعة الأولى ـ المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ببيروت .
(٢٠٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر ببيروت .
(٢٠٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
وضعه مجموعة من المستشرقين مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي .
مطبعة بريل في مدينه ليدن ١٩٥٥م.

(٢٠٩) المعارف لابن قتيبة .
تحقيق ثروت عكاشة ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر .

(٢١٠) مشكل الحديث لمحمد بن الحسن بن فورك .
تحقيق محمد عبد المعيد خان ـ الطبعة الثانية ١٣٩١هـ دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد .

(٢١١) المغني في الضعفاء .
للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
الطبعة الأولى ـ دار إحياء التراث العربي ببيروت .

(٢١٢) مقدمة ابن خلدون .
الطبعة الخامسة ـ دار الكتاب العربي ببيروت .

(٢١٣) مقالات الإسلاميين .
لعلي بن إسماعيل الأشعري .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ مكتبة النهضة بمصر .

(٢١٤) الملل والنحل .
لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني .
تحقيق محمد سيد كيلاني ـ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر .

(٢١٥) المنتظم .
لأبي الفرج د الرحمن بن علي بن الجوزي .
الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ ـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد .

(٢١٦) مناقب الشافعي لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .
تحقيق أحمد صقر ـ الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ـ مكتبة دار التراث بمصر .

(٢١٧) مناقب الإمام أحمد بن حنبل .
لأبي الفرج بن الجوزي .
الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ تحقيق عبد المحسن التركي وعلي محمد عمر ـ مكتبة الخانجي بمصر .
(٢١٨) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ ـ المطبعة الأميرية ببولاق .
(٢١٩) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات .
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .
من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
(٢٢٠) موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي .
إعداد أحمد راتب عرموش ـ الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ـ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع .
(٢٢١) ميزان الاعتدال .
لأبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٨٢هـ .
(٢٢٢) الميسر والقداح .
لعبد اللّه بن مسلم بن قتيبة .
تحقيق محب الدين الخطيب ـ الطبعة الثانية ـ المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر ١٣٨٥هـ.

(حرف النون)

(٢٢٣) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية دار الفكر .
(٢٢٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي .
الطبعة الأولى ١٣٥١هـ ـ دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٢٢٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة .
(٢٢٦) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام .
لعلي سامي النشار ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٧م .
(٢٢٧) النشر في القراءات العشر .
لمحمد بن محمد الدمشقي بن الجزري .
تصحيح علي محمد الضباع ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
(٢٢٨) نفائس وتشتمل على الرسالة التدمرية والحموية الكبرى .
لشيخ الإسلام ابن تيمية ومعها عدة كتب أخرى بتحقيق محمد حامد لفقي ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٤هـ ـ مطبعة السنة المحمدية .
(٢٢٩) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي .
للدكتور عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال .
دار الفكر العربي ١٩٧٨م .

(حرف الهاء)

(٢٣) هداية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين .
لمؤلفه اسماعيل باشا البغدادي .
مكتبة المثنى ببغداد .

(حرف الواو)

(٢٣١) وفيات الأعيان .
لابن العباس أحمد بن محمد بن خلكان .
تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .
(٢٣٢) كتاب الولاة لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي .
مطبعة اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨م .

٣ محتوى الرسالة

الموضوع	الصفحة

ولله الحمد من قبل ومن بعد
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .